جامعة الجزائر
معهد اللغة والأدب العربي

عبد الكريم العقون شاعرا

بحث لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالب:
الشريف مريبعي

إشراف الدكتور
محمد ناصر

السنة الجامعية 1987/86

- المقدمـــــة -

1 - الدوافـــع:

من جملة الاسباب التي دفعتني الى اختيار "عبد الكريم العقون" موضوعا للبحـث ما يلـــي:

أ - ان الادب الجزائري الحديث بصفة عامة، والشعر منه بصورة خاصة ما يزال مغمورا رغم الجهود الفردية التي بذلها الباحثون، خاصة في اطار الدراسة الاكاديمية، ومن هنا ارتأيت أن أساهم في الكشف عنه بهذا الجهد المتواضع. واذا كان هناك من يرى ضرورة توجه الطلبة في الماجستير والدكتوراه الى غير الادب الجزائري، بحجة أنه أشبع درسا وأنه ضعيف من الناحية الفنية، ولا يستحق كل هذا الاهتمام، فانني أرى وجوب بـــذل المزيد من الجهود لخدمة هذا الادب، بغض النظر عن قيمته الفنية والفكرية، لانه جزء من ثقافتنا لا يمكن تجاهله.

ب - ان أغلب الدراسات التي ظهرت حول الادب الجزائري الحديث تناولـــت الناحية التاريخية لهذا الادب، أو المضامين بصفة عامة، أو الظواهر المختلفة، ونذكـر على سبيل المثال: دراسات في الادب الجزائري الحديث، للدكتور أبو القاسم سعد الله ودراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، والشعر الديني الجزائري الحديـــث للدكتور عبد الله ركيبي، والادب الجزائري المعاصر للدكتور سعادة محمد خضر، والشعر الجزائري الحديث للدكتور صالح خرفي، والشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنية للدكتور محمد ناصر، والشعر الوطني الجزائري الحديث، وغيرها من الدراسات الرائدة، ومن هنا كان الاهتمام بدراسة الشخصيات أمرا ضروريا للتدقيق واستيفاء البحث.

جـ - ان الدراسات التي انصبت على الشخصيات - مع قلتها - تتعلق بأعـــلام معروفين بارزين، نشر انتاجهم، وجمع، وطبع في شكل دواوين، أما بقية الشعراء الذيـن

لم يجمع شعرهم لحد الآن - وما أكثرهم - فقد ظلوا مغمورين ،والتعريف بهم واجب مؤكـــد .

هذا اذا استثنينا دراسة الدكتور محمد ناصر،عن الشاعر رمضان حمود ،ودراسة الدكتورعبد الله ركيبي عن الشاعر مبارك جلواح .

د - ان الشاعرعبد الكريم العقون عاش في فترة حاسمة من تاريخ الجزائـــــر (1915 - 1959) اتسمت بكثافة الاحداث ،وكثرة التغيرات ،فقد فتح عينيه على نيران الحرب العالمية الاولى ،وشهد ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية بمختلف اتجاهاتهـــا بالاضافة الى ظهورالحركة الاصلاحية ،واشتداد ساعدها ،وعايش ويلات الحرب العالمية الثانية ،وحوادث الثامن ماي 1945 المأساوية ،ثم اندلاع الثورة التحريرية المظفرة ،وكان مناضلا ومجاهدا منذ شبابه ،ولذا فهو جدير بالدراسة لان انتاجه يكشف عن جوانب هامة من النشاط الفكري والادبي الذي عرفته الجزائرعلى ضوء هذه الوقائع ،وكذا يبرز أثر تلك الاحداث في أدب هذه الفترة .

هـ - ان عبد الكريم العقون من الشعراء الذي قدموا للجزائر في محنتها أغلـــى ما يملكون فهو ليس شاعرا عاديـــا لانه ناضل بالكلمة ضد الاستعمار طيلة حياته وجاهد بنفسه في سبيل الوطن حتى كتبت له الشهادة ،فهو جدير بأن يعرف لدى الاجيال كشاعر ملتزم يشفع القول بالعمـــل .

2 - تصميم البحث وخطتـــه :

يشتمل البحث على تمهيد وخمسة فصول وملحق ،وقد خصصنا التمهيد لدراســة الوضع في الجزائر بين 1919م و 1954 ،حيث عرضنا للحياة السياسية ،والاجتماعيـــة والثقافية باختصار شديد ،وحاولنا تجنب تكرار ما قاله الآخرون ،مركزين على الجوانب التي لها علاقة بموضوع البحث ،فأبرزنا في حديثنا عن الوضع السياسي - على وجه الخصوص - تطور الوعي السياسي والوطني ،وانعكاس مختلف الاحداث السياسية على ذهنية الفـــرد

الجزائري ،وأوضحنا في حديثنا عن الوضع الاجتماعي ضنك العيش الذي كان الجزائري يعاني منه ،وأثر ذلك على انتاج الكتاب والشعراء ،كما تعرضنا في الحديث عن الوضع الثقافي مدى مواكبة الحركة الشعرية الجزائرية للاحداث ،وتجاوبها معها •

وخصصنا الفصل الاول لحياة الشاعر وثقافته ،حيث تناولنا نشأته ،وثقافته ،والعوامل المؤثرة في شعره ،ونشاطه الاصلاحي والتربوي ،وما الى ذلك مما له صلة بشعره •

أما الفصل الثاني ،فقد تناولنا فيه بالدراسة والتحليل شعره الوطني ،آخذين بعين الاعتبار القضايا الوطنية التي استرعت انتباهه ،وكانت لها مكانة في نفسه وانتاجه كالمناسبات الدينية والوطنية ،والوحدة الوطنية ،ومأساة الشعب ،وقضية الشباب •

وفي الفصل الثالث تناولنا الاتجاه القومي في شعره ،فأبرزنا مفهوم الشعراء الجزائريين آنذاك للقومية ،ثم القضايا القومية التي استحوذت على اهتمامه ،والتي تنحصر في ثلاث نقاط هي : نضال الشرق ،وأحزان الشرق ،وأفراح الشرق •

أما الفصل الرابع فقد خصصناه للانتاج الذاتي في شعره الذي ينحصر في دائرتين هما : الطبيعة والغزل •

وفي الفصل الخامس تناولنا بالدراسة الجوانب الفنية في شعره ،فوقفنا في البداية عند اتجاه الشاعر الفني الذي يجمع بين التقليد والوجدانية ،ثم حللنا التشكيل الموسيقي واللغة الشعرية والصورة الشعرية ،والبنية العامة للقصيدة •

وأنهينا البحث بخاتمة أجملنا فيها أهم النتائج التي توصل اليها البحث عبر فصوله الخمســة •

وقد ألحقنا بالبحث انتاج الشاعر الذي تيسر لنا جمعه من مختلف الدوريات وما هو مخطوط لدى عائلته أو أصدقائه مما وضعوه ـ مشكورين ـ بين أيدينا ،حيث قمنا بتحقيقه والتعليق عليه وضبطه ،وترتيبه ترتيبا تاريخيا لنقربه من أيدي الباحثين والدارسين •

3 - المصـــادر والمراجـــع :

تنقسم المصادر التي اعتمد عليها البحث أساسا الى قسمين :

أ - المصادر الشفويـــة ٠

ب - المراجع والمصادر المكتوبـــة ٠

أما المصادر الشفوية فتتمثل في تلك المقابلات التي أجريتها مع الاشخاص الذيـــن ربطتهم بالشاعر علاقة قرابة أو صداقة ، وقد أفادتني كثيرا - على قلتها - في الكشف عـــن حياة الشاعر ، ونضاله السياسي ، ونشاطه الثوري ، والى هؤلاء الاشخاص أتوجه بالشكر والتقدير وأخص بالذكر منهم زوجة الشاعر والشيخ موسى الاحمدي نويوات والشيخ أحمد سحنون ٠

وأما المصادر والمراجع المطبوعة والمخطوطة فهي على وجه الخصوص المادة الشعرية التي انصبت عليها الدراسة ، المستخرجة من وثائق عائلة الشاعر ، والصحف الوطنية ، وخاصة صحيفة البصائر في سلسلتها الثانية ٠

أما غير ذلك من الكتب المطبوعة فانها لم تكن لها علاقة مباشرة ببحثي ، وبالتالي فهي لا تعدو كونها مساعدة ، أضاءت لي الطريق ، وأخص بالذكر منها كتاب الدكتور عبد الله ركيبي دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ، وكتاب الدكتور أبو القاسم سعد اللـــه دراسات في الادب الجزائري ، وكتاب الدكتور صالح خرفي الشعر الجزائري الحديث ، التي استعنت بها في دراسة المضامين الشعرية ، وكذا كتاب الدكتور محمد ناصر الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية ، الذي ساعدني كثيرا في تسليط الضوء على القضايـــا الفنية في شعر الشاعـــر ٠

يضاف الى ذلك مختلف الكتب والدراسات المتخصصة في هذا الجانب أو ذاك ، مما هو مثبت في قائمة المصادر والمراجـــع ٠

4 ـ الصعوبـــــــات :

ان الصعوبات التي واجهتها في هذا البحث كثيرة ،منها الشخصية ،والادارية والعملية ،وسأكتفي منها بذكر تلك الصعوبة المتمثلة في تفرق المادة الشعرية في الصحف ، حيث قضيت وقتا طويلا في التنقل بين المكتبة الوطنية والمكتبة الجامعية والمكتبات الخاصة ومسقط رأس الشاعر ،وفي الاتصال بالاشخاص من أجل الحصول عليها ،فأنفقت ما يقارب الستة أشهر في ذلك ٠ ٠

وفي الختام أوجه شكري وامتناني الخالص الى أستاذي الدكتور محمد ناصر الذي كان لي خير موجه ومعين طيلة مدة هذا البحث ،الذي تابعه منذ أن كان فكرة في ذهني الى أن تم انجازه على هذه الصورة ،حيث تحمل في ذلك عناء كبيرا ،وضحى بوقت ثمين من أجل قـراءة هذه الصفحات العديدة ،ومناقشتي في كل قسم أنجزه بروح الاستاذ المتخلق ،فلم يفرض علـى فكرة ،ولم يلزمني برأي أبدا ٠

كما أوجه شكري الخالص الى الاساتذة الافاضل الذين قبلوا مناقشة البحث ،وتجشموا عناء قراءته ،ولا يفوتني أيضا أن أشكر كل الذين ساعدوني بكلمة تشجيع أو أمدوني بمرجع أو وثيقة أو معلومات ٠

واني اذ أدعو الله أن يثيبني على الجهد الذي بذلته ،أتمنى ألا أكون قد أسأت الى الشاعر ،والادب الجزائري بقدر ما أحسنت اليهمـا ٠

" واللـه الموفـــق "

ش ٠ مريبعـــي

التمهيـــــد

الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي بالجزائر في ما بين (1919 ـ 1954) .

أولا : الوضع السياسي

يرجع كثير من المؤرخين والدارسين تاريخ انطلاق النهضة الوطنية الجزائرية الى نهاية الحرب العالمية الاولى عام 1919م ،فيعتبرون هذا التاريخ فاصلا حاسما في تاريخ الجزائر الحديث ،ونقطة تحول جذري في حياتها من جميع الوجوه.(1)

فقد شاهدت الساحة السياسية بدءا من هذه السنة تبلور الوعي السياسي ،ويقظة الشعور الديني والوطني أكثر من ذي قبل ،ولا أدل على ذلك من أن فترة العشرينيات قد عرفت بداية تشكل الحركة الوطنية ،وزرعت خلالها بذور الاحزاب السياسية التي لعبت دورا هاما في نمو الوعي لدى الجماهير ،ودفعها الى المطالبة بحقها في الحرية والاستقلال .

فمنذ أن عاد الجزائريون من الحرب العالمية الاولى انتابهم شعور بالخذلان والذل ،وأحسوا بأنهم مضطهدون ومسخرون لخدمة غيرهم ،وأن حياة أهليهم لم تتغير قدر قلامة ،بل ازدادت بؤسا وشقاء ،وأدركوا أن وعود فرنسا بتحسين أوضاعهم لم تكن الا أكذوبة وخدعة ،تهدف من ورائها ضمان دفاع أبناء الجزائر عنها ضد أعدائها .

كما مكنتهم مشاركتهم في هذه الحرب من اختبار قدراتهم والمقارنة بين ما قدموه في ميدان المعركة ،وما قدمه أبناء فرنسا نفسها ،بل قارنوا بين عددهم وعدد الفرنسيين(2) فرأوا بأن فرنسا لا تنظر اليهم الا على أساس أنهم عبيد وخدم لها .

---

(1) د . صالح خرفي ،المدخل الى الادب الجزائري الحديث ،سلسلة في الادب الجزائري ،ش . و . ن . ت (الجزائر) 1983،ص11 .

(2) كان عدد الجزائريين المشاركين في الحرب 173 ألفا ،سقط منهم 25 ألفا مقابل 22 ألف فرنسي ،د . شارل روبير آجرون ،تاريخ الجزائر المعاصرة ترجمة عيسى عصفور ،عويدات (بيروت) سلسلة "زدني علما" ،ط/1 ،1982 ص116 .

وقد كان الامير خالد[1] على رأس النخبة الوطنية التي انتابها الشعور بالمرارة والشعور بالقدرة على الكفاح من أجل العيش في ظل الحرية ،فسارع الى تأليف هيئة عمالية للمطالبة بتطبيق تصريحات الرئيس " ولسون " على الجزائر، واعطاء أبنائها حق تقرير المصير ، ولكنه عاد الى الجزائر دون نتيجة ،فأنشأ هيئة سياسية أسماهـا " وحدة النواب المسلمين " ،وأقام لها جريدة حرة أسماها " الاقدام " ،وأخذ يطالب فيها بضرورة اصلاح الاحوال ببلاده ،على أساس المساواة بين الجزائريين والفرنسيين والغاء القوانين الاستثنائية وما الى ذلك[2]

ثم نشأت حركة وطنية جزائرية أخرى بين طوائف العمال الذين خدموا في المصانع والمناجم بفرنسا ،حيث أحسوا بانخفاض أجورهم ،وتعرضهم للبطالة ،واتجهت مطالبهم الى النواحي الاجتماعية ،مع الاعتزاز بالجانب الوطني والقومي . وقد بدأت هذه الحركة عملها بصورة فعلية في سنة 1926م تحت اسم " نجم الشمال الافريقي "[3] ،واستطاعت أن تفرض الفكرة الوطنية في الساحة السياسية بفرنسا ،وأن تعرف بهوية الشعب الجزائري وقضيته ولكن سلطات الاحتلال تنبهت الى خطورة هذا الحزب ومدى تهديده للسياسة الفرنسية بالجزائر ،فعمدت الى حله في عام 1929م ،الا أن فتيل النزعة الوطنية الذي أشعله بقي متقدا ،وظلت ناره متأججة في الخفاء ،خاصة بعد أن امتد لهيبه الى أرض الوطن فاستمر أعضاؤه يعملون سرا الى أن ظهر في 1933 من جديد ،فما كان من السلطات الفرنسية

(1) من أحفاد الامير عبد القادر ،ولد بدمشق عام 1888م ،وانتقل الى الجزائر تخرج في المدرسة العسكرية الفرنسية ،وشارك في الحرب العالمية الاولى ،ونال رتبة عقيد ،وبعد الحرب اتجه الى الكفاح السياسي الى أن نفي الى مصر ،ثم عاد الى نشاطه الذي استمر الى أن وافته المنية عام 1936م بدمشق .

(2) عبد الحميد زوزو ،دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 ـ 1939) ،ش . و . ن . ت . سلسلة الدراسات الكبرى بدون تاريخ ،ص53 ،54 .

(3) المرجع السابق ،ص55 ـ 70 . وكذا ،محمد قنانش ،الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (1919 ـ 1939) ،ش . و . ن . ت (الجزائر) 1982 ،ص35 ـ 40 .

الا أن أحظرت نشاطه ،وألقت القبض على أعضاء قيادته حيث أودعتهم السجن (1).

وفي الوقت الذي كان فيه زعماء حزب نجم الشمال الافريقي رهن الاعتقال ،ونار الغليان والغضب مشتعلة في أوساط الجماهير احتفلت فرنسا بمرور مئة عام على احتلال الجزائر ،فكانت الاحتفالات اهانة كبيرة للاهالي ،وطعنة لكرامتهم ،فقاطعوها ،وأضربوا احتجاجا على اقامتها • وقد زادت من غضب الشعب فتألب على فرنسا أكثر من ذي قبل واتسعت الهوة بينه وبين مستعمريه الذين أخذ عداؤهم له يتجلى يوما بعد آخر ،وأضحت نيتهم السيئة تتكشف مع مرور الزمن •

وفي هذه الاثناء رأى رجال الاصلاح الديني أنه من الضروري توحيد الجهود بتوحيد الصف وجمع الشمل ،فأسسوا " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " في 5 ماي عام 1931م .(2)

ورغم الطابع الديني الاصلاحي لهذه الجمعية ،الذي ينص عليه البند الثالث من قانونها الاساسي (3) الا أن الجانب السياسي كان بارزا في أعمالها ،ونشاطاتها المختلفة حتى انه يمكن القول ان ما قامت به في حقل السياسة يكاد لا يقل حجما عما قامت به بقية الاحزاب •

وقد استطاعت جمعية العلماء أن تحدث انقلابا جذريا في حياة الشعب الجزائري الدينية والثقافية خاصة ،وتمكنت من النفاذ الى قلوب جمهور عريض في المدن والقرى

(1) د • جلال يحي ،السياسة الفرنسية في الجزائر من 1830 الى 1960 ،دار المعرفة ط/1 ،1959 ،ص283 ،284 •

(2) انظر مذكرات الشيخ محمد خير الدين ،ج /1 ،ومذكرات أحمد توفيق المدني "حياة كفاح" ج /1 ،وكذا عبد الكريم بوالصفصاف ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية •

(3) ينص هذا البند على أن جمعية العلماء هي جمعية دينية اصلاحية لا دخل لها بالسياسة •انظر ،سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،ط/دار الكتب (الجزائر) ،1982 ،ص 5 من الملحق •

والمداشرعلى السواء ،وقد خولتها مساجدها ومدارسها[1] ونواديها التي أقامتها في كل أنحاء الوطن استقطاب عامة الناس ،وقد كانت نتائج أعمالها ملموسة ،فقوي ايمان الشعب بمبادئها ،وأحب المواطنون رجالها ،واستمعوا لندائهم ،وتعلقوا بهم ،ونظروا اليهم على أنهم مثل أعلى ينبغي أن يحتذى ،وربما أتيح لها في ذلك ما لم يتح لحزب سياسي آخـــر فبالمساجد كان ائمتها يلقنون الشعب دروس الوعظ والارشاد مع المبادئ الوطنية ،وفـــي مدارسها كان أبناء الجزائر يتعلمون مختلف ضروب المعرفة ،ويتشربون الروح الوطنيـــة ويتكونون تكوينا عربيا اسلاميـــا .

وفي منتصف الثلاثينيات يطلق سراح زعماء حزب نجم الشمال الافريقي ،فيخرجون مـــن السجن وكلهم اصرار وعزم على مواصلة النضال من أجل افتكاك حقوق الشعب ،وتخليص الوطن من نير العبودية ،ولعله لاول مرة في تاريخ الجزائر المستعمرة يحتشد بضعة آلاف جزائري ليستمعوا الى خطاب سياسي ،يطالب فيه صاحبه[2] بالاستقلال التام سنة 1936م ،ويعلـــن بذلك عن ميلاد حزب " الشعب " الذي سارع الى تأسيس جريدة ناطقة باسمه هي جريـــدة " الشعب "[3] التي كانت جريئة فخاطبت المستعمر بلهجة لم يكن يسمعها من قبل ،مما جعله يسارع الى وأدها في أعوامها الاولى ،ويسارع أيضا الى تكميم أفواه رجال الحزب ،وخاصـــة زعماءه الذين شتت شملهم ما بين السجن والمنفى[4] ،وبذلك يختفي هذا الحزب الوطني من جديد

---

(1) يقول شارل روبير آرجون :انه بلغ عدد هذه المدارس 90 في عام 1947 ،و 181 فـــي عام 1954 ،منها خمس مدارس دينية ،وتضم 40 ألف تلميذ : انظر تاريخ الجزائـــر المعاصرة للمؤلف ،ص 142 .

(2) ألقى الخطاب مصالي الحاج ،بملعب 20 أوت حاليا ،ينظر ،محمد قنانش ،الحركـــة الاستقلالية في الجزائر ،ص 72 ،وقد نقل الدكتور أبو القاسم سعد الله فقرات من هذا الخطاب في كتابه " الحركة الوطنية الجزائرية " (1930 ــ 1945) ،معهد البحوث والدراسات العربية (مصر) ،ط/2 ،1977 ،ج /3 ،ص (279 ــ 282) .

(3) صدر منها عددان فقط ،ثم أغلقها المستعمر ،وزج برئيس تحريرها في السجن ،انظـــر محتوى العددين في "الحركة الاستقلالية" لمحمد قنانش ،ص (104 ــ 151) .

(4) حظر نشاط الحزب يوم 1939/08/24 ،محمد قنانش ،الحركة الاستقلالية ،ص 101 .

بعد أن خلف وراءه صدى عميقا في نفوس الجماهير، وترك زعماؤه خطبا رنانة يتردد جرس كلماتها في الآذان، وخلد ذكراه نشيده [1] الذي لهج بذكره كل لسان .

وفي تلك الاثناء كانت الاستعدادات للحرب العالمية الثانية جارية على قدم وساق وكانت الجزائر غير بعيدة عن أتون هذه الحرب، حيث زج بأبنائها فيها موعودين بالحصول على حريتهم اذا ما انتصرت فرنسا على أعدائها، ولتتكرر من جديد تجربة عام 1914، وتتكرر معها مأساة الشعب الجزائري .

وفي سنة 1940م يفقد الشعب الجزائري زعيم الحركة الاصلاحية الامام عبد الحميد ابن باديس، فيضاف الى أحزانه حزن جديد لاعزاء له فيه سوى ما خلفه هذا الرجل من نهضة فكرية وعلمية، ورجال ساروا على دربه، وصدقوا ما عاهدوه عليه .

وعندما وضعت الحرب الثانية أوزارها قام الجزائريين يطالبون بحقهم الموعود في الحرية، ونظموا من أجل ذلك مظاهرات سلمية في عدة مدن وقرى بالشرق الجزائري فما كان من السلطات الاستعمارية الا أن قامت بمجزرة رهيبة غذاها المعمرون، وشاركوا فيها، وذهب ضحيتها خمسة وأربعون ألفا من المدنيين [2]، وكان من نتائج تلك المجزرة الوحشية التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الجزائر أن تعمقت الهوة الفاصلة بين الشعب والمستعمر، فلا وعود فرنسا أصبحت تجد آذانا صاغية، ولا الاتجاه المعتدل في الحركة الوطنية ظل يؤمن بامكانية التعايش بين الجزائريين والاوربيين تحت راية الدولة الفرنسية على أساس المساواة .

---

(1) نعني به نشيد " فداء الجزائر " من تأليف الشاعر مفدي زكرياء، ومطلعه :

فداء الجزائر روحي ومالي — ألا في سبيل الحرية

فليحي حزب الشعب الغالي — ونجم شمال افريقية

(2) في تفاصيل ذلك ينظر: د : يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط/ دار البعث (قسنطينة) ، ط/1، 1980 ص (289 ـ 292) .

ومن هنا ظهر تحول جديد في مسار الحركة الوطنية التي كانت تضم الى نهاية الحرب العالمية الثانية في 1945 - حسب بعض المؤرخين - أربع اتجاهات رئيسية هي: الاتجاه الثوري، والاتجاه المعتدل، والاتجاه العالمي، والاتجاه العربي الاسلامي. (1)

فبالنسبة للاتجاه الاول الذي تبناه الامير خالد، ثم نجم الشمال الافريقي، ثم حزب الشعب تبلور في شكل المنظمة السرية في 1948، ثم اللجنة الثورية للوحدة والعمل ثم في شكل جبهة التحرير الوطني التي أعلن عن ميلادها في أول نوفمبر عام 1954 وأصبح هذا الاتجاه يحبذ العمل المباشر، خاصة في عهد المنظمة الخاصة ثم اللجنة الثورية ثم جبهة التحرير.

وبالنسبة للاتجاه الثاني الذي تمثله النخبة، تبخرت أحلامه بعد حوادث 8 ماي 1945، التي أضافت درسا جديدا للحركة الوطنية كاملة، ومع ذلك تمادى أصحابه في موقفهم، وايمانهم بالوسائل الديمقراطية لتحقيق أهدافهم، غير أنهم استيقظوا على دوي مدافع الثورة فانضموا اليها.

أما الاتجاه الثالث فظل على موقفه المذبذب المرتبط بمسائل عالمية، وبحلفاء خارج الوطن يدين لهم بالولاء.

وفيما يتعلق بالاتجاه الرابع الذي كان له الدور الاعظم في الحفاظ على الشخصية العربية الاسلامية للجزائر، فقد عمل أصحاب هذا الاتجاه جاهدين من أجل ربط الجزائر بالعالم العربي، وسعوا سعيا حثيثا لتوجيه أنظار الشباب نحو الشرق ردا على تيار التغريب الذي كان يسعى أصحابه الى ربط مصير الشعب الجزائري بأوربا ثقافيا

---

(1) هذا التقسيم من وضع الدكتور أبو القاسم سعد الله، انظر الاتجاهات الثقافية والفكرية للحركة الوطنية الجزائرية، مقال بجريدة الشعب (اليومية)، العدد 5601، 1981/11/01، وهو قريب من تقسيم الدكتور جلال يحي الذي يصنف الاتجاهات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية الى يسار، ووسط، ويمين، انظر كتابه: [illegible] ص 287.

وحضاريا ودينيا أيضا ،وقد ساعد الجمعية على النجاح في مساعيها التفاف الجماهير حولها ،حيث منحها الشعب ثقته ،وألقى اليها بفلذات كبده لترعاهم وتربيهم ،وتنشئهم تنشئة عربية اسلامية أصيلة .

وقد حاولت ادارة المستعمر -عبثا- تحطيم هذا الدور، سواء باقامة مشاريع موازية لمشاريع جمعية العلماء ،أو باستئجار نفوس البعض من ضعاف الايمان بالوطن لضرب الحركة الاصلاحية (1) ،أو بحوك المؤامرات والدسائس (2) أو أساليب الترهيب ،والقرارات التعسفية المتعلقة بغلق المساجد والمدارس الحرة ،والزج بالمعلمين والائمة في غياهب السجون لحملهم على التنازل عن رسالتهم تجاه الشعب والوطن .(3)

وبالرغم من كل الحملات التي استهدفت ضرب الاتجاه العربي الاسلامي ممثلا في " جمعية العلماء " الا أن هذا الاتجاه أخذ يقوى ويشتد يوما بعد آخر،وما ان حلت الاربعينيات حتى تخرجت الدفعات الاولى من أبناء جمعية العلماء الذين كانوا بارزين بها ،معترفين لها بالجميل ،فانضموا الى صفوفها مناضلين في سبيل مبادئها ،وكان منهم الكاتب والشاعر ورجل الدين ،مما ساعد على تغذية الحركة وتطعيمها بعنصر الشباب الذي نشط مشاريعها ،ووسعها ،وكثف أعمالها ،وظلت بفضله قوية الى منتصف الخمسينيات .

وهكذا يتبدى لنا أن النضال السياسي والوطني في الجزائر كان يسير في خط تصاعدي منذ مطلع العشرينيات ،الى قيام الثورة التحريرية ،وأنه كانت تتجاذبه عدة تيارات اختلفت اتجاهاتها باختلاف التكوين الفكري والايديولوجي لاصحابها ،ولكنها كانت جميعا

---

(1) نذكر في هذا المجال " جمعية علماء السنة " التي كان أعضاؤها من رجال الدين الرسميين العاملين تحت وصاية الادارة الاستعمارية ،المكونة سنة 1931 .

(2) مثل مؤامرة اغتيال المفتي كحول التي دبرها المستعمر،واتهم الشيخ الطيب العقبي بتورطه في العملية ،وكان الهدف منها حل جمعية العلماء .

(3) نذكر في هذا الشأن قانون 8 مارس 1938 الذي ينص على اغلاق مدارس ومساجد الجمعية ،وحبس رجالها متى دعت الضرورة لذلك .

تجتهد في الوصول الى تحقيق سعادة الانسان الجزائري ،وتخليصه من ربقة العبودية والاستغلال .

ورأينا أيضا أن المستعمر نظر الى تلك التيارات السياسية نظرة واحدة ،فنكل برجالها وحاك الدسائس والمؤامرات ضدهم ،فسجن ،ونفي ،وقتل ،ولكن لهيب الوطنية كان يزداد ضراوة وشدة مع مرور السنين ،حتى أفضى الى ما تقوض ور الاستعمار الاستيطاني من أساسها .

ثانيا : الوضع الاجتماعي :

ان أشتداد الوعي الوطني والقومي الذي شهدته الجزائر منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ،كان ينمو ويتطور في ظل ظروف اجتماعية قاسية ،وقد كانت تلك الظروف تزداد سوءا يوما بعد آخر نتيجة لسياسة التجويع التي اتبعها الاستعمار الاستيطاني الذي ابتليت به البلاد ،حيث ما فتئ يعمل - منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر في عام 1830م - على انتزاع الاراضي الخصبة من أصحابها الشرعيين بأساليب متعددة ،وتمليكها المعمرين (1) الذين تقاطروا على البلاد ،ليس من فرنسا فحسب ،ولكن من جميع أنحاء أوربا. (2) وقد لاذ الاهالي بالجبال ،واحتموا بالمرتفعات فرارا من التنكيل الجهنمي ،والمغارم الباهضة التي فرضت عليهم (3) وأخذوا يبحثون عن مصادر أخرى للرزق ،فلم يجدوا الا طريقين هما : الاشتغال بأراضي المعمرين بأجور زهيدة ،أو الهجرة الى فرنسا لتعاطي مهن بسيطة وحقيرة وشاقة في أفران المصانع. (4)

(1) أشرف النظام الفرنسي على بناء 928 قرية استيطانية ،ووزع على المعمرين الاوربيين ما مجموعه 1498223 هكتارا من الاراضي ،انظر :عبد الحميد زوزو ،دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية ،ص39 .

(2) انظر في هذا المجال :شارل روبير آجرون ،تاريخ الجزائر المعاصرة ،ص88 .

(3) كان الجزائريون يدفعون 60٪ من الضرائب حسب احصائية سنة 1931 .

(4) بلغ عدد المهاجرين 71028 في سنة 1924 ،انظر :عبد الحميد زوزو ،دور المهاجرين الجزائريين ،ص18 .

واذا كانت الهجرات قد توالت في بداية الامر بصورة جماعية وفردية ،فان بابهـا لم يبق مفتوحاعلى مصراعيه ،اذ كثيرا ما ضيق أو أغلق (1)،حتى لم يبق أمام الجزائريين سوى سبيل واحد للعيش وهو العمل لدى المعمرين .

وقد زادت الازمة الاقتصادية التي انعكست عن الحرب العالمية الاولى من بؤس الشعب الجزائري وشقائه ،وضربت المجاعة حدتها خاصة في عامي 1920 ،1921 (2) وذلك في الوقت الذي كان فيه المعمرون والاقطاعيون يزدادون ثراء ،حيث انتهـزوا سنوات الحرب لتمويل السوق الاوربية بالمواد الغذائية التي كان الاهالي أحوج اليهـا من غيرهم ،الامر الذي يفسر تلك الموجة من المقالات عن البطالة والمجاعة والفقر .

وقد تميز الوضع الاقتصادي في الجزائر خلال الثلاثينيات أيضا بانخفاض حاد فـي أسعار المواد الفلاحية ،وانهيار سوق الحبوب ،وسقوط قيمة الاجور ،وتعطل المشاريع العامة ،والزيادة الكبيرة في نسبة البطالة ،وانخفاض مستوى المعيشة العام الذي كـان يعانيه الفلاحون أكثر من غيرهم .(3)

وبالاضافة الى الفاقة التي كانت الجماهير تعاني منها انتشرت الاوبئة ،والامـراض المعدية التي فتكت بآلاف الجزائريين في غياب الرعاية الطبية ،(4) والتغذية الضروريـة بل ان المستعمر كان لا يتورع عن التقتيل الجماعي ،فأباد قرى ،وأحرق مداشر ،ودمر مدنا بمن فيهـا .

وأمام هذه الوضعية المأساوية كان المستعمرون يروجون بأن من أسباب المصاعـب

---

(1) صدرت في هذا الشأن ثلاثة مراسيم لتنظيم الهجرة ،الاول في 1924 ،والثانـي في 1926 ،والثالث في 1928 ،انظر :عبد الحميد زوزو ،دور المهاجرين الجزائريين ص 18 .

(2) د . أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية (1930 – 1945) ج 3/ ،ص

(3) د . أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (1930 – 1945) ص 40 .

(4) كان بالجزائر 100 طبيب في سنة 1938 ،و 165 طبيبا وصيدليا وطبيب أسنان في سنة 1954 ،انظر :د . أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج 3/ ،ص 42 وكذا ،شارل روبير آجرون ،تاريخ الجزائر المعاصرة ،ص 137 .

الاقتصادية زيادة حجم السكان الملحوظ،[1] والعقلية الخرافية للشعب الجزائري ،وتمسك رجال الدين بقشور الاسلام لا بلبابه ،ويرون أن فكرة الترمت عند المسلمين أكبر عائق في وجه التطور ،ولكنهم — في نفس الوقت — أيدوا المرابطين ،والزوايا التقليدية ،لانها في نظرهم عامل أستقرار وأمن ،بدليل مهاجمتها من العناصر المعادية لفرنسا ،كما رعوا زيارة الاضرحة ، والشطحات الصوفية ،وكل ما من شأنه تخدير الشعب ،وابقاؤه في غفلته •

ومما زاد المأساة الاجتماعية تعقيدا ،أن المستعمر شجع الفساد والانحلال الاخلاقي ففتح الحانات ،ويسر الطريق الى العربدة والفجور ،فارتمى الشباب البائس في أحضان الانحراف الخلقي ،في ظل الفراغ الثقافي والفكري ،وانعدام التوجيه السليم ،الامر الذي يفسر ذلك الفيض الغزير في عدد المقالات الاجتماعية التي بحث أصحابها عن الاسباب التي كانت تشل أعضاء المجتمع الجزائري عن الانطلاق ،وعالجوا مختلف الامراض الاجتماعية ووصفوا في الوقت نفسه الدواء لهذه العلل .[2]

هذا الى جانب الاجراءات التعسفية ،والقوانين الاستثنائية ،[3] التي كان المستعمر يعامل السكان الاصليين على أساسها ،والتي اتخذت منها ادارة الشؤون الاهلية مبررا لممارسة المزيد من الاعمال الاجرامية في حق الشعب الجزائري ،وتشديد الخناق عليه لاجباره على الخضوع والاستسلام •

وهذه المعاملة الخاصة التي كان المستعمر يعامل بها أبناء الجزائر هي التي

---

(1) 6 ملايين نسمة حسب احصائية سنة 1935 •

(2) انظر في هذا الشأن : د • محمد ناصر ،المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها ،تطورها أعلامها)من 1903 الى 1931 ،ش•و•ن •ت ، 1978 ،المجلد / 1 ، ص (203 — 267) •

(3) سنت القوانين الاستثنائية (الانديجينا)عام 1897م ،وحددت بموجبها سلسلة من العقوبات غير المألوفة في القانون العام ،من اعتقال ،ووضع تحت الرقابة ،وغرامات جماعية ،ومصادرات فردية أو جماعية ،وفرضت بموجبها أيضا رخصة سير داخلية من أجل تنقل الاهالي خارج قراهم ،ولم تلغ هذه القوانين الا في سنة 1930م •

أدت الى ظهور تيار في الحركة الوطنية ،يدعو الى المساواة ،وتحقيق العدالة الاجتماعية ومعاملة الاهالي معاملة انسانية .

بل ان مأسي الشعب الجزائري هزت حتى نفوس بعض الفرنسيين من الكتاب ورجال السياسة ،ولكن المستوطنين كانوا يقابلون كل حاكم لا يرضيهم بالكراهية ،والسخط عليه حتى يضطر الى حزم حقائبه ،والعودة الى باريس ،كما حدث مع " فيوليت "،(1) الذي أظهر بعض التعاطف مع الجزائريين،(2) فتعرض لانتقادات شديدة من طرف المستوطنين ،وقدم استقالته تحت ضغوطهم .

وقد ألف " فيوليت " كتابا(3) يعتبر وثيقة صارخة تدين المستعمرين – قدم فيه صورا مريعة – استخلصها من التقارير العسكرية – للحالة الصحية المتدهورة التي يعانيها أفراد الشعب ،فقد تبين أن 50٪ من المجندين رفضهم الفحص الطبي لامراض ناتجة عن سوء التغذية ،وانعدام الرعاية الصحية .(4)

والحقيقة أن الادارة الفرنسية كانت تظهر بعض اللين من حين لآخر ،انتهزه رجال الحركة الوطنية للمطالبة بتحسين الاوضاع الاجتماعية ،ولكن السلطة التي كانت تعد بالاصلاحات لم تطبق الا النزر القليل الذي لا يضر بمصالح المعمرين ،ولا يهدد وجودهم وسيادتهم على الجزائر ،وكانت تلجأ الى المراوغة في الغالب ،فتبقي مشاريع الاصلاح مجرد وعود كاذبة .

(1) موريس فيوليت ،اشتهر كوال عام على الجزائر في سنة 1926م ،ورئيس للجنة من مجلس الشيوخ الفرنسي للتحقيق في حالة الجزائر سنة 1931م ،قدم استقالته بعد سنتين من حكمه للجزائر .

(2) صرح في سنة 1927 منتقدا السياسة الفرنسية في الجزائر : ((ان الجزائريين متأخرون لان شبابهم جهلاء مهملون ،متأخرون لان آباء أولئك الشباب أفقرتهم الضرائب بأنواعها ،واليد الاستعمارية التي استحوذت على أراضيهم ...)) ،جريدة وادي ميزاب ،30 ،1927/04/06 ،نقلا عن د . صالح خرفي ،المدخل الى الادب الجزائري الحديث ،ص39 .

(3) هو كتاب " هل تحيا الجزائر ؟ " ،طبع في باريس سنة 1931م .

(4) أحمد توفيق المدني ،كتاب الجزائر ،دار المعارف (القاهرة) ،ط/2 ،1963 ،ص335 .

واذا كانت هناك وعود تستحق الذكر،فانها الوعود التي تبجحت بها السلطـــة الاستعمارية في الثلاثينيات،[1] عند ما كانت فرنسا تستعد ـ كغيرها من الدول ـ لخوض غمار الحرب العالمية الثانية ،واذا كانت أكاذيب فرنسا مراتب ،فان أعلاها مرتبة هي أكذوبة منح الجزائر استقلالها اذا ما تحقق لها النصر على ألمانيا .

ولم تبق المسألة مجرد وعد واخلاف له ،واستهتار بشعور أبناء الشعب ،ولكنها تعدت ذلك الى ما هـو أبعد وأخطر ،فلم يجن الشعب الجزائري من ثمار تحرير فرنسا من النازية الذي شارك أبناؤه في صنعه بأرواحهم ودمائهم سوى المزيد من الجراح ،وكانت مأســـاة الثامن ماي 1945 ـ التي أشرنا اليها من قبل ـ أكبر طعنة توجه الى مشاعر هذا الشعب.

ولعل تلك الحادثة المروعة كانت آخر خديعة يقع الجـزائريـــون ضحيتها ،وآخر حيلة تنطلي عليهم ،وآخر أمل في امكانية التعايش بين الشعب الجزائري والمستوطنين تحت الراية الفرنسية بالنسبة للسواد الاغلب من أفراد الامة ،ولمعظم رجال الحركة الوطنية بمختلـــف اتجاهاتهـــا .

واذا كانت فترة ما بين الحربين قد امتازت باشتداد فقر الشعب ،ومرضه ،وجهلـــه فان الفترة التي أعقبت الحرب الثانية كانت أشد وطأة عليه ،فالازمة الاقتصادية العالميـــة الناجمة عن هذه الحرب تبدو وكأنها حطت رحالها بأرض الجزائر ،وأعباء الحرب تبدو وكأن الجزائر قد تحملتها وحدها ، فقـد تناقصـت المحــاصيـل الزراعيـــة بشكـــــل

---

(1) انظر تفاصيل تلك الوعود ،في كتاب الدكتور أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنيـــة الجزائرية ،ج 3/ ،ص(16 ـ 20) ،وفي مقدمة تلك الوعود والمشاريع الاصلاحيـــة التي بقيت بدون تطبيق، " مشروع فيووليت" الذي احتوى على 8 فصول و 50 مادة وأهم ما اقترحه فيه هو اصلاح التعليم ،القيام باصلاح زراعي ،تأمين نفس الحقوق والواجبات التي الفرنسيين لبعض الجزائريين ،الغاء المحاكم الخاصة بالجزائريين زيادة حقوق الجزائريين لانتخاب ممثلين عنهم في مجلس الشيوخ ،وزيادة ممثليهـــم في المجالس المحلية ،انشاء مجلس استشارة في باريس يتكون من تسعة جزائريـــين الخ ... وقد دخل المشروع البرلمان الفرنسي في أوائل الثلاثينيات ،وظل بين جزر ومد الى أن قبر سنة 1938م .

منازل،[1] وافتقرت الجزائر — وقد بقيت بدون صناعة — الى الدقيق، والمواد المصنوعة والالبسة، وزاحمت آلام جديدة ترهق من هم أفقر الناس، يضاف الى ذلك الجمهور الضخم من العاطلين وغير المستخدمين،[2] مما جعل الشعب ينوء بتلك المشاق، فاستعاض عن الطعام بالنبات البري يسد به رمقه، وأصبح لا يعرف من خيرات أرضه الا الاسماء التي علقت بذهنه، فسئم الحياة وأضحى لا يخشى الموت، خاصة اذا كان في طلب العزة والكرامة، حتى اذا اندلعت الثورة التحريرية في 1954م رمى بكل ثقله فيها، لانه رأى فيها المخرج الوحيد من تحكم المعاناة، وسيطرة العدو.

واذا كانت السلطة الاستعمارية قد عبرت عن نيتها مرة أخرى في اصلاح الاوضاع الاجتماعية،[3] فان ذلك التعبير لم تترجمه أعمال محسوسة بالقدر الذي يهيء للشعب عيشا كريما، واستقرارا نفسيا، وكل ما فعلته السلطة انما كان مراوغة لربح الوقت من أجل وضع مخطط جديد للتسلط والهيمنة، ومحاولة يائسة لكسب ولاء الشعب الذي كانت نقمته تزداد يوما بعد آخر، فظهرت سلسلة من القرارات والمشاريع الجوفاء في الاربعينيات وبداية الخمسينيات، على غرار تلك التي تشدقت بها فرنسا في الثلاثينيات، ولكن ارادة الشعب في الحرية كانت أقوى من أن تحطمها الحلول الجزئية، والمشاريع المشلولة.

---

(1) هبط انتاج الحبوب الذي كان 9،6 مليون قنطار بين 1909 و 1910م الى 16 مليونا بين 1921و1930م، والى 14 مليونا بين عامي 1940و1948م
انظر: شارل روبير آجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ص129.

(2) كان هناك مليون ريفي عاطل عن العمل في 1,954، انظر نفس المرجع، ص129.

(3) من ذلك مثلا توقيع شارل ديغول قرار الغاء التدابير الاستثنائية، المطبقة على المسلمين في 1944، ومشاريع الاصلاح التي تبناها شارل ديغول نفسه، في خطابه يوم 1943/12/12 بقسنطينة، واعلان دستور الجزائر في 1947، وغيرها من المشاريع السياسية والاجتماعية، التي قابلها رجال الحركة الوطنية والشعب بالرفض.

ثالثا : الوضع الثقافي .

ان المستعمر الفرنسي أردف بسياسة التجويع والتشريد التي انتهجها في الجزائر سياسة التجهيل والتنصير ، فليس هناك من يشك في أن الحملة الفرنسية على الجزائر كانت صليبية في أهدافها وغاياتها ، ولا أدل على ذلك من تصريحات قادة الحملة ورجالها(1) مما يطول ايراده ، والحديث عنه ، ولكن طابع الرفض الذي قابل به الشعب الجزائري سياسة الفرنسة والتغريب ، عن طريق التمسك الشديد بمقومات شخصيته العربية الاسلامية ، وكذا عدم استسلامه للامية والجهل ، وسعيه الدؤوب لكسب الثقافة والمعرفة بالاعتماد على النفس أبطل مفعول السياسة الفرنسية ، وأفشل حسابات العدو .

فمنذ مطلع القرن العشرين برزت الى الوجود حركة اصلاحية وطنية ، انتشرت بسرعة في جميع أنحاء البلاد ، وأخذت تقوى وتشتد مع مرور الايام ، وما ان حلت العشرينيات حتى كانت هذه الحركة تقف على رجليها ، وتساهم بفعالية في نهضة الجزائر الادبية والعلمية .

وكانت الطباعة عاملا مساعدا على تحقيق هذه الغاية ، واذا كانت الطباعة قد بدأت رسمية بيد سلطة الاحتلال ، فانه ما لبث أن أصبح الجزائريون يمتلكون مطابع خاصة بهم مما ساعد على ظهور الصحافة وانتشارها ، وهكذا شهدت فترة العشرينيات ميلاد صحف وطنية عديدة منها : الشهاب (1925) ، صدى الصحراء (1925) ، وادي ميزاب (1926)

---

(1) من ذلك : ربح الكاردينال " لافيجري " الذي قال فيه : ((علينا أن نخلص هذا الشعب ، ونحرره من قرآنه ، وعلينا أن نعنى - على الاقل - بالاطفال لننشئهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم ، فان واجب فرنسا تعليمهم الانجيل ، أو طردهم الى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر .)) . وقال سكرتير الجنرال " بيجو " : ((آخر أيام الاسلام قد دنت ، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر اله غير المسيح أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا الا اذا أصبحوا مسيحيين جميعا .)) ، انظر : محمد الصالح الصديق ، الجزائر بين الماضي والحاضر ، سلسلة كتب سياسية ، رقم 134 الدار القومية (القاهرة) ، 1960 ، ص 35 .

الاصلاح (1927) ،البرق (1927) [1]،وقد لعبت الصحافة دورا بارزا في تطور الادب الجزائري ،وساهمت في بعث حركة علمية وأدبية نشيطة ،فاتخذها رجال الاصلاح الديني والوطني منابر لبث آرائهم ،وانتقاداتهم ،كما كانت ميدانا تتسابق فيه أقلام الكتاب والشعراء فساهمت في تكوين طائفة من الادباء الشباب الذين سهرت على توجيههم ورعاية مواهبهم وتشجيعهم [2]،كما كان لها دور هام في احياء التراث القومي ،فانبرت أقلام بعض المثقفين تعرف بتاريخ الجزائر ،ورجالها ،وعلمائها وأدبائها ،يضاف الى ذلك كونها قد ربطت الجزائر بالعالم العربي ،فكانت لا تفتأ تعرف بالانتاج الادبي المشرقي ،والصراع الفكري في الساحة العربية ،وتتابع باهتمام مختلف التجليات الثقافية ،كما قربت الصحافة أحداث العالم من القارئ الجزائري الذي تفتحت عيناه عما يجري خارج وطنه ،وكانت بمثابة النافذة التي يطل من خلالها على هذا العالم .

كما لعبت النوادي والجمعيات الثقافية [3]،والمؤسسات الدينية دورا بارزا في تنشيط الحياة الثقافية ،فقد انخرط الشباب والعمال والطلبة في هذه المؤسسات التي كانت تلقى فيها المحاضرات والدروس ،وتجمع التبرعات وتقدم الاعانات ،وتجرى المناقشات مما أدى الى بلورة تفكير طبقة واسعة من أفراد المجتمع ،وساهم في تقوية روح التضامن والاخاء بينهم .

---

(1) عن " تاريخ الصحافة في الجزائر " انظر :د . محمد ناصر ،الصحف العربية الجزائرية
وكذا : الزبير سيف الاسلام ،تاريخ الصحافة في الجزائر .

(2) يجدر التذكير هنا بما كانت تقوم به بعض الصحف مثل البصائر ،من تنظيم مسابقات في فن الشعر ،كأن يطلب من الراغبين تشطير بيتين للحصول على جائزة مع نشر الانتاج الفائز .

(3) أحصى الشاعر ابراهيم أبو اليقظان في سنة 1934 ،ثلاثة عشر ناد،
منها : نادي الترقي ،النادي الاسلامي ،نادي الهدى ،و 18 جمعية
منها : جمعية الشبيبة الاسلامية ،جمعية الفلاح ،جمعية الارشاد الخ ...
انظر : د . صالح خرفي ،الشعر الجزائري الحديث ،م . و . ك (الجزائر)
1984 ،ص 367 ، 368 .

ومنذ منتصف العشرينيات بدأ الجزائريون ينشطون في مجال التأليف ،فأصدر السنوسي الزاهري (1) كتاب " شعراء الجزائر في العصر الحاضر" بجزئيه (2)،وساهم بذلك في جمع التراث الشعري الجزائري ،والتعريف بالشعراء الجزائريين ،فقد ضم بين دفتيه تراجم اثنين وعشرين شاعرا ،مع نماذج من أشعارهم ؛ ثم أصدر الشيخ مبارك الميلي (3) كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" (4)،وقد تعرض فيه لتاريخ الجزائر حتى القرن التاسع عشر الميلادي ،مركزا على الجوانب الايجابية فيه ،والصفحات المشرقة منه ،وهو ما يبرز الهدف الوطني والقومي الذي توخاه صاحبه من وراء تأليفه ،فلا شك أنه كان يرمي الى بعث النزعة الوطنية في أبناء الجزائر من خلال تبصيرهم بأمجادهم التليدة ،وتضحيات آبائهم وأجدادهم .

وقد حذا الاستاذ أحمد توفيق المدني (5) حذو الشيخ مبارك الميلي ،فألف هو الآخر كتابا في تاريخ الجزائر،أصدره في بداية الثلاثينيات. (6)

---

(1) محمد الهادي السنوسي الزاهري (1902 ـ 1974) ،كاتب وشاعر،ولد في قرية ليانة قرب بسكرة ،تتلمذ لوالده ،وللشيخ عبد الحميد بن باديس ،وعمل في حقل الصحافة والتعليم خلال عهد الاحتلال ،وبعد الاستقلال ،عمل مدرسا بثانوية حسيبة بن بوعلي وعائشة أم المؤمنين الى أن توفي عام 1974 .

(2) صدر الجزء الاول منه في تونس سنة 1926م ،وتبعه الجزء الثاني سنة 1927 .

(3) ولد في ميلة بالشرق الجزائري سنة 1897م ،وبها تلقى دراسته ،ثم انتقل الى قسنطينة فتابع دروسه على يد الشيخ ابن باديس ،ثم انتقل الى تونس حيث استكمل تحصيله في الزيتونة ،ساهم في تأسيس جمعية العلماء ،وعين أمينا لصندوقها المالي من مؤلفاته :"رسالة الشرك ومظاهره" ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،الذي أعد به أول مؤرخ جزائري حديث .

(4) ظهر الجزء الاول منه سنة 1928 ،ثم تبعه الجزء الثاني سنة 1932 .

(5) ولد في تونس سنة 1899م من أصل جزائري ،طرد من تونس بسبب نشاطه السياسي فرحل الى الجزائر واستمر في ممارسة النضال السياسي والوطني ،انضم الى جمعية العلماء ،ثم أصبح الناطق الرسمي باسم الثورة الجزائرية ،فوزيرا للشؤون الثقافية في الحكومة المؤقتة . توفي في أواخر السبعينيات .

(6) هو كتاب "الجزائر" الذي صدر في مدينة الجزائر سنة 1931 .

ولا يمكن الحديث في هذه العجالة عن تفاصيل الحياة الفكرية والادبية في الجزائر بدءا من سنة 1919م ،والى قيام الثورة التحريرية ،لان في ذلك تكرارا لما قاله الآخرون (1) وانما سأكتفي بالتعرض الى مدى مواكبة الشعر للحياة العامة ،لان ذلك له صلة بموضوع البحث .

وبادئ ذي بدء تجدر الاشارة الى أنه قد تحمل المثقفون الوطنيون في سبيل الحفاظ على هوية الشعب ،ومقومات شخصيته المتمثلة في الدين الاسلامي ،واللغة العربية والعادات والتقاليد ،وفي دفاعهم عن الثقافة العربية بالجزائر ما تنوء بحمله الجبال ،ولم تحد من نشاطهم الترتيبات التي وضعها المستعمر ،والقوانين التعسفية التي سنها والاحكام الزجرية التي سلطها على المعلمين ورجال الصحافة ،وزعماء الاصلاح الديني والاجتماعي .

وحسب المعادلة المعروفة ،المتمثلة في أن كل ممنوع مرغوب فيه ،فقد تهافت الجزائريون على الكتب والمجلات والجرائد العربية ،واجتهدوا في اقتنائها ،وتبادلها فيما بينهم وعانوا الكثير من أجل الحصول عليها .

وهكذا نشأت نهضة أدبية عربية بالجزائر — في ظل الحركة الاصلاحية — ونمت نموا بطيئا تحت تأثير ظروف سياسية واجتماعية صعبة وقاسية ،ولكن هذه النهضة كان نموها سليما ،وكانت نتائجها مجموعة من الشعراء والكتاب ،ناضلوا قدر استطاعتهم من أجل ايقاظ الشعب ،واصلاح ما أفسده المستعمر ،وتوعية الجماهير ،ودفعها لخوض غمار الكفاح المسلح .

وقد ذاق الشعراء الجزائريون جميعا مرارة الاستعمار ،وعاشوا حياة الذل والهوان كغيرهم من أفراد الشعب ،ومن هنا نجدهم ملتصقين بواقع بلادهم ،مسايرين لاوضاعها متنكرين لذواتهم في غالب الاحيان .

---

(1) بشأن التأريخ للحياة الادبية والفكرية في الجزائر ،ينظر على سبيل المثال :الدكتور صالح خرفي ،المدخل الى الادب الجزائري ،ص (47 — 74) .

فكانت الحركة الشعرية في الجزائر صدى لما يطبع الساحة السياسية من تقلبات وأحداث مختلفة ،حيث وقف الشعر يؤبن الامير خالد في العشرينيات ،ويحيي جمعية العلماء في الثلاثينيات ويثني على رجالها العاملين المخلصين ،ويمجد أعمالها وجهودها الاصلاحية التي امتدت الى جميع أنحاء الوطن ،ويفضح دسائس المستعمر التي حاكها ضدها ويندد بالقوانين الجائرة التي فرضها على منشآتها ،ويبكي زعيمها في الاربعينيات .

كما وقف الشعراء ضد سياسة الادماج ،فهاجموا المنادين بها ،وحللوا أبعادها وعبروا عن رفض الشعب لها .

وقد ساهم الشعراء أيضا مساهمة كبيرة في شحذ همم الجماهير وتقوية الشعور الوطني ودفع عجلة النضال خطوات الى الامام . ولطالما أعربوا عن استنكارهم لسياسة القمع الوحشي والظلم والطغيان ،واستبداد الجيش والشرطة ،وحثوا الشعب على كسر قيوده والتصدي لاعدائه .

وقد مكنتهم استقلاليتهم عن الاحزاب السياسية من التعبير عن آرائهم بحرية ،وجنبتهم الدخول في صراعات هامشية ،بل انهم كثيرا ما دعوا الى نبذ الخلاف ،والى العمل الوحدوي من أجل اثبات حق الفرد الجزائري في العيش الكريم .

كما جنبهم عدم اشتغالهم بالوظائف الرسمية ضغوط الادارة الاستعمارية ،أو موالاتها أو الدعاية لها ،واعتمدوا على الصحف الوطنية الحرة في نقل آرائهم وتوصيلها الى الشعب وان تعرضت تلك الآراء الى الوأد في أغلب الاحيان ،بسبب الرقابة المشددة المفروضة على الصحف التي كانت تصدر وتغلق باستمرار .

وقد حاول الشعراء - بالاضافة الى ذلك - تشخيص حياة الانسان الجزائري ومعاناته اليومية ،ولكنهم لم يستطيعوا الكشف عنها بصورة واضحة ،ليس لانهم كانوا أحسن حالا من تلك الجماهير التي فتكت بها الامراض والمجاعات - كما أسلفنا - ولكن لانهم كانوا ينظرون اليها على أنها وليدة قضية جوهرية ،ومشكل أساسي هو الاستعمار ،ولا يمكن تخليص

الشعب من أنياب الجوع والوباء والجهل الا بتحريره من نير العبودية ، وقيود المستعمر.

ومن هنا لم يعكس الشعر الجزائري في الاغلب الاعم الحياة الاجتماعية بالبلاد ومن يقرأ هذا الركام الشعري محاولا استشفاف مظاهر الحياة اليومية للمواطن من خلاله خاصة فيما يتعلق بأساليب المعيشة ، وطبيعة المهن التي يتعاطاها ، والمشاكل التي يلاقيها لا يقف على ما يشفي غليله في هذا الجانب ، ولا يستطيع أن يرسم صورة واضحة المعالم للوضع الاجتماعي بالجزائر . هذا اذا استثنينا بعض الاشارات البسيطة التي التفت فيها عدد من الشعراء الى محيطهم الاجتماعي ، مما لا يعد ظاهرة عامة تستقطب النظر .

صحيح أن شعراءنا قد عبروا عن الشعور بالاغتراب ، والاحساس بالضياع المفضي الى اليأس منذ العشرينيات ، وعبروا عن تشاؤمهم ، ولكنهم لم يبلغوا بشعرهم حد تجسيد الاوضاع الاجتماعية المتردية خلال العشرينيات والثلاثينيات .

ولكن هذا الموقف الذي كان عليه الشعر لا ينسحب على النثر ، فقد كانت الصحف تعج بالمقالات الاجتماعية التي تعالج قضايا مختلفة تهم المواطن الجزائري وشؤونه ، وقد عرفت المقالة الصحفية نتيجة لذلك تطورا ، وازدهارا ، وكان النثر بحق أكثر التصاقا بالواقع اليومي ، وأكثر دقة في التعبير عنه ، بخلاف الشعر الذي اتجه الى النضال السياسي والوطني على وجه الخصوص .

كما كانت الخطابة اطارا مناسبا لطرح المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها أفراد الشعب ، فانطلقت من منابر المساجد الدعوة الى التضامن والتآزر ، والاخوة والاحسان الى جانب الحث على مكارم الاخلاق ، والعودة الى منابع الدين الصحيح .

والسؤال المطروح هو لماذا كان النثر معرفا أكثر من الشعر بالقضايا الاجتماعية؟ وهل أن ذلك قصور في رؤية الشعراء ؟ والحقيقة أنه ينبغي لنا أن نعرف أن الشعراء أنفسهم كانوا خطباء وكتابا وأئمة في نفس الوقت ، وهم انما لجأوا الى النثر فاتخذوه قالبا للتعبير عن مشاكل المجتمع الجزائري لانه يتناسب مع ايراد الادلة العقلية والنقلية التي

تؤيد آراءهم وتبرهن على ما يريدون اثباته، ثم انه في مقدورهم أن ينزلوا بمستوى اللغـة التي يكتبون بها الى الدرجة التي يفهمون بها عامة الناس، وهو ما لا يتأتى لهم في الشعر.

ثم أن خيبات الامل المتتالية التي توجت بها كل جهود الاحزاب السياسيـة والتشكيلات الوطنية المختلفة، جعلت الشعراء أو بعضهم على الاقل يضجرون من واقعهـم المرير، ويفرون منه لائذين اما بالصفحات المشرقة في تاريخ أمتهم أو بالطبيعة التي كانت أما رؤوما بالنسبة اليهم يجدون في أحضانها الدفء والحنان والمواساة، ومن هنا برز اتجاه في الشعر الجزائري، اتضحت معالمه بصورة خاصة عند نهاية الحرب العالمية الثانية، وعلى امتداد الفترة التي أعقبتها الى قيام الثورة المسلحة، وقد أنجبت تلك الحقبة الزمنيـة مجموعة من الشعراء ظهروا على مسرح الحياة الادبية، وطفوا على السطح فجأة، مثـل الربيع بوشامة، وحسن حموتن، وأبو القاسم سعد الله، وعبد الله شريط، وعبد الكريم العقون وكلهم اتجهوا هذا الاتجاه الرومانسي الذي لم يكن حادا في طبعه على الطريقة المألوفـة لدى أعلام هذا الاتجاه في الغرب والشرق.

فالشاعر الجزائري الرومانسي لم يكن يوغل كثيرا في هروبه من قبضة الواقع الاجتماعـي ولم يستسلم لنزوات الذات، وضعف النفس، بل ان حنينه الى هذا الواقع ظل يراوده، ويعكر عليه صفو أحلامه الرومانسية، ويقض مضجعه بين أحضان الطبيعة، فنراه بين الفينـة والاخرى يرجع الى الواقع ليصطلي بناره، ويتجرع مرارته رفقة أبناء وطنه.

هذه باختصار شديد حالة الجزائر السياسية والاجتماعية والثقافية منذ مطلـع العشرينيات وحتى قيام الثورة التحريرية، سنرى على ضوئها الى أي مدى كان الشاعـر عبد الكريم العقون متأثرا بها ومواكبا لها في حياته ونضاله وانتاجه الشعري، وذلـك من خلال فصول هذه الرسالـة.

عن أرض منخفضة تحيط بها التلال من جميع الجهات ،يشقها نهر هادي؛ جميل ،كانت لشاعرنا ذكريات جميلة به ،نبتت مع ما نبت على ضفاف هذا النهر من شجيرات برية ،وحشائش وأزهار ،ونقشت على ما يكتنفه من صخور عاتية ،وحجارة صغيرة .

وبهذه القرية الجميلة الهادئة نشأ شاعرنا ،وترعرع وسط أسرته المحافظة على دينها وعاداتها العربية الاسلامية ،وثقافتها الاصيلة ،فكان لوالديه أثر في سلوكه وأخلاقه ،وفي اتجاهه الفكري المحافظ ،وثقافته ذات المشرب التقليدي ،وعندما شب تزوج ابنة عمه ولم يبلغ العشرين من عمره ،ويبدو أن زواجه هذا لم يكن عن سابق رغبة ومحبة ،بل هو زواج فرضته عادات المجتمع الجزائري الريفي آنذاك ،فقد درج الآباء على تزويج أبنائهم وبناتهم في سن مبكرة حفاظا على شرف الاسرة ،وصونا لعرضها ،وحماية للشباب من الانحراف الاخلاقي ،وفساد السلوك ،فلم تدم العشرة الزوجية بينهما طويلا ،اذ ما لبث أن دب الخلاف بينهما ،وانتهى بهما الامر الى الطلاق ،ويظهر أن رغبة الرجل في مواصلة الدراسة ،وطموحه العلمي ،وحاجته الى السفر من أجل تحقيق ذلك كان من وراء هذا الخلاف والطلاق ،فبمجرد تحرره من رباط العلاقة الزوجية حزم حقائبه ويمم شطر مدينة قسنطينة ،ومنها انتقل الى تونس عام 1936 ،ولم يرجع منها الا في سنة 1939م ،فتزوج ثانية من امرأة أخرى هي خديجة بنت الحاج السعيد بن سيد المكي أنجبت له أربعة أبناء هم : محمد رضا والوليد وعبد الملك وفيصل ،ورغم أن زوجته تؤكد أنها لم تكن تعرفه من قبل ،ولم يسبق لها أن رأته قبل ليلة الزفاف الا أنها تؤكد مرة أخرى أن العلاقة بينهما كانت طيبة للغاية[1] ،ومنذ ذلك الحين عرف الاستقرار ،وتفرغ للحياة العملية .

وقد اشتغل طوال حياته بوظيفتين ترتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا ،هما : التعليم والامامة ، فبعد عودته من تونس شرع يعلم أبناء قريته ،لكنه سرعان ما ترك مسقط رأسه وانتقل الى مدينة برج بوعريريج حيث اشتغل معلما باحدى المدارس الحرة ،وفي عام 1941 واتته

---

(1) زوجة الشاعر ،مقابلة معها بتاريخ 1985/08/21 .

الفرصة لينتقل الى الجزائر العاصمة عند خاله محمد الحسن بن عمار بن الزيوش ،وبها اشتغل في نفس المهنة مدة خمس عشرة سنةبمدرسة الفلاح التي تقع بشارع صالح بوعكسوير حاليا ،وقد بذل جهدا كبيرا في تأثيثها والحصول على رخصة من السلطة الاستعمارية لفتحها (1)

ومن مدرسة الفلاح انتقل الى المدرسة التابعة لمسجد المدنية ،كما أم المصلين بمسجد " سانتوجين " ،فمسجد المدنية حيث ظل هناك الى يوم استشهاده .

ثانيا : ثقافته وأخلاقه :

ان ثقافة عبد الكريم العقون عربية محضة ،حيث لم يدخل المدرسة الفرنسية قط وهي في جملتها ثقافة تقليدية ،تلقاها وفق الطريقة التلقينية التي كانت سائدة قديما ،وقد أخذ تعليمه الاول بمسقط رأسه ،حيث بدأ حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ العربي بن العدوي أحد فقهاء المنطقة لمدة ثلاث سنوات ،ثم واصل حفظه فأتمه على يد والده ،ثم راجعه وضبطه على يد الشيخ علي بن عبد الرحمن (2)

وبعدها انتقل الى قرية أولاد سيدي منصور،احدى قرى المنطقة ليتابع دراسته على يد الشيخ موسى الاحمدي نويوات ،وذلك حوالي سنة 1930م حيث لازمه لمدة سنتين كاملتين (1930 — 1932م) ،يقول الاستاذ موسى الاحمدي نويوات: ((كنت له ولرفاقه بمثابة المعلم والصديق في آن واحد ،خاصة وأن سني آنذاك لم يتجاوز السابعة والعشرين عاما ،وقد كنا نجلس الساعات الطويلة خارج أوقات الدروس نتبادل الاحاديث المختلفة في شتى ضروب المعرفة ،وكانت الدروس خلال النهار مكثفة ،تنطلق في حدود الساعة الثامنة صباحا وتستمر الى منتصف النهار

(1) الاستاذ الطاهر بوشوشي ،مقابلة معه ببيته بتاريخ 1986/12/01م ،ويذكر الاستاذ بوشوشي أنه ساعد صديقه العقون في سعيه من أجل فتح المدرسة وتأثيثها .

(2) محمد الشريف شايب ،عبد الكريم العقون ،الشاعر الشهيد ،المجاهد الاسبوعي ،العدد 1226 ،1984/02/03 ،ص40 .

وتستأنف في الساعة الثانية بعد الزوال لتتوقف عند الساعة الرابعة مساء ،وكانت الدراسة تتمحور حول العلوم اللغوية ،والعلوم الشرعية ،ومن الكتب التي كانت مراجع لعبد الكريم العقون وزملائه في دراسته :

أ ـ رسالة القيرواني (1) في الفقه .

ب ـ ورقة الحطاب (2) في أصول الفقه .

جـ ـ لباب الفرائض للشطي (3) في الميراث .

د ـ متن ايساغوجي (4) في المنطق .

هـ ـ الالفية ولامية الافعال لابن مالك ،والازهرية للشيخ الازهري (5) في النحو والصرف) (6).

ثم ترك العقون الشيخ موسى الاحمدي ،وانتقل الى زاوية الشيخ سيدي بن داود بمدينة " أقبو " قرب بجاية ليدرس علم التجويد (7)، وعند ما بلغ السابعة عشرة من عمره رحل الى مدينة قسنطينة

---

(1) هي رسالة في العقيدة والعبادات والمعاملات لعبد الله بن أبي زيد القيرواني (310 ـ 380 هـ) .

(2) هي رسالة مشهورة في علم الاصول ،للامام أبي عبد الله الشيخ محمد الحطاب.

(3) هو تصنيف شامل للفقه والحساب والعمل للشيخ محمد الصادق الشطي (1312 ـ 1364هـ) وللاستاذ موسى الاحمدي تصنيف في هذا المجال أيضا ،موسوم بـ " كشف النقاب عن تمارين اللباب " .

(4) ايساغوجي كتاب في الفلسفة معروف باسم " المقولات الخمس " ،ألفه " بورفيريوس " تلميذ أفلوطين ،وهو المختصر المنسوب الى الفاضل أثير الدين الابهري المتوفي عام 630 هـ وكلمة " ايساغوجي " يونانية ،ومعناها المقدمة .

(5) الازهرية هي المقدمة الازهرية في علم العربية ،لصاحبها خالد الازهري الجرجاني المتوفي سنة 905 هـ .

(6) موسى الاحمدي نويوات ،مقابلة معه ببيته يوم 1986/03/28م .

(7) محمد الشريف شايب ،المجاهد (الاسبوعي) ،1226 ،1984/02/03 .

التي كان يرابط بها زعيم الحركة الاصلاحية الامام عبد الحميد بن باديس ، فاتصل به لاتمام دراسته ، وقد عكف بالجامع الاخضر حتى سنة 1936 م ، حيث تركه ميمما شطر تونس . فانخرط في سلك جامع الزيتونة ، وعكف به على طلب العلم والمعرفة ، واختار نظام التحصيل الحر لان ذلك يمكنه من اختيار الاساتذة الاكفاء ، ويساعده على تلبية رغباته كما يذكر الاستاذ موسى الاحمدي نويوات [1]، في حين يرى الاستاذ أحمد سحنون أن عبد الكريم العقون قد ألهته بعض نزوات الشباب عن الكد والتحصيل ، وكان شغوفا بحضور الندوات الادبية ، واللقاءات الشعرية مواظبا على حضورها أكثر من مواظبته على الدروس الرسمية ، ولذلك لم يحصل على ثقافة علمية كبيرة خلال اقامته بتونس [2].

ولكن الذي لانرتاب فيه هو أن السنوات التي قضاها بتونس - على قلتها - كانت مفيدة ومثمرة ، وفاتحة عهد جديد بالنسبة اليه ، فقد كان المجال هناك خصبا للاطلاع ، وتوسيع المعلومات وتعميقها ، ذلك أن ما حاط جامع الزيتونة من ندوات ومحاضرات ومناقشات ، وما ساد الساحة من صحف ومجلات ونشرات ، وما احتوته المكتبات من مصنفات ومؤلفات كان كله في متناول عبد الكريم العقون المحروم المتعطش ، فغرف من ينابيع مختلفة ، وتلقى الثقافة من مصادر متعددة ، وبطرق متنوعة . وبتونس تسنى له الاحتكاك بالطلبة من مختلف أقطار المغرب العربي ، وبالشخصيات الدينية والعلمية ، وساعد ذلك كله على بلورة وعيه السياسي ، والوطني ، كما ساهم في نضجه الفني .

وقد كان عضوا نشيطا في "جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين" [3] التي كانت هيئة تجمع الطلاب ، وتؤلف بين قلوبهم ، وترعى مواهبهم ، وتذكي المنافسة الشريفة بينهم ، فضلا عن توجيههم

(1) الاستاذ موسى الاحمدي نويوات ، مقابلة معه ببرج بوعريريج يوم 1986/03/28 .

(2) الاستاذ أحمد سحنون ، مقابلة معه ببيته ، يوم 1986/12/03 .

(3) تأسست هذه الجمعية بمبادرة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 1934 وتوقف نشاطها عام 1939 م ، ثم ظهرت من جديد عام 1946 ، ومن الذين تعاقبوا على ادارتها في مرحلتها الاولى الاديب الشيخ بورنان الدريدي ، والشيخ المهدي أبو عبد الله والشيخ الشاذلي المكي . انظر في هذا المجال بو الصفصاف عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ، ص 348 - 350 .

ومتابعة نتائجهم ·يدل على نشاطه هذا قصيدته التي ألقاها في اجتماع أعضاء هذه الجمعية سنة 1938م ،حيث برز فيها بوضوح نضجه الفكري ،ووعيه السياسي ،وايمانه الراسخ بوطنه ومبادئ أمته ،وعمره لم يتجاوز الثلاثة والعشرين عاما ·

وقد رجع عبد الكريم العقون من الزيتونة مع بداية الحرب العالمية الثانية في سنة 1939م وتزوج ثانية من خديجة بنت الحاج السعيد سيد المكي كما سبق الذكر ،واحتفلت أسرته بعودته وزواجه احتفالا لائقا ،تقول زوجته: ((اقترن حفل زواجه مني بحفل عودته من تونس ،وكان احتفالا مشهودا ،تردد صداه في المنطقة كلها)) [1]

وقد كان العقون يتصف بالذكاء والفطنة ،وينعته أستاذه موسى الاحمدي نويوات بدماثة الاخلاق والانضباط ،والفصاحة ،والشجاعة الادبية ،والميل الى المطالعة ،وحب العشرة والنفور من العزلة والانطواء [2] في حين ينعته صديقه الشيخ أحمد سحنون بأنه رجل تتوفر فيه كل سمات الشاعر الفنان من سرعة البديهة ،واللباقة في الحديث ،والاناقة في الملبس ،والرشاقة في الهندام ،ورهافة الحس ،وبشاشة الوجه ،وسماحة الخلق ،وهيام بالجمال ،مع ميل الى التمرد ولكنه لم يكن يصبر على مطالعة الكتب الفكرية الى درجة أنه — ربما — لم يقرأ في حياته كتابا واحدا من أمهات الكتب [3] أما الاستاذ الطاهر بوشوشي فانه يذكر ميله الى مطالعة الجرائد والمجلات ،سواء ما يصدر منها بالجزائر أو ما يرد عليها من الخارج ،فكان يقرأ مع اخوانه الشعراء الجزائريين مجلة الرسالة ويتأثر بالقضايا والموضوعات التي يطرقها الشعراء آنذاك أمثال علي محمود طه المهندس ،والدكتور ابراهيم ناجي ،وغيرهما من شعراء المدرسة الرومانسية بوجه خاص · هذا بالاضافة الى مجلة الثقافة (المصرية) ،ومجلة الهلال ·[4]

---

(1) زوجة الشاعر ،مقابلة معها بالعاصمة يوم 1985/08/21 ·

(2) الاستاذ موسى الاحمدي نويوات ،مقابلة معه ببيته يوم 1986/03/28 ·

(3) الشيخ أحمد سحنون ،مقابلة معه ببيته بالعاصمة يوم 1986/12/03 ·

(4) الاستاذ الطاهر بوشوشي ،مقابلة معه ببيته بالعاصمة يوم 1986/12/01 ·

اذا يمكننا القول ان العقون ــ ربما ــ لم يكن مهتما بكتب التراث الفكري ،والمصنفات العلمية ،ولكنه كان تواقا الى قراءة الموضوعات الخفيفة ذات الصلة بالوجدان كالشعر مثلا لما في الاولى من كد ذهني ،وما في الثانية من ترويح عن النفس.

وبخصوص أخلاقه تقول زوجته : ((انه رجل يقدر الحياة الزوجية ،ويتفهم المرأة ويحترمها ولا يتسلط ولا يستبد برأيه ،بل يناقشني في كل ما يهم البيت والاسرة ،ويحترم آرائي ،وكانت حياتنا الزوجية ملؤها السعادة ،فلم يعكر صفو عيشنا الا المستعمر بمضايقاته وملاحقاته لنا صباح مساء ،كما كان كريم النفس ،يكاد بيته لا يخلو من الضيوف ،وقد ورث هذه الصفة النبيلة عن والده الذي عرف بالشهامة والمروءة)) .(1)

وقد حدثنا كل الذين زاملهم أو صادقهم عن سعة أفقه ،ورحابة صدره ،وبشاشة وجهه ورقة احساسه ،وتقواه وورعه ،وصدق ايمانه ،ووطنيته .

ولكن على الرغم من أن زوجته تؤكد احترامه للمرأة وتشيد بموقفه منها ،الا أن هذا الموقف لا يتضح في شعره ،حيث أنه لم يشر الى المرأة الا ببيت واحد في قصيدته التي وجهها الى الشيخ الطيب العقبي (2) ،حيث دعا الى تعليمها والعناية بها في قوله :

((... وأوصيكم أن تحسنوا ما استطعتم الى البنت ،كي تسدوا الى البيت راعيا)) .

مع أن قضية المرأة كانت موضوع الساعة آنذاك ،كما كان الصراع بين الادباء ساخنا ــ بالمشرق والمغرب على السواء ــ حول تعليمها وخروجها وسفورها وحجابها . ويبدو أن العقون لم ير ــ كأغلبية شعراء الجزائر ــ جدوى من وراء ذاك الصراع العقيم حول هذه المسألة ،وأن رأيه كان مطابقا لرأي رجال الاصلاح الذين دعوا الى العناية بالمرأة في اطار الشرع الاسلامي وما منحه لها من حقوق ،وما طالبها به من واجبات.

---

(1) زوجة الشاعر ،مقابلة معها ببيتها يوم 1985/08/21 .
(2) انظر القصيد في الملحق ،ص 225 ، وقد نشرت بجريدة الاصلاح ،العدد = 39 ، بتاريخ = 1941/05/15 .

ثالثا : علاقاتـــه ورحلاتـــه .

كان العبد الكريم العقون علاقات طيبة ربطته بأشخاص عديدين ، وكان من أصفيائه الشاعر أحمد سحنون الذي تعرف عليه بعد انتقاله الى العاصمة في بداية الاربعينيات بنادي الترقي الذي كان يرتاده كل منهما لحضور النشاط الثقافي " لجمعية العلماء " ، ثم تطورت هذه العلاقة فلم تبق في حدود الصداقة بين شخص وآخر ، بل تعدتها الى مستوى الاسرتين ، ولا شك أن الذي ساهم في توطيد روابط الاخوة والصداقة بين الرجلين هو فن القريض الذي كان شغلهما الشاغل ، ووحدة المهنة ، واتفاق الرأي والتصور ، وقد كانت بينهما مساجلات شعرية كثيرة (1) ومراسلات تكتنفها روح المجاملة ، فمع أن العقون كان يعرض قصائده على أحمد سحنون قبل نشرها واخراجها للناس - كما يذكر الشيخ موسى الاحمدي نويوات - الا أن أحمد سحنون كان يطريه ويبالغ في الثناء على شاعريته ، وقد كان العقون يقابل الاطراء باطراء آخر ، ويرد على ثناء صديقه بأجمل منه ، وقد بلغت به محبته لصديقه أحمد سحنون أن أسند اليه مهمة تسمية ابنـــه الثاني ، فأسماه " الوليد " (2) ، وخط له هذه الرقعة التي تحمل التسمية والتهنئة معا :

بسمة الحظ في ابتسام الوليـــد	فاحتفل لاقتبال عهد سعيـــد
كم تمنيت أن يتيح لك الحـــظ	رفيقا الى رضاك الوحيـــد
أي سحر يشع في البيت أن . .	هل " وليد " ، وأي عيش رغيـــد
ان بدرين في سمائك قـــد	لاحا ، وعيد أطل من بعد عيد
فافرغ اليوم للقريض ، وشنـــف	كل سمع بكل لحن جديـــد . (3)

كما كانت بينهما مراسلات شعرية ، كتلك التي وقعت عندما سافر الشاعر أحمد سحنون الى

---

(1) منها مساجلة سجلها عبد الكريم العقون ، انظرها في الملحق ، ص 298 .
(2) يتضح ذلك من خلال ديباجة القطعة الشعرية التي هنأ بها سحنون صديقه العقون .
(3) ديوان أحمد سحنون ، سلسلة شعراء الجزائر ، ش ، و ، ن ، ت ، ص 300 .

فرنسا من أجل الاستشفاء ،ولم يعلم العقون بسفر صديقه الا بعد دخوله المستشفى ،وانتظر أن تصله رسالة تطمئنه عن حال من أخلص له المودة ،فلم يفعل سحنون ،فاضطر العقون الى مراسلته عن طريق جريدة البصائر،حيث نظم قصيدة فيها شيء من العتاب واللوم مطلعها : (1)

رفيق الصبا وصديق العمـــر　　　عليك سلام ندي عاطـــر
يحفك في غربة ما بهـــــا　　　صديق يواسيك عند الخاطـر

ويختم القصيدة عاتبا عليه فيقول :

عهدناك تهفو الى رفقـــة　　　فما لك أمسكت حتى الخبر
ترى هل نسيت عهودا خلت　　　ملونة بأجل الصـــور؟
نداعب أحلامنا الراقصـات　　　ونشدو بلحن المنى المبتكـر
شفاك الاله فعد سالمـــا　　　لتسطع في أفقنا كالقمــر.

وقد اضطر الشاعر أحمد سحنون الى مكاتبة صديقه ،والاعتذار اليه عما فرط منه ،وعد قصيدة العقون ((تحية يجب أن تقابل بأحسن منها ،أو ترد)) ،(2) فخاطبه بقوله :

أخا الحب والذكريات الغـرر　　　وخدن القوافي وحلف السمـر
وحقك لم أنس عهدا مضـى　　　جميلا سريعا كلمح البصـر

الى أن يقول :

وما زلت رغم تنائي الديـار　　　ذاك الصديق الوفي الابـر
مواثيقنا غضة ما تـزال　　　وعقد الهوى بيننا ما انتثـر
وهل أنا ناس أخا شاعـرا　　　بدائعه خالدات الاثـر !؟

---

(1) انظر القصيدة كاملة في الملحق ،ص 282 وقد نشرت بالبصائر، 345، 1955/12/16.
(2) انظر ديباجة القصيدة في ديوان أحمد سحنون ،ص292، 293، وقد نشرت بالبصائر 349، 1956/01/13.

والى جانب العتاب نجد العقون يقدم التهاني لصديقه الشيخ أحمد سحنون بهذه المناسبة أو تلك مما يطول استعراضه .

وبقدر ما كان شاعرنا يعتب على اصدقائه بقدر ما كان يداعبهم أيضا ، ويبدو أنه كان يعامل كل واحد منهم بما يوافق مزاجه ، ومن الاصدقاء الذين داعبهم بشعره الشاعر الطاهر بوشوشي المعروف بظرفه وميله الى الفكاهة والضحك ، وقد حدث أن عثر الشاعر بوشوشي ذات ليلة فأصيب بسقوط أسنانه ، فقدم اليه العقون قصيدة فيها عزاء ممزوج بالدعابة ، يبدأها بقوله : (1)

تألم ثغر الشعر أصبح أدردا   وقد كان قبل اليوم درا منضدا
وصوح ثغر كان للشعر باسما   فأرجو لذاك الثغر أن يتجددا

الى أن يقول :

رددت اليه الطرف أستكشف الذي   به وهو يبدي من أساة تنهدا
وساءلته : بالله هل أنت طاهر؟   أجبني سريعا ، لا تكن مترددا
وقلت له : ما بال ثغرك يا فتى ؟   فقال : قضى الله أصبحت أدردا

وهو ما يدل على أن العقون كان لا يقل ظرفا ، وميلا الى التفكه والتهكم من صديقه هذا فهو وان كان جادا في أغلب الاوقات حيث تبدو جديته ورزانته من خلال شعره ، وفي مواقفه الا أن صدره كان يتسع للتسلية أيضا ، ولعل ما تحلى به من دعابة ، وميل الى الطرفة — فضلا عن لين الجانب ، وحسن المعشر — هو ما ساعده على كسب العديد من الاصدقاء لازالت ذكراه عالقة بأذهانهم الى اليوم ، نذكر منهم على سبيل المثال : محمد الصالح رمضان ، حمزة بوكوشة أحمد بن ذياب ، الاستاذ بوداود ، وغيرهم ، وكلهم من الادباء أو المهتمين بالادب .

والغريب في الامر أن عبد الكريم العقون الرجل الوفي المخلص — كما وصفه أصدقاؤه — لم يذكر أحدا من أفراد عائلته في شعره ، فلم يمدح شخصا ، ولم يرث قريبا من أقربائه على الاطلاق

---

(1) انظر القصيدة كاملة في الملحق ، ص= 285 ، 286 .

فحتى والدته لم يشر الى وفاتها ولو ببيت من الشعر،ولعله كان يعتبر ذلك من باب الانشغال بالذات فتنزه عنه على عادة الشعراء الجزائريين المعاصرين له ،وهذه الملاحظة نفسها تنسحب على موقفه من أساتذته أيضا ،اذ لانعثرعلى ذكرلهم في أشعاره ،هذا اذا استثنينا منهـــم الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أطنب في رثائه ،لا لشيء الا لخدماته الجليلة التي قدمها للشعب ،ولاياديه البيض على الامة ،حيث بكى فيه الخسارة العامة التي لحقت الجزائر والعروبة والاسلام ٠

واذا كنا لانستطيع أن نطلع في وفائه لشيوخه الذين تتلمذ لهم ،أو في وصله لصلة رحمه فاننا لايمكن ـ أيضا ـ أن نحمد له سكوته التام ،ولا مبالاته بمحيطه العائلي ،اذ يفترض فيـــه ـ كشاعر ـ أن يكون أكثر حساسية ،وأكثر استجابة لتقلبات الدهر من غيره ٠

وقد كان الشاعرعبد الكريم العقون ميالا الى الاسفار،محبا للرحلات ،وقد تنقل بـين بعض أنحاء الوطن ،كما سافر الى الخارج حسب الامكانيات ،والفرص التي أتيحت له ،اما لغرض الدراسة ،أو لمآرب أخرى كالتنزه والترويح عن النفس٠

والذي لا شك فيه أن هذه الرحلات قد أكسبته تجارب ،واطلع خلالها على عادات مختلفة وحصل بفضلها ثقافة متنوعة ،وفي مقدمتها رحلته الى قسنطينة ،واقامته بها ما يقرب من ثلاث سنوات لطلب العلم ،ومنها أيضا رحلته الى تونس لنفس الغرض ،ثم تنقله بين مسقط رأســـه " برج الغدير" ومدينة الجزائر التي أقام بها ما يقرب من عشرين عاما ٠ كما سافر الى فرنسا مرتين ،والى " اللوكسمبور" مرة واحدة [1] وزار المغرب الاقصى ثلاث مرات ٠ وكانت هذه الزيارات قصيرة الامد ،لم تتجاوز كل منها الثلاثين يوما [2] ويقوم بها أثناء العطلة المدرسية ،ولكنها علــى

(1) أخبرتني بذلك زوجته يوم 85/12/26 ،ولكنني لم أعثرفي جوازسفره الى ما يشيرالى هذه الاسفار٠
(2) كانت اولى هذه الزيارات في 1951/09/16٠
والثانية في 1953/08/05٠
والثالثة في 1957/08/29٠
وهذه التواريخ مستخرجة من جوازسفره الصادرعن عمالة الجزائربتاريخ 28/09/ 1949 ٠
تحـت رقـم = 07669 ٠

قصرها كانت مفيدة ولا ريب ، فقد كان يعود منها محملا بالجرائد والمجلات التي لا يتسنى له الحصول عليها بالجزائر .[1] كما تعتبر تلك الزيارات فرصة مواتية له قصد الاطلاع على صنوف الادب والمعرفة ، وقد مكنت تلك الاختلافات الى المغرب عبد الكريم العقون المتعشق للجمال من الاستمتاع بجمال الطبيعة بهذا البلد ، فضلا عن اتاحتها اياه فرصة الاحتكاك برجال الادب وكان نتاج ذلك أن ألهمته مدينة " فاس " العريقة ، ونهرها المتدفق ، قصيدة جميلة تعد من أجود ما قاله في وصف الطبيعة .[2] ومن هنا يمكن القول : ان تنقلات عبد الكريم العقون ، واختلافه المتواضع الى هذا البلد أو ذاك يعد رافدا من روافد ثقافته ، وعاملا من العوامل التي صقلت موهبته الشعرية .

واذا كانت زياراته للمغرب لم تسعفه ـ على تواليها ـ في الاطلاع كثيرا على الادب المغربي لقصرها فان اقامته بتونس ما يقرب من ثلاث سنوات قد مكنته من الاطلاع الواسع على الادب بهذا القطر ، فقد صادف أن سافر العقون الى تونس والشعر مازال يبكي فقيده أبا القاسم الشابي الذي توفي سنة 1932م ، واذا كانت المهرجانات الكبيرة تعقد في يومنا هذا احياء لذكرى وفاته فلا شك أن في تلك السنوات المتقدمة القريبة من الذكرى كانت هذه المهرجانات أكثر حماسا وحيوية ، وأشد اطراء لهذا الشاعر الفذ ، وأكثر تبجيلا له ، وتعريفا بشعره ، ولا شك أيضا أن العقون قد أتيح له الاستماع الى أشعار الشابي من خلال المحاضرات والندوات التي عقدت حوله فأعجب بصاحب " أغاني الحياة " أيما اعجاب ، وحاول تقمص روحه ، والسباحة في كونه الشعري كما سنرى بل وصل به الاعجاب الى درجة التقليد كما سنبين في الفصول القادمة .

نعم لقد أعجب عبد الكريم العقون بالشابي الانسان والشاعر معا ، فبقدر ما استهوته شخصيته بقدر ما استهواه فنه ، حتى اذا انما جرى الشعر على لسانه راح يخلد ذكراه بقصيدة[2] تفيض اجلالا واكبارا له ، والى هذا الاعجاب بالشابي ، وما ترتب عليه من تأثير على بعض الشعراء الجزائريين

---

(1) هذا ما صرحت به زوجة الشاعر .

(2) نشرت بالبصائر ، 244 ، 1953/10/23 انظرها في الملحق ، ص 261 ، 262 .

يشير الدكتور محمد ناصر بقوله : ((واللافت للنظر حقا هو الاثر العميق الذي تركه الشابي في لغة الشعراء الجزائريين الذين زاولوا دراستهم بتونس ،على الرغم من أن أغلبهم لم تربطهم بالشابي أية علاقة شخصية ،لانهم تواجدوا بتونس بعد وفاته)) (1) ؛ ولم يكن الشابي وحده من شعراء تونس قد أحرز اعجاب عبد الكريم العقون ولا ريب ،بل ان هناك شعراء عديدين قرأ انتاجهم وعرفهم خلال مرابطته بالزيتونة ،منهم محمد الشاذلي خزندار الذي رثاه بقصيدة أيضا عندما رجع الى الجزائر (2) ،والذي يعتبره البعض من الاوائل الذين أرسوا دعائم الادب القومي التحرري في تونس خلال العصر الحديث . (3)

وفي تونس بدأ شاعرنا قرض الشعر ،فأول قصيدة نظمها كانت في سنة 1938 عندما كان ينتسب الى معهد ابن خلدون وعمره لم يتجاوز العشرين عاما الا قليلا ،ولكنه لم ينشر أي شيء بالصحف التونسية آنذاك — فيما نظن — ،فقد تصفحت كتاب الدكتور محمد الصالح الجابري الموسوم بـ"النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس" (1900 — 1954م) والذي خصص منه ملحقا جرد فيه ما نشره المهاجرون الجزائريون في الصحف التونسية خلال هذه الفترة ،فلم أعثر على أي أثر لعبد الكريم العقون منشور بتلك الصحف . (4)

ويبدو أن عبد الكريم العقون لم يثق بموهبته الفنية ،وقدرته على قرض الشعر ،وامتلاك ناصيته الا بعد رجوعه الى الجزائر ،حيث تبدت موهبته على حقيقتها في أعقاب الحرب العالمية الثانية ،وتتابعت قصائده في "البصائر" جريدة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

---

(1) د . محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ، "اتجاهاته وخصائصه الفنية" (1925 — 1975) ،رسالة دكتوراه دولة ،جامعة الجزائر ، 1983/82 ،ص73 .

(2) نشرت بالبصائر ، 259 ، 1954/02/19 .

(3) د . محمد الصالح الجابري ،الشعر التونسي المعاصر خلال قرن ،الشركة التونسية للتوزيع ، 1974 ،ص179 .

(4) د . محمد الصالح الجابري ،النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900 — 1954) ،الدار العربية للكتاب ، 1982 .

رابعـــا : شاعريتـــــه :

ان عبد الكريم العقون شاعر مقل ،فاذا قدرنا بأن حياته الفنية قد بدأت بصورة فعلية عام 1947 ،وهي السنة التي نشر فيها أول قصيدة بالسلسلة الثانية لجريدة البصائـــــر (1947 ــ 1956) حيث تتابع ظهور انتاجه بها الى أن أوقفها العدو خلال حرب التحرير وعلمنا أن هذه الحياة الفنية دامت حوالي اثني عشر عاما ،أدركنا قلة انتاجه الشعري الذي لم يتجاوز الخمسين نصا ،هذا اذا استثنينا ما قاله في الثورة التحريرية وأحداثها ،والذي أتلف قسما منه بنفسه ،وأحرقت زوجته [1] ما تبقى بعد القاء القبض على زوجها ،وذلك خوفا من تفتيش البيت والعثور على تلك الاشعار المحرمة ،التي تدين صاحبها أمام العدو ،حيث يتخذ منهـا دليلا على انتمائه للثورة ، وصلته بجيش التحرير الوطني الجزائري .

واذا كنا لا نشك في غزارة شعره الثوري الذي ضاع ،فاننا أيضا لا نعرف عنه شيئا ،على أن زوجته تؤكد أنه كان يجلس الساعات الطويلة الى مكتبه ليلا ،فيعكف على تدوين القصائد ،وكثيرا ما نهاه والده عن ممارسة هذا النشاط الذي كان يخشى أن يؤدي به الى التهلكة ،ولكنه لـــم يستجب لنداء والده ،ذلك لانه كان يجد راحة في الكتابة حيث ينفس من خلالها عما يجيش بـــه صدره من مشاعر .

ونحسب أن الموهبة الفطرية وحدها ــ والتي تعد سمة يشترك فيها كل رجال الفن ــ لم تجعل من عبد الكريم العقون شاعرا ،لولا تضافر جملة من العوامل التي صقلت موهبته ،وغذت تجربته ،ونجملها فيما يلي :

1 ــ نشأته بقرية " برج الغدير " التي تمتاز بمناظرها الجميلة ،وطبيعتها الساحـــــرة وهكذا فتح عينيه على مشهد الجمال ،وشب على حبه ،وترعرع بين أحضانه ،وعندما ترك القريـــة ظل النزوع الى الطبيعة يغالبه ،والحنين اليها يشده ،فحظيت بقسط وافر من شعره ،وعبر عن

---

(1) زوجة الشاعر ،مقابلة معها ببيتها يوم 1985/08/21 .

شخصيته ،وغذت موهبته الشعرية •

6 ـ مطالعاته : فقد كان ميالا الى مطالعة الجرائد والمجلات ، يقرأ كل ما يقع تحت يده منها وقد حصل نتيجة لذلك ثقافة شعرية وأدبية أفضت به الى قرض الشعر ، وأهلته لاعتلاء منبر الخطابة وخولته تدبيج المقالات النثرية ، وميله الى فن الشعر تترجمه الدواوين التي اقتناها في حياتــــه والتي لا تزال محفوظة في خزانة كتبه الى اليوم [1] ، كما تدل عليه مختاراته الشعرية التي جمعها في دفترين صغيرين ، وهذه المختارات عبارة عن مقطوعات لشعراء عديدين عاشوا في بيئـــات مختلفة ، وفترات متباينة ، ويبدو أنها من صنع عهد الشباب لان أغلبها في الغزل والمدح والنوادر وهي وان دلت على شيء فانها تدل على اطلاعه على الشعر العربي في مختلف العصور •

خامســـا : نشاطــه الاصلاحــي والثــوري •

اذا كان عبد الكريم العقون قد بدأ حياته الفنية شاعرا اصلاحيا لينتهي شاعرا ثوريـــا فانه في نضاله أيضا بدأ مصلحا ، وانتهى جنديا في صفوف الثورة التحريرية •

ويمكن تحديد بداية نشاطه الاصلاحي بزمن عودته من تونس ، واندماجه في الحياة العلمية وقد كانت الوظيفتان اللتان ارتضاهما لنفسه (التعليم والامامة) مساعدتين له على ممارسة الاصلاح الاجتماعي والديني والفكري ، فقد خولتاه الاتصال بالجماهير ـ وخاصة الناشئة ـ بيسر لتوجيهها وترشيدها دون تهريج يلفت نظر المستعمر ، وكان أول اتصال له بأبناء الشعب بقريته ، ثم ببرج بوعريريج ، الا أن معظم نشاطه كان بعد انتقاله الى العاصمة ، فيها انخرط ضمن صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وكثف عمله بشعبها ، وبالرغم من أنه لم يتقلد أية مسؤولية بتلــك الجمعية ـ حيث كان عضوا مؤيدا فقط ـ الا أنه قدم خدمات جليلة في اطارها ، وشهد له بالتحمس لمبادئها وأعمالها ، فكان يساهم في القاء الدروس والمحاضرات بمقرها ، ويعلم الصغار بمدارسهـــا

---

(1) منها ديوان ابن زيدون ، الرصافي ، أمية بن أبي الصلت ، محمود غنيم ، أحمد الصافي النجفي ، ابراهيم طوقان ، صلاح لبكي ، أحمد شوقي ، شرح ديوان المتنبي لليازجي •••

ويعظ الكبار بمساجدها ،كما اتخذ من جريدتها (البصائر) منبرا لاذاعة أشعاره ،وتبليغ أفكاره وسعى جاهدا من أجل تحقيق الاصلاح الديني والاجتماعي ،ونشر الوعي السياسي والوطني في الجزائر.

وقد كان بالاضافة لذلك على اتصال مستمر برجال الجمعية البارزين أمثال الشيخ البشير الابراهيمي ،والشيخ العربي التبسي ،والشيخ أحمد توفيق المدني وغيرهم ،وأصبح بيته مأوى للكثيرين منهم يحلون عليه ضيوفا كلما انتقلوا الى الجزائر (العاصمة) .

وصفوة القول :ان عبد الكريم العقون رصد أعمال جمعية العلماء ومشاريعها واجتماعاتها وسجل نضالها ،وخصوماتها الدينية والسياسية ،حتى كاد - بحق - أن يصبح شاعرها الخاص والناطق الرسمي باسمها ،حيث جاء أغلب شعره في تتبع أنشطتها ،وما يتصل بها .

وظل كذلك الى أن اندلعت نيران الثورة التحريرية فأصبح مجاهدا في صفوفها ،حيث صار عضوا في المنظمة المدنية التابعة لجبهة التحرير.

وكانت لديه مسؤولية بهذه المنظمة ،فقد عين أمين صندوق للمال بمنطقة المرادية بقلب العاصمة وكان على صلة بالفدائيين ،يأويهم ،وينسق بينهم ،ويمدهم بالسلاح ،ويساهم في تكوين خلاياهم فأصبح بيته محل شبهة ،وشددت السلطة الاستعمارية الرقابة عليه ،واستدعي الى مركز الشرطة عدة مرات لاستنطاقه والتحقيق معه ،وتصف زوجته نشاطه الثوري فتقول : ((لم أكن على علم بكل نشاطاته ،وبجميع أعماله ،ولكن الاشخاص الذين كانوا يترددون على بيتنا ،وخروجه من البيت من حين لآخر ،وبقاءه ساعات طويلة خارجه كان يوحي لي بكثافة نشاطه وعمله ،لقد كان طابع الكتمان والسرية يحيط أعماله وتنقلاته ،ولم أكن أزعجه بالاسئلة حتى لاأحرجه)) .(1)

وبقدر ما كان العمل الثوري - لعبد الكريم العقون - يزداد ،بقدر ما كانت مراقبة المستعمر له تشتد ،وفي فجر الخامس عشر جانفي عام 1959 اقتحم جنود الاحتلال بيته بعنجهية ،وساقوه الى سجن " الكورنيش" (نادي الضباط حاليا) بباب الوادي ،وبعد حوالي ثلاثة أشهر من

1) صرحت بهذا في مقابلة معها ببيتها يوم - 1985/08/21 .

اعتقاله بعث رسالة الى زوجته يطمئنها ،ويحثها على التحلي بالصبر،ويوصيها برعاية الابناء والسهر على تربيتهم وتعليمهم .

وبعد خمسة شهور من التعذيب قضت عليه الطغمة العسكرية الفرنسية بناحية الدويرة قرب العاصمة ،وذلك في الثالث عشر ماي سنة 1959م مع مجموعة من رفاق الكفاح (1).

تلكم هي حياة الشاعر عبد الكريم العقون الذي ناضل بقلمه وجاهد بنفسه في سبيل الله والوطن والامة ، فالى أي حد تعكس هذه الحياة الحافلة بالنضال في شعره ؟ ذلك ما سنعرفه من خلال الفصول القادمة من هذا البحث .

---

(1) تؤكد زوجته بأن الشرطة الاستعمارية هي التي أشعرتها بتنفيذ حكم الاعدام فيه ،و بالمكان الذي توجد به جثته ، ولكن ضريحه بقي مجهولا رغم الجهود التي بذلتها العائلة في التفتيش عنه .

الفصل الثاني

الاتجاه الوطني

- تمهيد

1 - المناسبات الدينية

2 - المناسبات الثقافية

3 - الوحدة الوطنية

4 - مأساة ثامن ماي

5 - رثاء الامام عبد الحميد بن باديس

6 - الشباب

تمهيد

اصبحت الوطنية في العصر الحديث تعني عند البعض ((حب الوطن والشعور بارتباط باطني نحوه)) (1) . ويرى البعض الاخر بان هذا المعنى حديث عند المسلمين ، وان اول من دعا الى الوطنية بهذا المفهوم الشيخ رفاعة الطهطاوي (1801 - 1873) ، الا ان مصطفى كامل هو الذي اضفى عليها نوعا من القداسة والهياج بحبها والتضحية في سبيلها (2) .

والحق ان مصطفى كامل قد ارتبط اسمه عند العرب بمفهوم الوطنية ، فهو الذي اعطى لهذه اللفظة ابعادها الفكرية والسياسية ، حيث امسك بزمام الامور القيادية بمصر في وقت بسط فيه المستعمر الاجنبي نفوذه عليها ، فكان الخطيب الذي نفخ الروح الوطنية في نفوس الجماهير واشعل لهيب الثورة فيها ، يقول ((ان الوطنية هي اشرف الروابط للافراد والاساس المتين الذي تبنى عليه الدول القوية)) (3) .

فالوطنية عنده رباط يجمع شمل افراد المجتمع وعاطفة مشتركة بين ابنائه ((وشعور ينمو في النفس ويزداد لهيبه في القلوب كلما كبرت هموم الوطن وعظمت مصائبه)) (4) .

وقد ارتبط مفهوم الوطنية بمفهوم القومية ، واعتبرهما البعض ((من اهم النزعات الاجتماعية التي تربط الفرد البشري بالجماعات وتجعله يحبها ويفتخر بها ويعمل من اجلها ويضحي في سبيلها)) (5) .

وقد تغنى الشعر العربي الحديث منذ بداية نهضته بالوطنية ودعا اليها واستنهض الهمم فيها ، واشاد برجالها ، ولم يتخلف الشعر الجزائري عن الركب ، بل كانت له اسهامات في هذا المجال ، ذلك ان الشعراء الجزائريين منذ فجر النهضة تفانوا في حب وطنهم والتعلق به

---

(1) ساطع الحصري ، ابحاث مختارة في القومية العربية ، دار المعارف - مصر - 1964 ، ص28 .

(2) محمد قنانش ، المواقف السياسية بين الاصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة ش،و،ن ،ت بدون تاريخ ، ص15 .

(3) نفس المرجع ، ص15 .

(4) اديب نصور ، وطنيون واوطان ، دار العلم للملايين (بيروت) ، ط/1 ص 35 .

(5) ساطع الحصري ، ابحاث مختارة في القومية العربية ، ص28 .

حتى كادوا يوقفون شعرهم على خدمته ،ومن هنا نجد الاغراض غير الوطنية التي تطرقوا اليها نادرة في شعرهم ،وغالبا ما يربطون بينها وبين الغرض الوطني ،لذلك فان الشعر الوطني يكاد يكون العمود الفقري للشعر الجزائري الحديث)) (1) .

وعبد الكريم العقون هو احد هؤلاء الشعراء الذين جعلوا قضية الوطن فوق القضايا كلها ،وقد تغنى هذا الشاعر بالوطنية في مناسبات مختلفة ،ومواقف متعددة فلا تكاد تمر به حادثة معينة الا ونجد لها صدى في شعره . وكثيرا ما تتعدد القضايا الوطنية في القصيدة الواحدة ،وسنقف عندها كلا على حدة .

أولا : المناسبات الدينية :

تعتبر المناسبة الدينية حدثا وطنيا بارزا في حياة الشعب الجزائري ،وخاصة في عهد الاحتلال الفرنسي ،فتقام الاحتفالات بشأنها ،ويساهم فيها الخطباء والشعراء على السواء وهذه المناسبات عند الشاعر عبد الكريم العقون فرصة ثمينة لتحريك المشاعر الوطنية لدى الجماهير ،ولابراز اصالة الشعب ،وتميز شخصيته ،فهو يعتبر مثلا - ذكرى الهجرة النبوية حدثا وطنيا يتطلع اليه الشعب الجزائري ليستمد منه نفسا جديدا لنضاله من اجل الحرية والاستقلال ،فيقول بهذه المناسبة :

اطعني شعري في المواقف واحتفل ... بذكرى اليها شعبنا يتطلع

ولا سيما ذكرى النبي محمد ... ففيها لعمري الطبع بالشعر طيع (2) .

والقصيدة التي مطلعها هذان البيتان اشبه بقصة او حكاية شعرية يروي فيها الشاعر حدث هجرة النبي (ص) من مكة الى المدينة ،ونحسب ان الجانب الهام فيها هو غرضها الذي يعد تنبيها الى نضال الرسول الكريم واصحابه ،وتضحياتهم من اجل نشر الرسالة المقدسة ،فهي بالتالي تجربة يمكن اخذ العبرة منها ،وسيرة تغري العقول

---

(1) احمد شرفي ،الشعر الوطني الجزائري (1925 - 1954) رسالة دكتوراه ،الحلقة الثالثة ،جامعة الجزائر 1979/78 ،ص158 .

(2) البصائر ،العدد : 14 ، 17/ 11/ 1947 .

للاقتداء بها ،ومغزى يستفاد منه • ان الايمان بقضية ما ،وتوفر الارادة في حملها يحطمان كل اشكال الحصار المفروضة على الانسان ، ويخولان له الانتصار على اعدائه مهما عظمت قوتهم وكثر عددهم • وقد كان الشعب الجزائري — آنذاك — احوج ما يكون الى ان يذكر بهذا المغزى وان يعرف تلك السيرة التي اجتهد الشاعر في تصويرها ، وتقديمها له •

فهدفه ليس التعريف بسيرة النبي (ص) ،وابراز معاناته وصبره ثم انتصاره فحسب ولكن هو التنبيه الى وجوب الاحتذاء حذوه •

وبمناسبة ذكرى المولد النبوي يقف معتزا بالرسول العربي ،ويذكر فضله على البشرية مفتخرا بالعرب وامجادهم فيقول :

نحن نسل الاولى لهم خضع العالم واستعذبوا ورود الحمام
نحن نسل الاولى لهم سطر التاريخ فخرا يبقى لهم بدوام
نحن احفاد قادة قهروا الفرس ودانت لهم بنو الاروام
اننا خير امة اخرجت للناس فاقتادت الورى بزمام
اننا نستعيد ما كان من مجد لنا في سالف الايام (1) •

والفخر بامجاد السلف لفتة لها قيمتها في استنهاض الهمم ،واستلهام التراث يساهم في شحن النفوس بطاقات العزة ،وفيه رفع للمعنويات المنهارة والعزائم الخائرة و ((من المعلوم ان امجاد الماضي من اهم عوامل الامل ،ودوافع الايمان بالمستقبل ،وذلك لان المرء عندما يجد في ماضي امته كثيرا من الصفحات المجيدة يزداد ايمانا بامكان استعادة ذلك المجد ويشتد اندفاعا للعمل في هذا السبيل)) (2) •

وقد ادرك الشاعر " العقون " هذه الحقيقة فراح يتغنى بالتاريخ الاسلامي في اشراقته ،ويعتز برجاله لتحقيق هدفين : اولهما توجيه الانظار لاخذ العبرة ،وثانيهما تأكيد عروبة الجزائر واسلامها رابطا في ذلك بين النزعة الوطنية والنزعة القومية ،ومفهومه للدين

---

(1) البصائر ،24 ،23 ،02/ 1948 •

(2) ساطع الحصري ،ابحاث مختارة في القومية العربية ،ص104 •

ايجابي يتجلى في تفاؤله باستعادة الامجاد الضائعة مستقبلا ،وفي اعتباره الاسلام رسالة حضارية ،وهو في هذا يلتقي مع اخوانه الشعراء الجزائريين الذين نجد نظرتهم الى الاسلام ((متفتحة على واقع الحياة الاجتماعية ومشاكلها ،ولا تنحصر في الجانب الروحي والاخلاقي وحدهما)) (1) ولكننا لانعدم ان نجد عنده بعض الهنات من حين لآخر كما نرى في المقطع الآتي من القصيدة :

يا رسول الاله امتك العصر ... باءاضحت تساق كالانعام

يا رسول الاله كم ذا يلاقي ... بعدك المسلمون من آلام

قد غدوا في يد العدو سلاحا ... ليذود العدى به ويحامي (2) .

مما جعل الدكتور صالح خرفي يعلق على هذه الابيات ـ معمما حكمه على الشعراء الجزائريين بقوله : ((فان موقف الشفاعة والاستصراخ من هذا التاريخ لم يتخل عنه بعض الشعراء ... وكان هذا الموقف ينطلق احيانا من شعور حاد بفداحة الخطب واستحكام القيد وغلبة الشعور بالمرارة على الشعور بالاحتمال)) (3) .

والحقيقة ان الشاعر لا يلبث ان يفيق من غفوته ،ويعود الى قوته ،ولا يقف عند حدود الشكوى والاستغاثة ،والنظرة السلبية الى التاريخ ،ولعل الدكتور صالح خرفي لم يطلع على القصيدة كاملة في مصدرها الاصلي ،والا لما اصدر حكمه السابق على الشاعر من خلال الابيات الآنفة الذكر ،والا فكيف نفسر هذه الصرخة المدوية بعد يقظته ؟ :

ايها الشعب كيف تصبر دهرا ... تحت ظلم مخيم كالظلام ؟

ايها الشعب كم تعاني هموما ... من طغاة مستعبدين لئام

ايها الشعب حطم القيد واهتف : ... قد سئمنا حياتنا في الرغام (4) .

---

(1) احمد شرفي ،الشعر الوطني الجزائري ،ص 144 .

(2) البصائر ،24 ،23/02/1948 .

(3) د . صالح خرفي ،الشعر الجزائري الحديث ،م ،و ،ك ،الجزائر 1984 ،ص 119 .

(4) البصائر ،24 ،23/02/1948 .

فنراه ينكر على الشعب استكانته للظلم وصبره عليه ،ويذكره بما يعانيه من جراء السيطرة الاستعمارية ،ثم يدعوه الى التمرد ،وتحطيم الاغلال والهتاف برفض حياة المذلة والهوان وبذلك نستطيع القول بان الوعي التاريخي قد تحقق عند الشاعر،الا انه على الرغم من تحريضه الشعب على كسر القيود التي يرسف فيها فانه لا يرشده الى الوسيلة التي تمكنه من ذلك ولا يرسم له الطريق الذي يجب ان يتبعه لتحقيق هذه الغاية ،وكأني بالشاعر غير مقتنع في هذه المرحلة بجدوى استعمال السلاح ،واللجوء الى القوة ،ولكن حسبه انه دعا الى التحرر جهرا وعبر عن وطنيته الصادقة واخلاصه لشعبه .

وعلى الرغم من ان شعر "العقون" لم يحفل بالمناسبات الدينية —على كثرتها— الا انه استغلها لبث الوعي السياسي ،والشعور الوطني مستندا على الخلفية التاريخية للمناسبة ،وما تضمنته من عناصر القوة ،حتى وان جنح عن الموضوع الاساسي ،وكان ذلك على حساب الجانب الفني ممثلا في انعدام الوحدة العضوية للقصيدة ، التي كثيرا ما تضيع في غمرة الجهد الاصلاحي ،وتحت تأثير الحس الوطني الذي كان يناضل من اجل نشره وذلك هو عذره ان اردنا انصافه .

وهذا الموقف من المناسبات الدينية قاسم مشترك بين الشعراء الجزائريين جميعا وظاهرة لافتة للنظر في شعرهم حيث نجده ((لا يلتقي بها الا لقاء مزدوجا يعرض الحاضر على الماضي ،ويستخلص العبرة ويستثير الهمة ،فهو ابعد ما يكون عن الوقفة العابرة والنظرة المرتجلة ،تلتقي بالمناسبة لقاء اليوم والليلة ،وتختفي بها اختفاء الزينة والمظهر ثم تتوارى في النسيان ،وتعود الايام الى سابق رتابتها)) (1) .

ونظن ان عرض الحاضر على الماضي يتحقق عند شاعرنا بدعوة العرب — ومنهم الشعب الجزائري طبعا — الى عدم الاستسلام والركون الى الجمود ، وبالتحذير من مغبة الاستكانة للظلم ،والخنوع للمستعمر ،واحناء الجباه للعدو ، وبالحث على الاتحاد ،ومجاهدة الكفر ففي ذلك تجديد لعهد النبي (ص) ووفاء له :

---

(1) د . صالح خرفي ،الشعر الجزائري الحديث،ص 56 .

يابني الضاد لاتناموا على الضيم ولا تخضعوا لقوم طغـــــام
جددوا عهد احمد باتحـــــاد وجهاد وحكمة ونظـــــام
اكلئوا دينه ،وذودوا عـــــداه لاتهابوا ،لاتحجموا ،للامـــام (1) .

ومما يلاحظ في هذا المقطع من القصيدة تلك النزعة الخطابية والاسلوب المباشـــر الذي اعتمده الشاعر في توصيل افكاره الى الجمهور ،ولا ادل على ذلك من هذه الاوامـــر والنواهي التي تعددت في الابيات،اذ لجأ الى الامر ثلاث مرات (جددوا ،اكلئوا ،ذودوا) واستعمل النهي اربع مرات(لاتناموا ،لاتخضعوا ،لاتهابوا ،لاتحجموا) ،وان دل هذا على شيء فانما يدل على الحاح الشاعر على فكرة التيقظ ،والقيام بما يمليه الواجب،كما يدل على صدق مشاعره .

ونحسب ان انطلاق الشاعر من الاسلام في سبيل شحذ الهمم ،يرجع الى ادراكـــه ما للعاطفة الدينية من تأثير في الهاب المشاعر الوطنية وتنوير الشعب . كما يتجلى مـــن خلال الابيات ايمان صاحبها بوحدة المصير للشعوب العربية التي يجمع بينها عنصـــران اساسيان في شخصية كل امة ،وهما : اللغة والدين .

وهكذا تتعدى المناسبة الدينية عنده اطار تخليد الذكرى لتصبح حافزا للتحـــرر وموقفا نضاليـــا .

على ان التعبير عن المشاعر الوطنية من منظور ديني لا يقتصر على المناسبات الدينية وحدها عند شاعرنا ،بل يتعداها الى مواقف اخرى ،ففي قصيدته " من لسان الضاد " يبرز الاسلام كقوة دافعة للعمل والحرية فيقول :

دينك الاسلام يأبى ان ترى ابدا مشتغلا باللعب....
دينك الاسلام حرره تســـد وتنل ما ترتجي من ارب
دينك الاسلام دين خالـــد شمسه ساطعة لم تغرب
دينك الاسلام كن متبعـــا لمباديه تفز بالغلــــب

(1) البصائر، 24،23/02/1948.

../..

سامه الغاصب الوان أذى ورماه بفنون الريـــب

فمتى تحميه من اعدائه ؟ فهو من أعدائه في كرب (1) .

فالابيات ـ على نثريتها ، وسطحيتها ـ تظهر نضال الشاعر من أجل الدين وايمانه بدوره في حياة الشعب الجزائري ، واعتباره القضية الوطنية الاولى التي يترتب على نجاحها النجاح في مختلف القضايا دون ان ينسى دوره في ابراز شخصية الامة وتفردها ، وما فيه من جوانب روحية لاغنى للانسان عنها :

هو للشرق شعار مالــه ان يضيع دينه من حسب

وهو للظمآن ورد سائــغ فانهلوا من ورده المستعذب

وهو للمسلم نور مشرق ولهيب لجحود مذنـــب (2) .

وعندما اثيرت قضية فصل الدين عن الحكومة في البرلمان ، وقف الشاعر داعيا النواب المخلصين من ابناء الشعب الى الدفاع عن الدين :

ان صوت الدين ناداكم فلبوا مسرعـــــين

قد دعاكم لحياة بعدها الفوز المكـــين

فابعثوه ـ من جديد ـ رائعا للناظريـــن

بعدما دنس من قوم بغاة آثمـــين

حاربوه ، نهبوا اوقافه ، الناهبـــين (3)

وعثوا في ارضنا مثل ذئاب جائعـــين (4)

---

(1) البصائر ، 159 ـ 11 ، 06 ، 1951 .

(2) نفس المصدر .

(3) كذا في الاصل (الناهبين) ، ويبدو انه نصبها على الاختصاص ، وتقرأ بالقطع حتى لا ينكسر الوزن .

(4) البصائر ، 216 /ـ 1953/02/06 .

وواضح ان المعاني التي اتى بها بسيطة ،فهو يدعو الى تلبية نداء الدين المستغيث وبعثه من جديد رائعا مشرقا بعدما دنسه الغزاة وحاربوه ،ونهبوا اوقافه وعاثوا فسادا في ارض الجزائر كالذئاب الجائعة ،ولعل قيمة تلك المعاني تكمن في كونها دفاعا عن الهوية الوطنية في ظرف اشتد فيه حصار المستعمر للاسلام ومحاربته له . ونحسب ان الغيرة على الوطن ممثلا في دينه هي التي جعلت الشاعر يقف بشجاعة في وجه العدو مهاجما ،ومنددا بجرائمه ،وفاضحا لاعماله وهو موقف له قيمته في وقت كان فيه المستعمر يحاسب على الخاطرة والهمس.

لقد ادرك الشاعر الخطر الذي يتهدد كيان الامة باستهداف دينها فهب يدافع عنه بقوة معبرا عن صدق وطنيته ،وبعد همته ،فالوطنية الحقة لا تظهر الا في أوقات الخطر والهم لا تصرف الا عند المصائب كما يقول مصطفى كمال (1) .

ويربط " العقون " بين دفاعه عن الدين واعتزازه بجمعية العلماء حامية الاسلام في ارض الجزائر مشيدا بدورها في أعادة ترتيب خيوط نسيج شخصية الامة وتقويتها ،منوها بجهودها الاصلاحية فيقول :

ان ذي جمعية للعلماء المسلمين . .
قد دعتكم للعلا والعز والفتح المبين . .
بعث الله اليكم اسدا تحمي ذا العرين
يحملون المشعل الوضاء يهدي المدلجين
لكم في احمد المختار خير المرسلين
اسوة في رفع حصن للهداة المخلصين
بدأ الداعي الى الرحمن بيت المتقين
في " قبا " شيد مشكاة حق ويقين

(1) د . اديب نصور ،وطنيون واوطان ،ص96 .

../..

انما المسجد يا مسلم مأوى المحسنين

مالنا يا جند طه دينَنا اليوم رهين ؟ (1) .

فجمعية العلماء في اعمالها تقتدي بالرسول (ص) ، واذا وجب الالتفاف حولها ومؤازرتها .

ثم ينتقل الشاعر الى ابراز اثر الاسلام في شخصية الفرد وتكوينه فكريا وتربويا ويمضي جاهدا لاظهار فضائله على البشرية :

دينك الاسلام يا مسلم وضاح الجبين

دينك الاسلام ورد سائغ للشاربين

دينك الاسلام مشكاة تضيء العالمين

دينك الاسلام سيف مصلت للملحدين

دينك الاسلام روح قد سرت في المؤمنين

دينك الاسلام يلقي نوره للتائبين

دينك الاسلام دين العقل والقول الرصين

قد ازاح الشرك عن عقل الطغاة المشركين

وهداهم بعد غي وجحود وظنون ..

جاء بالرحمة والعزة والمجد الثمين (2) .

ويتجلى لنا ما في الابيات من تكرار وتقرير وجفاف في اللغة مما جعلها اقرب الى الشعر التعليمي ، وخطب الوعظ والارشاد ، ومع ذلك لا نعدم ان نجد فيها نظرة واعية وايجابية الى الاسلام و (هذه النظرة .. نجدها عند معظم الشعراء الجزائريين ... ودفاعهم عنه ضد تهجمات الاستعماريين وآراء الطرقيين الجامدة نابع من ايمانهم العميق برسالة الاسلام الاجتماعية ودوره في الحضارة العربية) (3) .

---

(1) البصائر ، 216 ، 1953/02/06 .

(2) نفس المصدر .

(3) أحمد شرفي ، الشعر الوطني الجزائري ، ص 141 .

../..

والشاعر اذ يمجد الاسلام انما يمجد الوطنية ،لان الدين هو عنوانها ،يقول مصطفى كامل ـ محقا ـ : ((قد يظن بعض الناس ان الدين ينافي الوطنية ،وان الدعوة الى الدين ليست مع الوطنية في شيء ،ولكن ارى ان الدين والوطنية توأمان متلا زمان ،وان الرجل الذي يتمكن الدين من فؤاده يحب وطنه حبا صادقا ،ويفديه بروحه ،وما تملك يداه)) (1) .

وبعد ان يبرز الشاعر رسالة الاسلام الحضارية ويتأكد من اثارة العاطفة الدينية في نفوس السامعين يبادر الى تحقيق الهدف الذي مهد له،فيدعو الى الاعتصام بالدين الاسلامي والاغتراف من ينابيعه،والجهاد في سبيله :

ارجعوا للدين ان الدين يحي الخاملين
ان بالدين حياة العرب هبوا أجمعين
انتم حزب الاله الطاهر القلب الامين
استعدوا لتردوا عهد جند ظافرين
لا تخوروا أنتم الاغلون رغم الكاشحين
ناضلوا يا قوم واحموا دينه من غاصبين
ان جند الله لا يخشى الردى أو يستكين
كافحوا الظلم ،وذودوا عن تراث المسلمين
انهضوا لا ترهبوا من هؤلاء المعتدين
انتم من نسل أبطال غزاة فاتحين
فاعيدوا مجدهم يا قوم من دنيا ودين . (2)

ويلاحظ هنا اشتداد لهجة الشاعر،وتخطيه حدود الوعظ والارشاد ليحث على النضال،ويحرض على الكفاح ،كما نلمس في الابيات حماسا وحرارة توجيه، والتفاتا الى التاريخ العربي الاسلامي بغية بعث الامل في النفوس،وتثبيت الاقدام ،وهي لفتة حسنة لـ((ان التاريخ يكون مفيدا عندما يفرغ على شكل قوة دافعة تحركنا الى الامام ...)) (3) .

---

(1) محمد قنانش،المواقف السياسية ،ص15 .
(2) البصائر،216،1953/02/06 .
(3) ساطع الحصري ،ابحاث مختارة في القومية العربية ،ص119 .

وهكذا تتحول القصيدة الدينية عند عبد الكريم العقون - كمثيلاتها عند بقية الشعراء الجزائريين - الى منبر للنضال السياسي والوطني كلما ازداد ضغط المستعمر على الاسلام ، ولعل هذا ما قصده الدكتور صالح خرفي بقوله : ((ومع اشتداد وطأة الاستعمار واشتداد ساعد الاصلاح ، يتصاعد الاتجاه الوطني في القصائد الدينية حتى يكاد يطغى عليها في بعض المواقف فيبرر ادراجها في السياسيات ....)) (1) .

وعلى النسق السابق تجري جميع اشعار "العقون" الدينية حيث يتخذ منها طريقا لنشر الوعي السياسي بين افراد مجتمعه بعدما يوطئ لذلك باظهار جوانب العظمة في الدين الاسلامي ، والقيم الروحية والخلقية والحضارية التي تضمنها ، ففي قصيدته التي انشدها في حفل تدشين مسجد " تازمالت " (2) . يستهل حديثه بالدعوة الى رعاية الاسلام ، واحياء عهوده الزاهرة :

شيد المسجد يابن الاكرمين وتعهد دينك الزاكي المكين
وابن للاسلام حصنا شامخا لتنال العز والفوز المبين
وتزود من شعاع باهر .. واغترف من منهل عذب معين
واحي عهدا قد مضى مزدهرا واتبع نهج الهداة المصلحين (3) .

وبعد الاشادة بالشعب الجزائري الناهض الذي ما انفك يبني القلاع ويشيد الحصون للاسلام - معبرا بذلك عن اصالته - يتطرق الى رسالة المسجد الاجتماعية ، ويربطه بالحياة العملية ، فيقول :

انه كالغيث يحيي ما ذوى من نبات ورياض وغصون
ساقه الله الى ارض غدت منبت الورد نما والياسمين
حاول الكاشح ان يطمسها فغدا سخرية للساخرين
بذل الاموال في تضليلها زمنا طال فخانته الظنون

---

(1) د . صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص59 .
(2) تازمالت ، مدينة تقع في الناحية الغربية لولاية بجاية .
(3) البصائر ، 272 ، 1954/05/21 .

../..

جند الآباء للتبشير في   ثكنة الاسد ومهد الصادقـــين

خاب سعي المفتري في أمة   لم يزحزحها سراب المفتريـــن (1) .

فرسالة المسجد ـ في نظره ـ نبيلة سامية ، انه يعيد الحياة الى الامة الجزائريـــة مثلما يعيد الغيث الخضرة الى موات الارض ، ثم يفضح الشاعر نوايا المستعمر الذي حـــاول مسخ شخصية الامة فخابت مساعيه لان الاسلام قد تمكن من قلبها الى درجة لا يمكن معهـــا ردها عنه .

وبعد ان يضع الشاعر يده على الاسباب والعلل التي توجب الانتباه ، ويتأكد من تحرك المشاعر الوطنية يدعو الى الكفاح :

يا وقود العلم أبطال الحمـــى ..   يا أسود الله ، احموا ذا العريـــن

اخلعوا الاغلال عنه ، قد غدا   راسفا تحت قيود الظالمـــــين

انه يصرخ منهوك القـــوى   فاحمه بالدين والخلق المتـــين

ابذلوا الاموال والنفس معـــا   فتنالوا المجد ، مجد الاولـــين (2)

وهكذا يخرج عن الاطار الاصلاحي الى رحاب النضال السياسي ، فيحفز الجماهـــير على فك الاغلال التي [illegible] ، ويحدد اطار الثورة التي يرى ان يكـــون منطلقها الاسلام ، وهدفها تحرير الوطن ، وتطهيره ، ووسائلها التحلي بمكارم الاخلاق ، وبذل الاموال ، واسترخاص الانفس .

ونلمس هنا تطورا في موقف الشاعر ، اذ اصبح يؤمن بالكفاح المسلح وسيلة للتحرر بعدما كانت رؤيته غير واضحة من قبل ، كما ان دعوته الى الثورة باسم " مجاهدة الكفار " تأتي مـــن تيقنه من تقديس الشعب الجزائري للعاطفة الدينية ، فهي ـ ربما ـ العاطفة الوحيـــدة القادرة علـــى لم شمله ، وتوحيد صفه ، وجمع كلمته .

وعبد الكريم العقون يعرف كيف يصل الى هدفه ، فهو يمهد الطريق تمهيدا مناسبا ، وذلك باستهدافه عواطف الشعب ، حتى ما اذا استمالها اليه ، راح يثورها ، ويدفعها الى العمل بكل الحاح .

(1) البصائر ، 272 ، 1954/05/21 .

(2) نفس المصدر .

..//..

وللشاعر قصيدة اخرى انشدها في حفل افتتاح مسجد " البليدة " (1) يبرز في بدايتها دور المسجد في التعبئة السياسية ، ومساهمته في اعداد الاجيال لمحاربة المستعمر :

مساجدكم تشفي النفوس الصواديا — وتهدي شبابا للجزائر فاديا
تعيد الى الاسلام انواره التي — اطلت على الدنيا نجوما دراريا
محت ظلم الشرك المبيد واخفقت — من الظلم والعدوان ماكان فاشيا (2)

دون ان ينسى دور المدرسة الحرة - التي تبنى الى جوار كل مسجد - في اثبات الذات الوطنية ، وتقوية شخصية الامة :

وثبتم فشيدتم معالم للهدى — ومدرسة يغدو بها الضاد زاهيا
تعيد له انغامه ولحونه — فيصغي اليها الكون نشوان ضاميا
ففي حصنها يشفي الوجيع من الضنى — وفي ساحها نشء يردد شاديا
اناشيد قوم كافحوا الظلم جهدهم — وباعوا نفوسا للاله غواليا
فيأخذ آيات البطولة عنهم — ويغدو به حظ الجزائر وافيا
ويحمي عرينا دنست طهره العدى — ويضمد جرحا فاغر الفم داميا (3) .

فالمدرسة عند عبد الكريم العقون لم تعد مجرد وسيلة لمحو الامية ، بل انها قلعة لانطلاق الثورة ، وثكنة لتخريج الثوار ، وبعبارة اخرى فان دورها لا يتوقف عند حدود تقديم العلم والمعرفة ، وانما يتجاوزه الى غرس الروح الوطنية ، والتعبئة السياسية ، واعداد الاجيال لحمل لواء الجهاد ضد المحتل ، فهي تؤدي مهمة وطنية الى جانب المسجد ، واذا كان المسجد حصنا يحفظ على الامة دينها ، فان المدرسة تحفظ عليها لغتها ، و ((الدين اذا اتحد مع لغة من اللغات قوى جذور تلك اللغة ، وحافظ على كيانها أكثر من جميع العوامل الاجتماعية الاخرى)) (4) .

---

(1) البليدة ، مدينة تبعد عن العاصمة بحوالي 45 كلم .
(2) الديوان ، خطوط الورقة .
(3) نفس المصدر .
(4) ساطع الحصري ، ابحاث مختارة في القومية العربية ، ص48 .

../..

واذا صدق هذا القول فانه يصدق اكثرعلى الاسلام والعربية ،ولعل هذاما ادركتـه الحركة الاصلاحية ــ التي يعتبر" العقون" احد رجالها ــ فجعلت ((همها بعث الشخصية الجزائرية المتمثلة في الثقافة العربية (اللغة ،التعليم ،التقاليد) والتعاليم الاسلامية الصحيحة ــ)) [1] ،يقول الشيخ محمد خير الدين : ((ان انتسابنا لهذه الجمعيــة (جمعية العلماء) معناه التعاهد والتعاون على تنفيذ المرامي التي ترمي اليهـــا والمبادئ التي تسعى لها ،واصول هذه المبادئ هي : احياء الاسلام الصحيح باحيـاء الكتاب والسنة ونشرهما بين الناس ، واحياء اللغة العربية وآدابها ،واحياء التاريـــخ الاسلامي ،وتاريخ رجاله الغر الميامين)) . [2] .

ورجال الاصلاح هم قلب الامة النابض ،ولذا اهتم بهم الشاعر واشاد بجهودهم الــتي يبذلونها في سبيل الجزائر ،يقول مخاطبا سكان البليدة :

هتفتم فلبتكم جنود جريئــة .. تدافع عن هذي الديار الدواهيـا
تداعت لنصر الدين يدفعها الهدى ويطربها صوت البشائر هاديـــا
عليها يلوح البشرا شرق نوره اذ انبعث كالفجر يغزو اللياليـــا
نفوسهم تهفو اليهم خوافقـا وايديهم تنهل سحبا غواديـــا
تشاطركم في عيدكم ونضالكـم وتهدي لكل العاملين التهانيـــا
وتهفو الى عيد تمزق عنـــده لعمري من الاكفان ماكان باليـــا [3] .

ولا شك ان العيد الذي يشير اليه في البيت الاخير هو عيد الاستقلال ،ولا شك ان القصيدة قد نظمها اثناء الثورة المسلحة ،وهي المرحلة التي اصبح فيها الاتجاه الوطني عنده اكثر نضجا ،حيث اضحى متفائلا بالمستقبل ،مبشرا بالنصر ، واذا كان الشاعر قد تطرق الـــى القضايا الثقافية في ثنايا بعض القصائد الدينية ،فليس معنى ذلك انه اهمل المناسبـــات

---

(1) د . أبو القاسم سعد الله ،مجلة الثقافة (الجزائر) ،س14 ،ع79 ،ص90 .
(2) سجل جمعية العلماء ،مطبعة دار الكتب (الجزائر) 1982 ،ص176 .
(3) ديوان الشاعر (مخطوط) الورقة 51 ،وانظر القصيدة كاملة في الملحـق ص 290 ، 291 .

الثقافية البحتة ،بل اولاها بعض اهتمامه ،وهذا ما سنتعرض له في النقطة الثانية من هذا الفصــل .

ثانيا : المناسبات الثقافيـــة .

تشكل المناسبة الثقافية هي الاخرى فرصة ثمينة للافصاح عن المشاعر الوطنية عند الشاعر ،ومنطلقا هاما للنضال السياسي ،والاصلاح الاجتماعي ،فبمناسبة عودة جريدة " البصائر" الى الصدور بعد احتجاب دام حوالى ست سنوات(1939 ـ 1947) (1) يهتز فرحـــا للنبا السعيد ،ويعبر عن غبطته بقوله :

لقد عادت لميدان الجهـــاد لها من قوة الايمان حـــاد
وهبت كالنسيم أصاب زهـــرا واهدى من شذاه لكل نـــاد
قد احتجبت لاهوال جسـام وها هي ذي تشع على البلاد (2) .

ويبين دور الصحيفة في ايقاظ الشعور الديني والوطني ،وتنوير العقول ،تبصير أفراد الامة بوضعهم السياسي والاجتماعي والثقافي فيقول :

" بصائر تستضيء بها الدياجي ويمحي ما توالى من فســـاد
وتنقشع الغيوم اذا توالــت على افق الجزائر باطـــراد
ويصعد نجمها افق الامانــي فيشرق في النجود وفي الوهـاد
الا ان " البصائر" خير داع لشعب هاتف بالمجد شـــاد
الا ان " البصائر" خير هاد لنشئ هب من سنة الرقـــاد
فآيات الطموح الى المعالـي صحائف حرة فينا تنـــادي . (3)

(1) تقول الدكتورة أنيسة بركات درار ان الشاعر قد قال هذه القصيدة يخاطب بهـــا الجماهير في مظاهرة صاخبة ،والحقيقة انه نظمها بمناسبة ظهور جريدة البصائر سنـــة 1947 ونشرها بالعدد الثاني ،وتدل على ذلك الابيات التي يذكر فيها الجريـــدة انظر: أنيسة بركات درار،ادب النضال في الجزائر ،م ،و،ك ،1984،ص85.

(2) البصائر،2 ـ 1947/08/01 .

(3) نفس المصدر.

أسفي عليك تنازعتك عوامـل　　　شتى أراك تئن من اعناتهـا
واستأثرت بك نوبة حزبيـة　　　جنت الكبائر تحت تأثيراتهـا
سامح بلا دك واعف عن احزابها　　　واقبل طوائفها على علا تهـا

والدعوة الى الوحدة الوطنية :

فادع الجميع لوحدة شعبية　　　تقي المصائب عنك في اثباتهـا
لا تحصلي الا شياع تستكثر بها　　　في امة قطعت حبال صلاتهـا
اجدي الحساب لامة مغلوبـة　　　في طرح فرقتها وجمع شتاتهـا .(1)

والتنويه بجهود جمعية العلماء ، وما الى ذلك من القضايا الوطنية التي كانت مطروحة آنذاك ..

والحقيقة اننا اذا نظرنا في القصيدتين راينا محمد العيد اكثر احاطة من العقـون بالقضايا الوطنية ، حيث وجد في اجتماع العلماء والطلبة فرصة مواتية لنشر مبادئ الاصلاح والحث على التضامن وبذل المزيد من التضحيات من اجل الوطن ، أما عبد الكريم العقون فانه تقيد بجو المناسبة اكثر من زميله ، فلم يشر الى الوحدة الوطنية ، ولم يدع الى تكاثف الاحزاب والابتعاد عن النعرات التي تشتت الشمل ، وما الى ذلك مما طرحه العيد . واذا كان العيد قد افتتح القصيدة بالدعوة الى الاصلاح ، وختمها بذلك ، فان العقون افتتح قصيدته بالتعبير عن فرحته بهذه المناسبة التي اتاحت له زيارة قسنطينة مهد تعليمه ، ومحطة ذكرياته ، كمـا ختمها بالحديث عن جانب من تلك الذكريات :

قسنطينة كم ذكريات تجددت　　　بلقياك ، والذكرى لقلبي كالـزاد
اتيت اليها بعد حين يهزني　　　حنين كصداح على وكره شـاد
ذكرت بها عبد الحميد وعهده　　　وايامه الغراء جادت باسعـاد
تذكرت اياما بها وليالـيا　　　عذابا قطعناها على هامة الـوادي ...

وكأني به قد استعجل الحديث عن ذكرياته ، ومشاعره الخاصة ، فلم يبلغ ما بلغه العيد فـي الغوص بمعاني الموضوع الاساسي للقصيدة .

---

(1) ديوان محمد العيد ، ش.و.ك . الجزائر 1967 . ص211 ، 212 ، 213 ، وقد نشرت القصيد بالبصائر : 249 ، 1953 .

../..

وتعقد " جمعية العلماء " اجتماعا لها فيسمع الشاعر صوتها للشعب بقصيدة (1) يردد فيها المعاني التي طرقها من قبل كالاشادة بالعلماء باعتبارهم قادة الشعب وبوصفهم مدافعين عن شخصيته، يقول :

طرب الشعب لاحتفال مجيد   بوفود للعلم خير وفود

رابضات كأنها أسد غاب   وعليها مهابة من بعيد

تتجلى في مظهر مستنير   يبعث النور في الربى والبيد

فاجتماع العلماء حدث وطني في نظره يطرب له الشعب، ويحتفي به، لانهم سينكبون فيه على دراسة القضايا التي تهم البلاد، وفي مقدمة هذه القضايا اللغة العربية، واعلاء كلمة الله في ربوع الجزائر، ولذا فهم جديرون بالثناء :

ايه جمعية الصناديد مرحى   يا شعار الفدى ورمز الخلود

انما انت صيحة الحق في الشعب المفدى في وجه كل مريد

عشت للعلم والهدى والمعالي   فلقد سرت للعلا بجهود

انت رغم الطغاة عرش شموس   غمرت ربعنا بنور سعيد

فعلى الشعب من سناك ضياء   مشرق باسم كصبح جديد

نهضت تستعيد مجدا تليدا   عربيا مخلدا في الوجود

ان جمعية العلماء لا تتمثل مهامها في الاصلاح الديني والاجتماعي فحسب ولكنها (صيحة الحق في الشعب) وقائدته نحو العلا والنهوض لاسترجاع امجاده التي سلبها منه المستعمر، وإرادة الامة الجزائرية تتمثل في تحطيم الاغلال، وتحرير الجزائر، وما تفانيها واخلاصها، وصدق عهودها التي قطعتها على نفسها لحماية الدين الاسلامي واللغة العربية الا دليل على طموحها المتوثب :

ان ركبا أم الجزائر يبغي   فكها من سلاسل وقيود

لهو ركب على المدى متفان   مخلص صادق وفي العهود

عاهد الله والبلاد ليحمي   لغة الضاد من عدو لدود

(1) البصائر، 55، 1948/11/08.

يا وفود السلام يا أيها الانـ ـجم في ظلمة الليالي السود
قد وثبتم الى النضال سراعا في ثبات وجرأة كالاسود
وثبتم على المبادئ كالاطـ ـواد ترسو من فوق هذا الصعيد
لم تزعزكم العواصف أو تثـ ـني خطاكم حوادث التشريد
هكذا ينبغي لامة طـه أن تجاريه في الثبات العتيد .(1)

فالشاعر يحيي في المجتمعين الروح النضالية ، والثبات على المبادئ ، والجرأة في مواجهة المستعمر ، ويطلب منهم مزيدا من التضحية في سبيل الوطن ، وأعداد الشباب لتحقيق الهدف المنشود :

يا دعاة الهدى ورمز التفادي هيئوا النشئ للغد المنشود
لا تناموا على المذلة والخسـ ـف ، وهبوا الى العلا كالجدود
واطلبوا الحق ان للحق أنصا را شدادا هم كثيرو العديد
انهضوا شيدوا المكارم أنتم قد خلقتم ـ والله ـ للتشييد .(2)

وتظهر لنا من خلال هذه الابيات ثقة الشاعر في الشعب ، فهو متأكد من ان الامة اذا وجدت قائدا يوجهها ، ويرسم لها ملامح طريق التخلص من الغزاة فانها سوف لن تتوانى في العمل على تطهير وطنها ، ولن يتخلف فرد من افرادها في المطالبة بحق الاستقلال .

والشاعر وان كان لا يجاهر بكلمة الحرية ـ كعادته ـ الا ان قصده واضح ، وتلميحه اليها نستشفه من ثنايا الابيات .

وهكذا تتحول المناسبة الثقافية عنده مثل المناسبة الدينية الى موقف اصلاحي ، ونضالي من اجل الحقوق الوطنية المداسة ، وفرصة مواتية لبث الوعي السياسي ـ فهو لا يقف عند حدود المناسبة ينظر اليها نظرة آنية ضيقة مجردة عن الظروف السياسية والملابسات الاجتماعية وانما يتخذها خلفية للانطلاق الثوري ، ويشرف منها على آفاق نضالية ووطنية رحبة ـ مما

(1) البصائر ، 55 ، 1948/11/08 .
(2) نفس المصدر .

يدفعنا الى القول بان " العقون " شاعر التزم بقضايا شعبه ووطنه التي ظل يلح بذكرها اصلا حا ونضالا ،طامحا دائما وأبدا الى اثبات عروبة الجزائر واسلا مها ،معتبرا نضال رجالها جهادا اسلا ميا .

ثالثا : الوحدة الوطنية .

ليس " العقون " اول وآخر من دعا الى هذه القضية ،وناضل من اجلها ،فقد ((اهتم الشعراء بالدعوة الى الوحدة الشعبية ونظموا قصائد كثيرة في هذا الموضوع،لان الاستعمار كان يعمل على تجزئة البلاد وتكوين العناصر القبلية فيها ...)) (1) وخاصة بعد تأسيس حزب الشعب (1936م) وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية فـ ((في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر اخذ الشعر على عاتقه الدعوة الى الوحدة الشعبية ،والوطنية النقية ،والى التحرر من الماضي البغيض،ونسيان الذات في سبيل المثل العليا ...)) (2)

وقد حمل الشاعر عبد الكريم العقون هموم وطنه منذ ان كان طالبا بتونس،فكانت اولى قصائده المنشورة قد القاها بمعهد ابن خلدون في اجتماع للطلبة الجزائريين الزيتونيين وفيها يظهر بوضوح نضجه السياسي ،وثورته على الشقاق السائد بين افراد شعبه وبين شعوب المغرب العربي ، يقول مخاطبا الطلبة :

يا طيور الرياض حي اجتماعا　　　حاز فضلا وعزة وارتفاعا
ثم حي " الشمال " ان شعوري　　　كاد يقضي عليه قوم ضياعا
قد اصيبوا في جمعهم بشقاق　　　مرض يبلع الحقوق ابتلاعا
ما زرعنا غير الشقاق فلما　　　اينع الزرع اعجب الزراعا
يا شبابا لتعتصم باتحاد　　　ولنوحد صفوفنا لنراعا
با لتآخي نرقى وبالعلم نحيا　　　ونقوي في المعضلات ذراعا . (3)

(1) د . انيسة بركات درار،ادب النضال في الجزائر،ص90 .
(2) د . ابو القاسم سعد الله ، دراسات في الادب الجزائري ،دار الآداب ،بيروت 1966 ط/1 ،ص38
(3) البصائر،95 ،1938/01/14 .

تآخوا وضموا الشمل لا تتخاذلوا   لتجلوا عن الغيل الابي الاعاديا
وخوضوا الى العلياء كل كريهة   لكي تبلغوا بعد الكفاح الامانيا .[1]

ولم يكن عبد الكريم العقون مواليا لحزب من الاحزاب السياسية ، بل كان يرى فيها جميعا نموذجا للتشتت والتمزق ، ولكنه لم يقف موقف الحياد من تصرفاتها ، بل كان يدعو قادتها الى توحيد الكلمة والعزوف عن الاهواء الخاصة والاغراض الشخصية والعمل دوما لمصلحة الشعب والوطن :

فيا ايها الاحزاب هبوا واجمعوا   شتاتكم فالشعب قد صار في كرب
ألا اتحدوا ماذا التفرق بينكم ؟   وكفوا عن العدوان والحقد والشغب
وكونوا بناء شامخا لا تنخله   قوى البغي ان البغي يرغم في الترب
ألم تنظروا من حولكم كل أمة   أقامت صروح العز تعلو على السحب .[2]

وينبه الى الاخطار التي تنجر عن الخلافات فيقول :

فأعداؤكم يستثمرون اختلافكم   ويرمونكم بالجهل والطيش والعجب
أفيقوا أفيقوا من سبات مخدر   فأبصار الاستعمار يقظى على الارب
علام الخلاف والتنافر بينكم ؟   ألستم على دين الصداقة والحب ؟[3]

فهو يشن ثورة على التنظيمات السياسية المتصارعة فيما بينها ، وينكر عليها ما هي فيه من خصومات ونزاعات هامشية لا تخدم مصلحة البلاد ، فلم يشذ عن تلك القاعدة التي لخصها الدكتور أبو القاسم سعد الله بقوله : ((.... ومن حسن الحظ ان الشعر الجزائري لم يكن حزبيا حتى في اشد عهود الحزبية ازدهارا ، بل انه طالما حمل عليها ، ونادى بالتخلص منها وتوحيد الصف والعودة الى الشعب.))[4] ولعل حملة العقون على الاحزاب السياسية

---

(1) الديوان ، مخطوط ، الورقة .
(2) البصائر ، 43 ، 1948/07/19 .
(3) نفس المصدر .
(4) د . أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الادب الجزائري ص 68 .

وزعاماتها المنحرفة تتجلى أكثر من خلال دعوته الشعب الى نفض يديه منها ،والسير الـــى اهدافه الاساسية حيث يقول :

فعار على شعب الرسول تشتت   وعار عليه ان يحيد عن الـــــدرب
ويا قومنا سيروا الى المجد والعلا   وخلوا سبيل المغرضين أولي الشغب. (1)

ويعتبر الدكتور صالح خرفي الوضع المنحرف للزعامة الجزائرية قبل الثورة التحريرية حافزا استمد منه الشعر ((أقسى عبرة وأقوى دافع للوحدة الوطنية ،وأكبر باعث على العمل الايجابي البناء)) . (2)

في حين يعتبر الدكتور عبد الله ركيبي ((عدم ارتباط الشعراء بقيود الحزبية وأغـــلال الاتجاهات... قد أفاد هذه الحركات جميعا وبالتالي أفاد الوطن بالبعد ية عن خصومات ومهاترات لا تفيد الا العدو المستعمر)) . (3) ولكن ذلك لم يفد الحركة الشعرية داخليـــا لانعدام التنافس بين الشعراء بسبب انعدام الصراع بينهم ،فقد كانت الخصومات الادبية ولا زالت نعمة على الادب شعرا ونثرا ،هذا من جهة ،ومن جهة اخرى فاننا لا نعدم ارتباط الشعر بالحركات والتنظيمات غير السياسية ، ((ان هذا الشعر لم ينضم الى الاحـــزاب السياسية ولكنه مع ذلك لم يبق على الهامش يقدح هذا ويطرب ذاك ،بل اختار منظمة وطنية اخرى غير سياسية بالرغم من انها تمثل شعارات (الاخاء ،العدالة ،المساواة ،الحرية) تلك هي جمعية العلماء التي أسسها الامام عبد الحميد بن باديس في اوائل العقد الرابع من هذا القرن)) . (4)

---

(1) البصائر ،43 ،1948/07/19 .

(2) د . صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ،ص 181 .

(3) د . عبد الله ركيبي ،دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ،الدار القوميـــة للطباعة والنشر ،1962 ،ص 18 .

(4) د . أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الادب الجزائري ،ص 31 .

ورغم ان العقون كان احد اعضاء هذه الجمعية الا انه لم يكن منحازا متطرفا اليهـا فبعد الخلاف الذي وقع بين الشيخ الطيب العقبي ورئيسها ،واعتزال الاول وتأسيسـه للجمعية الخيرية الاصلاحية سارعبد الكريم العقون يهنئه ويثني على جهوده الاصلاحيـة وخدمته للوطن • (1) فهو يعتبر القضايا الوطنية فوق جميع الخلافات• (2)

ان هذا الموقف الذي اتخذه عبد الكريم العقون موقف جريء حقا يؤكد قوة شخصيتـه وسعة أفقه ،وبعد نظره ، فقد أقدم على تهنئة العقبي في وقت كان فيه اعضاء جمعية العلماء او بعضهم على الاقل ينظرون اليه على انه حاد عن الجادة عندما قدم استقالته من مكتب الجمعية ، فشاعرنا ــ في نظرنا ــ كان يرى ان الحركة الاصلاحية لا تنحصر في جمعيـة العلماء ،بل هي اعم واشمل ،ولكل اجتهاده الخاص ،فليس اعتزال العقبي تراجعا عـن المبادئ ،وموقفا انهزاميا ،بل هو محاولة شق طريق ثان في ميدان الاصلاح ،ومنافسـة شريفة تستدعي التنويـه •

وخلاصة القول فان شاعرنا قد ندد بالاحزاب السياسية جميعا ،واعتبرها ظاهـرة ظاهرة سلبية في الحياة الوطنية ، ولم يسر في ركاب اي تنظيم سياسي طيلة حياته فكـان نموذجا للاديب الملتزم بقضايا بلاده الاساسيـة •

---

(1) نشرت القصيدة في جريدة " الاصلاح " التي أصدرها العقبي ،العدد 39 ، 1941/05/15 • ومنهـا :

لعهد قريب اصبحت في رجالنـا	نفوس الى العلياء طارت سواعيـا
نفوس أبيات لها هم علـت	تحاكي نجوما في السماء زواهيـا
وفيها دليل للرقي ونهضـة	اذا كملت أمسى بها الشعب راقيا
وفيها شعور بالعلا وتيقـظ	سيغدو به حظ الجزائر وافيـا
أولئك أشراف البلاد وفخرهـا	بهم يبلغ الشعب المجيد الامانيا
أخيرية العقبي لازلت ملجـأ	الى البؤساء الطالبين المواسيـا
ففي حضنها مهد لنا وسلامة •	وفي ساحها نشء يروم المعاليـا

(2) في تفاصيل هذا الخلاف انظر،عبد الكريم بو الصفصاف ،جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية • دار البعث ،قسنطينة ، ط/1 • 1981 ص279 ــ 293 •

خامسا : رثاء الامام ابن باديس.

لم يرث عبد الكريم العقون احدا من افراد عائلته ،واقاربه ،وباستثناء قصيدته في رثاء صديقه في النضال " فرحات بن الدراجي " نجد مراثيه موقوفة على الامام عبد الحميد بن باديس،فهو اذا لم يرث الا عظماء الامة ،ولذا ادرجنا هذه المراثي في باب الشعر الوطني .

وقد نظم في هذا المجال أربع قصائد ،ونعتقد ان اول قصيدة كتبها كانت بمناسبة الذكرى الخامسة لوفاة الامام ، (1) وآخر قصيدة اثناء الثورة التحريرية ،ولعل الظروف السياسية التي تزامنت مع وفاة الشيخ ابن باديس،هي التي اوجبت هذا التأخر،ونظن أن الاحتفالات التي كانت تقام بمناسبة رحيل الزعيم المصلح هي التي جعلت قصائد العقون تتعدد في هذا الشأن ،يضاف الى ذلك وفاء الشاعر لاستاذه الذي تتلمذ على يده فترة من الزمن .

وهو في مراثيه يعبر عن الخسارة العامة للامة التي فقدت بطلا من ابطالها ،ورجلا بارا ببها ،كرس حياته لخدمة الشعب واصلاح اوضاعه الاجتماعية ،والدفاع عن دينه ولغته .

ويلاحظ في رثاء الشاعر لامام النهضة الوطنية الجزائرية تكرار كثير للمعاني والالفاظ فلا تخلو قصيدة من القصائد الاربعة من تعداد مناقب الفقيد ،واعماله ،وجهوده الاصلاحية ومعاناته ،وجهاده من اجل حماية شخصية الامة ،وايقاظ الشعب . يقول في قصيدته التي نظمها في الذكرى الخامسة :

قد ذكرناك وفي انفسنا	زفرات لاذعات وأنين . .
وأعدنا عبرات للاسى	فلنعم الدمع في الخطب يمين
هذه ذكراك تبقى بعدها	قد مضى عن رزئنا خمس سنين

(1) يظهر ذلك من قوله :(... قد مضى عن رزئنا خمس سنين) ،(البيت 3)

هذا الخطاب :

يا كبير الآمال سرت ولم تبـ ـــق لتجني ثمار تلك الجهـــود
مالك اليوم نائما أتضجـــر ت بدنيا الارهاق والتهديـــد
قم تأمل بنيك في الشعب تحدو هم لحون من صوتك الممتـــدود
وتجد رفقة على المبدا الاســ ــمى مضوا في طريقهم كالاسود
وتجدهم مجاهدين أبـــاة قد اعادوا تراث عهد سعيـــد
وتواصوا بنشر شرعة طـــه وتواصوا على الثبات العتيـــد
جددوا بينهم اواصـــرود واخاء لحفظ تلك العهـــود
وحدتهم نوائب قد تـوالـت صيرتهم مثل البناء المشيـــد . (1)

وواضح ما في لهجة الشاعر من طلاقة واشراق ،وما في نفسه من أمل ،لقد اينعت ثمار جهود الفقيد ،وسار ابناؤه على النهج الذي رسمه لهم تحدوهم نيرات صوته ،ويدفعهم الوفاء له .

وثقة " العقون" في الشعب هي التي جعلته يطمئن الفقيد في الذكرى الحادية عشرة لوفاته فيقول :

حدث الاجداد عنا أننـــا لم نر العدل ولا صدق العهـــود
قل لهم انا نقاسي ألمـــا من دخيل سيء الخلق جحـــود
زاد طغيانا ولم يترك لنـا غير أنات ورسف في القيـــود
فاذا نحن أردنا خلعهـــا خارت القوى وخانتا الجهـــود
وتفرقنا جموعا جمـــة ان شعبا لم يوحد لا يســـود
غير انا سنمضي قدمـــا نم قرير العين يا عبد الحميـــد. (2)

---

(1) البصائر ،33، 1948/04/26.

(2) البصائر ،154، 1951/05/07.

وعبد الكريم العقون هو أحد شعراء الاصلاح الذين اتجهوا الى الشباب لتعبئته وتسليحه بالمبادئ الوطنية والقيم الاخلاقية والمعرفة العلمية التي تمكنه من القيام بواجبه نحو بلاده ،فكانت اولى قصائده التي نشرها في حدود علمنا موجهة الى الشباب وهي بعنوان " ياشبابا قد طال نومك فانهض" ،وقد نظمها في سن العشرين تقريبا أي في ريعان الشباب ،ولا نعرف له قصيدة قالها قبل هذه الفترة ،فهي من أعماله المبكرة ان لم تكن اولاها ،ولكن الذي لا شك فيه هو ان محاولات – لم نتمكن من الوقوف عليها – قد سبقت هذه القصيدة لانها لا تختلف في مستواها الفني كثيرا عن بقية انتاجه الذي أتى بعدها .
وقد القاها في اجتماع للطلبة الجزائريين الزيتونيين سنة 1938م ،ونلمح فيها نضجا فكريا ونزعة وطنية مبكرة ،ويقظة ضمير متحمس،ووعيا سياسيا ،ويفتتحها بقوله :

يا طيور الرياض حي اجتماعا   حاز فضلا وعزة وارتفاعا
حاز فضلا الى المعالي تسامى   حاملا مجد شعبه واليراعا
حاملا نهضة العروبة بالاف   ق علوما ونهضة واصطناعا . (1)

فتراه يخاطب الشباب بحمية الشباب وتوثبه ،ويوجه تطلعاته الى المثل الاخلاقية ،والقيم العلمية التي تعد أساس نهضة الشعب ،ويذكره بمسؤوليته نحو شعبه . والشباب عنده هو قلب الامة النابض ،وحامي الحمى من الاعداء :

أنت يا نشئ روضة القطر،أنتم   بلبل الدوح ،تنعش الاسماعا
أنت تحمي "الشمال" من كل وحش   كيف ماهم ثعالبا أو سباعا . (2)

ونزعته الوطنية هذه تتخطى الحدود الاقليمية الضيقة لتتفتح على الوطن العربي ،ولهذا ينسب شباب الجزائر الى الشمال الافريقي كله :

يا شباب الشمال دع عنك جبنا   وخمولا واقطع عليك النزاعا
يا شبابا كن ذا حجى ونشاطا   وارفع المجد والفخار المضاعا

(1) البصائر،95، 1938/01/14.
(2) نفس المصدر.

يا شبابا قد طال نومك فانهض   للمساعي فالدهر يجري سراعـــا .(1)

وتظهر من خلال الابيات شدة لهجته في مخاطبة الشباب اذ يلومه على الجبن والخمول والنزاع، ويلح عليه في التحلي بالنشاط والرزانة ، ويدعوه الى العمل بجد لاسترجاع مفاخـره الضائعة .

ويدرك ان تسلح الشباب بالعلم والمعرفة هو الذي يؤهله للقيام بتلك المهمة ، ولـذا يعتبر معهد " عبد الحميد بن باديس" الذي فتح ابوابه للطلبة عام 1948 أحد الحصـون التي يتخرج فيها الشباب المعول عليه ، يقول :

بمعهد (عبد الحميد) الاغـر   تغذى العقول ويجنى الثمـر
وينشأ جيل عتيد أبـــي   يذود الاعادي ويجلو الخطـر
فيدرأ عن شعبه كل بـــاغ   ويحمي الحمى من عدو بطـر
لقد هب مندفعا لا يـــني   طموحا كسيل طما وانهمـر
يؤدي رسالته في الحيـــاة   ويحمي مآثر مجد غـــبر
يكون لامته نافعـــا   ويدرأ عنها ضروب الغـــير.(2)

ومهمة الشباب في نظر " العقون " لا تتوقف عند حدود تحرير البلاد من السيطرة الاستعمارية ، ولكنها تتجاوزها الى بناء الوطن واعلاء صرحه واعادة الاعتبار للغته :

على كتفيه تشاد صـــروح   ستبقى مدى الدهر لا تندثـر
يعيد الى الضاد روعتهـا   كروعتها في ربيع العمـــر
يحررها من أسار العـــدى   فتغدو به حرة تفتخـــر
فشد الرحال الى غايـــة   سيسمو بها ويكون أبـــر.(3)

(1) البصائر، 95، 1938/01/14.
(2) البصائر، 19، 1948/01/12.
(3) نفس المصـــدر.

فهذه الآمال العريضة التي يعلقها على الشباب هي التي جعلته يعنى به فينصحه ويدعو الى بناء المرافق لتربيته وتثقيفه ،ويستثير همة المحسنين لمساعدته فيقول :

ويا أيها المحسنون أعينـــوا　　　شبابا بواجبه قد شعـــــر. (1)

وقد يستغل الشاعر العاطفة الدينية لاثارة نخوة العزة والكرامة في الشباب ولتحفيزه على بذل المزيد من الجهد من أجل تحقيق المآرب التي يصبو اليها فيحثه على الاقتداء بالرسول (صلى الله عليه وسلم) في سيرته ونضاله :

يا شباب الرسول يا معقد الآمـا　　　ل لا ترض عيشة الانعـــام

يا شباب الرسول دع عنك جبنـا　　　وخمولا وانهض نهوض الكرام

يا شباب الرسول كن ذا ثبـات　　　وتقدم الى العلا باهتمام

بالرسول اقتدوا اذا ما أردتـم　　　أن تنالوا العلا وعز المقـام . (2)

ولا يتورع ــ كما نلاحظ ــ عن توجيه التهم الى الشباب ،وتوبيخه على خموله ،وتهاونه وربما جبنه ،ليلهب في نفسه الحماس ،فهو يعرف نفسية الشباب ،ويدرك تأثير الكلمة التي تخدش عاطفته ، ولذا نراه يستغل شعور العزة والاباء عنده لتربيته وخدمة الاهداف الوطنية .

ولا شك في أن اشتغال " عبد الكريم العقون " بالتعليم لفترة غير قصيرة هو الـــذي أكسبه خبرة بميولات الناشئة وعواطفها وانشغالاتها فارتكز على هذه الجوانب في ترشيدها .

ويظهر هذا التأنيب بصورة جلية في قصيدته " الى الشباب الجزائري المناضل " التي تعتبر آخر ما نشره فيما نعلم ،وهي عبارة عن نشيد في شكل موشحة من ثلاثين بيتا يتغنى فيها بالشباب الجزائري قائـلا :

---

(1) البصائـــــر،19، 1948/01/12.

(2) البصائـــــر،24، 1948/02/23.

شباب الجزائر مالي أراك • تقاعست حتى استبيح حمـــاك

فذد عنه ظلما جنته عداك فمن ذا يدافع عنه ســـواك

فحز في الملمات كل الفخـــار

ولا تتقهقر فتجني البـــوار• (1)

فهو يعاتب الشباب على تقاعسه ، ووقوفه موقف المتفرج من عدوه الذي عاث في البـــلاد فسادا ، ولكنه لا يلبث أن يعود لرفع معنوياته فيخاطبه قائلا :

شباب الجزائر نعم الشباب اذا ما دعاه العلا لا يهـــاب

يلبي سريعا يخوض الصعاب ليفضي عن الغيل شز الذئـــاب

فيحيا عزيزا مصون الديـــار

ويرجع عهدا للعلا والفخـــار

شباب الجزائر لا تيـــأس وجد بالنفيس وبالانفـــس

بفاتح هذا " الشمال " ائتس ومن حلل المكرمات اكتـــس

ستجني لشعبك خير الثمـار

وتأتي شموس تضيء النهـــار• (2)

فيرسم بذلك صورة بطولية للشباب ، ولعلها الصورة التي يرغب فيها ، ويعمل جاهدا من أجـل حمل الشباب على تقمصها •

وعلى هذا النحو تتراوح ابيات القصيدة بين العتاب والثناء ، اذ يمضي الشاعر في وخز ضمير الشباب ، واستثارة ابائه حتى اذا شعر بأنه انتفض راح يطريه ، ولا شك انها طريقـــة ذكية لتربية الحس الثوري عند النشئ •

والخلاصة ان الشباب عند عبد الكريم العقون قوة حية في جسد الامة وعنوان رقـــي الشعب ، واساس نهضة البلاد ، وعنايته بهذا العنصر تعد جزءا من اتجاهه الوطني •

---

(1) البصائـــر ، 326 ، 1955/07/08 :

(2) نفس المصـــــدر•

وهكذا واكب الشاعر عبد الكريم العقون أحداث وطنه ، ورصد تقلباته ، وأحيا مناسباته وخلدها في شعره ، فكان شاعرا ملتزما بقضايا شعبه وبلاده ، وقد تعددت مواقفه الوطنية بتعدد الاحداث التي مرت بها الجزائر ، وكان من خلال هذه المواقف مصلحا ، ومناضلا سياسيا كاد ينسى نفسه في خضم مأساة وطنه ، والقضايا الجماعية ، فجاهد من أجل الهوية الجزائرية ودعا الى الوحدة الوطنية ، وندد بتفرق الاحزاب السياسية ، وتطاحنها من أجل قضايا هامشية وأهداف ذاتية ، ووقف الى جانب الشعب في آلامه عام 1945م ، ورثى عظماء الامة وخاصة الامام عبد الحميد بن باديس ، واهتم بالشباب باعتباره طاقة حية يعتمد عليها في تحقيق الآمال والطموحات .

ولكن الشيء اللافت للنظر هو أن شاعرنا لم يول اهتماما للقضايا الاجتماعية البسيطة ولم يعالج الامراض المتفشية كالفقر ، والحرمان ، والبطالة ، ومعاناة الانسان الجزائري اليومية بصفة عامة فلم يشذ بذلك عن اخوانه الشعراء الذين لاحظ عليهم هذا التقصير الدكتور عبد الله ركيبي بقوله : ((... فلا يزال شعراؤنا تجذبهم الناحية السياسية أكثر مما تجذبهم النواحي الاخرى ، فليس هناك حديث عن الفلاح الجزائري الذي غذى الثورة بدمه وعرقه ، ولا حديث عن الفدائي الذي ضرب الرقم القياسي في البطولة النادرة .... وليس هناك من اهتم بحياة الصانع والتاجر ، ورجل الشارع)) . (1)

وهذا ما أكده الدكتور محمد ناصر بقوله : ((ولكن الشعر الاصلاحي ظل في أغلبه مرتبطا بهذا المفهوم الكلاسيكي الجاف ، فلا نكاد نجد فيه هذه الالتفاتات الموحية الى الاشياء الصغيرة العادية ، تلك اللفتات التي تدل على انسانية الشاعر وحساسيته ، ودقة ملاحظته على الرغم من ان المجتمع الجزائري وهو يئن تحت حكم مستعمر رهيب كان يعج بأمثال هذه المناظر المؤثرة)) . (2)

---

(1) د.عبد الله ركيبي ، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ، ص65 .

(2) د.محمد ناصر ، مجلة الثقافة (الجزائر) ، السنة 7 ، العدد 40 ، ص60 .

ونعتقد ان اهتمام الشعراء الجزائريين - ومنهم عبد الكريم العقون - بالقضايا الوطنية الاساسية شغلهم من الالتفات الى هذه القضايا التي ربما كانوا ينظرون اليها على انها جزئية وبسيطة أفرزتها ظروف السيطرة الاجنبية ولا يمكن علاجها الا على أساس جذري يتمثل في تحرير البلاد .

وهناك ملاحظة أخرى نسوقها هنا عن شعر عبد الكريم العقون الوطني وهي أنه شعر مناسبات في مجمله ، ولكنه مع ذلك كان يتخذ من المناسبة جسرا لصب أفكار الاصلاح ، وبث الوعي السياسي ، والشعور الوطني ، وقد جاءت المعاني - على تكرارها - بسيطة سطحية في الغالب ، وكان أسلوبه خطابيا مباشرا ، ولغته قاموسية ذات دلالات معجمية دوما ، ولا نظن ذلك راجعا الى الافتعال وعدم الصدق الفني ، وانما نرجعه الى الظروف المحيطة بهذه القصائد التي غالبا ما يلقيها في الاحتفالات يحضرها جمهور من جميع المستويات مما يحتم على الشاعر الكلام باللغة التي يفهمها الجميع فيسقط بالتالي في مثل هذه العيوب التي أنقصت من قيمة شعره وجعلته أقرب ما يكون الى فن الخطابة .

وأخيرا فان شاعرنا لم يكن ينظر الى القضايا الوطنية بمعزل عن القضايا العربية ، بل كان يربط بينها في كثير من الاحيان ، كما خص الحياة العربية بقسم هام من شعره ، وهو ما سنتعرض له في الفصل الآتي من هذا البحث .

الفصل الثالث

الاتجاه القومي

- تمهيد

1 ـ نضال الشرق

2 ـ أحزان الشرق

3 ـ أفراح الشرق

أيها الشعب ولّ وجهك نحو الشرق وانهض لنصرة الاسلام
انقذ القدس واحمها من دخيل فهي في غمرة الخطوب الجسام
كيف ترضى الهوان والخسف والاسلام يأبى عليك خفض السهام ؟(1)

فرغم المحنة التي تعاني منها الجزائر لم يغفل الشاعر عما يجري خارج حدودها ، بل يوجه أنظار شعبه الى قضايا العروبة والاسلام ، ويدعوه الى التضحية في سبيل فلسطين العربية ويرى ذلك واجبا على الشعب الجزائري ، ومن العار أن يبقى مكتوف الايدي يتفرج على مايجري في تلك القطعة من وطنه الكبير ، وشاعرنا - كما نلاحظ - يحرص على ربط الجزائر بالامة العربية ، ويصبو من وراء ذلك الى تحقيق هدفين : أولهما تفنيد مزاعم المستعمر الفرنسي المدعية بأن الجزائر قطعة من فرنسا ، حيث أن ((الاحساس بالقومية وباللغة العربية هو الطريق الصحيح للمحافظة على الوطنية والوطن ، وهو سبيل الجزائر كي تسترد ذاتيتها وكيانها المستقل ، ووجود ها الذي أراد المستعمر محوه والقضاء عليه)).(2) والهدف الثاني الذي يرمي اليه الشاعر هو التعبير عن تعاطف الشعب الجزائري مع اخوانه ومؤازرته لهم .

وقد تركت مأساة فلسطين وقعا أليما في نفس عبد الكريم العقون عبر عنه بقصيدة تفيض حماسا وتمتلئ سخطا على العدو ، يدعو فيها الشعوب العربية الى التجند للدفاع عن أوطانهم المغتصبة بقوله :

بني العرب هذا يومكم فتجلدوا وذودوا عن الاوطان بالصارم العضب
فأوطانكم ملهى صباكم فأخلصوا اليها ، وذودوا عن حماها مدى الحقب
الام الونى والظلم فينا محكم ؟ سئمنا حياة الذل والسجن والنهب
فهيا أعيدوا مجدكم وتراثكم وكونوا فداء للبلاد وللصحب
فما بال شمل الشعب أمسى مضعضعا؟ وقد صار شمل الغرب ملتئم الشعب

(1) البصائر ، 24 ، 1948/02/23 .
(2) د . عبد الله ركيبي ، قضايا عربية ، ص 14 .

وما باله أمسى ينام على القذى ؟ وعهدي به في الخطب مجتمع القلب.(1)

ان الشاعر يدرك أبعاد الصراع العربي - الاسرائيلي ، ويعرف أن من وراء اسرائيل الغرب بأكمله ، وأن خروج الامة العربية ظافرة منتصرة من معركتها مع العدو لا يتأتى الا بتوحدها ولذا يقارن بين ما عليه العرب من تشتت وخلاف ، وما عليه الغرب من تضامن واتفاق ، لينبه الى مصدر القوة . وما يحمد له هنا حقا هو دعوته المبكرة الى حمل السلاح لتحرير فلسطين وايمانه بالثورة طريقا للقضاء على الاستعمار الاستيطاني ، مما يثبت أن الشعراء الجزائريين قد التفتوا الى القضايا العربية قبل قيام الثورة التحريرية في الجزائر عام 1954م ، الا أن ما يؤاخذ عليه هو تعبيره بالسيوف في وقت أصبح فيه المدفع والصاروخ والطائرة والدبابة وغيرها من وسائل القتال هي سيدة الموقف في ميدان المعركة ، وكأني به منفصل عن واقعه وبيئته ، ولعل ذلك راجع الى تقليديته المطلقة حيث ظل عبدا للشعراء القدامى يقتفي أثرهم ويتبع خطاهم في صورهم وبعض معانيهم .

ثم يرسم صورة للبطولات العربية في معركة عام 1948م بهذه الابيات:

دماء بني العرب استفاقت فأيقظت نفوسا فثارت كي تطير مع السرب

فأرواحهم للشعب صارت رخيصة وقد بذلوا القاني المطهر للشعب

مشوا لمناياهم نشاوى كأنهم يلاقون عيدا في ربيع المنى الخصب

لقد أوقدوها ثورة عربية بجيش لهام كالصواعق منصب

شديد المراس في النزال مدرب جريء أبي واسع الطعن والضرب

سيصلي شياطين الطغاة بجمعهم شواظا من النيران كالوابل السكب (2)

ففي هذه الصورة تمجيد للبطولات التي ضربتها الجيوش العربية مثلا ، وفيها مفاخرة واعتزاز ، وتفاؤل بمستقبل الصراع مع العدو والامة ، وقارئ الابيات يشعر وكأنه أمام قطعة من الشعر القديم في وصف المعامع والحروب لما تفيض به من حماسة ، وافتخار ، ولكن الشاعر

---

(1) البصائر ، 43 ، 1948/07/19 .

(2) نفس المصدر .

لا يمعن في هذه المكابرة ،ولا يتمسك كثيرا بتلك الصيغة الفخرية القديمة ،فيعود الى الواقع ويهاجم الصهيونية التي طفقت تعمل على الاستيطان في البلاد العربية بقوة الحديد والنار ،اذ يقول :

لقد جهلت صهيون واشتط حلمها بدولة اسرائيل في موطن العرب
لقد أوقدوا نار الحروب جميعها وهم من بعيد ينظرون الى الحرب
ألا فاجعلوهم طعمة لاجيجها فليسوا بأهل للثبات لدى الخطب (1)

ولا يقف - كما نرى - عند حدود التنديد بجرائم الصهاينة ،وفضح أطماعهم ،بل يدعو قومه الى مكافحتهم ،وجعلهم طعما لنيران الحرب.

وواضح أن الشاعر متأثر بما ورد في القرآن الكريم بشأن اليهود ،فنعتهم بالجبن والخوف وعدم الثبات تضمينا للآية الكريمة ((لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة ،أو من وراء جدر ،بأسهم بينهم شديد ،تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ،ذلك بأنهم قوم لا يعقلون.)) (2)

ولعل الشاعر أراد أن يرفع معنويات الجيوش العربية ،وتشجيعها على الثبات في أرض المعركة ،فصور الاعداء ضعافا جبناء يمكن القضاء عليهم بيسر ،ثم يلتفت الى الشعب الجزائري فيخصه بالحديث رابطا بذلك بين مأساة بلاده ومأساة فلسطين :

ويا شعب ولّ وجهك الشرق واعتبر بجامعة العرب الموحدة الركب
فثق بمباديها وكن من جنودها وخض معها الاحداث جنبا الى جنب (3)

فيوجه أنظار شعبه الى الشرق ،ويدعوه الى الالتزام بمبادئ الجامعة العربية والثقة بها ،والتجند في صفوفها ،وخوض الاحداث الى جانب الاشقاء ،والشاعر اذ ينصح شعبه بجعل المشرق العربي قبلته ،والجامعة العربية معتصمه يبني رأيه على أسس موضوعية ،ويضع في حسبانه العلائق التي تجعل من العرب أمة واحدة ،وهي الدين واللغة والموروث

---

(1) البصائر ،43 ،1948/07/19 .
(2) سورة الحشر ،الآية 14 .
(3) البصائر ،43 ،1948/07/19 .

التاريخي والحضاري ،ولا ينطلق من فكرة التعصب والعنصرية الممقوتة ،حتى وان افتخر بانتمائه ،واعتز بأرومته في قولـــه :

وما نحن الا من سلالة يعـــــرب   وعبد مناف جدنا وبنو كعــــــب
فما الشرق الا منبع النور والهــــدى   ومعقل أسد الله في الموقف الصعب
ألا فاقتفوا آثارهم وتحالفـــــوا   تحالفهم عيشوا جميعا على الرحب (1)

اننا نرجع ذلك الى رغبة الشاعر الجامحة في ربط الجزائر بالعروبة والاسلام ،مؤيدين ما ذهب اليه الدكتور عبد الله ركيبي حيث قال معلقا على الابيات السابقة : ((صحيح أن بعض الشعراء قد يصرحون بفكرة الارومية ولكنه لا يقصد الفكرة المتعصبة أو عنصر الجنس والعرق ولكنه في الغالب يرد على المستعمرين لكي يفرق بين الجزائريين وانتمائهم العربي ،وبين الفرنسيين وانتمائهم الاصلي الى جنس آخر ،وقومية مختلفة عن القومية العربية ،ولعل هذا ما يشير اليه الشاعر عبد الكريم العقون ،وهو يوجه أنظار الشباب الى المشرق العربي ...)) (2)

والشرق عند الشاعر عبد الكريم العقون مثل يحتذى ،ونموذج ينبغي تقليده ،وهذه النظرة المقدسة للشرق نجدها عند جميع الشعراء الجزائريين ،حيث جسد أدبهم الشرق في أذهان المواطنين على أنــه ((مهد الحضارة ،وحرم العروبة ،ومهبط الوحي ،ومن ثمة فهو حلم الخلاص ،وطريق الوحدة الشاملـــة ...)) (3)

ومأساة فلسطين سكنت وجدان شاعرنا ،فأصبحت عنده مجالا لاخذ العبرة واستخلاص الدروس ،وظل يتجرع مرارة الوضع المزري للمجتمع العربي بعد أن ضاعت منه فلسطـــين بسبب تهاون شعوبه وغفلتها ،وتشتت كلمتها ،ويضع يده على أصل العلة قائلا :

---

(1) البصائـــــر ،43 ،1948/07/19 .
(2) د . عبد الله ركيبي ،الاوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى ،ش.و.ن.ت (الجزائر) ،1982 ،ص- 57 .
(3) د . أبو القاسم سعد الله ،دراسات في الادب الجزائري ،ص 106 .

أرى الغرب قد جمعوا شملهم   على الشرق والشرق مثل الصبي
فدرس فلسطين درس بليـغ   يذكرنا الحلف في موكب (1)

وهو اذ يقارن بين وضع الامة العربية ، ووضع الغرب لا يقف عند حد هذه الموازنة المعروفة النتيجة ، بل يتوعد الغرب المستعمر بقوله :

رويدك ياغرب لا تغترر   فشمس بني الشرق لم تغرب
فانا سنرجع عهد الاخاء   ونجمع شمل بني يعرب
فحسبك بالضاد من نسبة   اذا ما انتسبنا ودين النبي (2) -

فايمانه بالمستقبل كبير ، وثقته بالامة العربية مطلقة ، ولذا يتفاءل بتحقيق الوحدة بين أبنائها ، ويعتبر ذلك أمرا بديهيا ما دام أبناء هذه الامة يتكلمون لغة واحدة ، ويدينون بدين واحد .

وهذه الثقة هي التي جعلته يؤمن بحتمية انتصار الشعوب العربية ، وبلوغها آمالها في الحرية والاستقلال ، كما نرى في قوله مخاطبا الشباب :

بعزمك نجلو قوى الاجنبي   فتى الضاد في الشرق والمغرب
وندرأ أخطار غرب طغى   كسيل من الوابل الصيب
وتحظى بآمالنا كلها   بهمة كل كريم أبي
هلموا الى المجد لا تحجموا   لنجني من الثمر الطيب.
وهبوا الى الصالحات سراعا   وصدوا ذوي الطمع الاشعبي (3)

ونلاحظ من خلال الابيات ايمان الشاعر بجدوى العمل الوحدوي بين أبناء الامة العربية ، فبما أن عدوهم واحد فان اخراجه لن يتم الا بالتحالف والاتحاد .

---

(1) البصائر ، 84 ، 1949/06/20 .
(2) نفس المصدر .
(3) نفس المصدر .

فنظرته لم تكن اقليمية ،بل انها تتخطى الوطنية الضيقة لتصبح قومية صرفا ،كما أنه ينظر الى النضال العربي الآني على أنه امتداد لنضال الاجداد في غابر الازمان ،ولذا يسعى لربط الشباب بهذا الماضي المشرق ،ويدعوه بالحاح الى الارتواء من معينه الذي لا ينضب ،والاقتداء بسلفه في جهادهم ،ومحاربتهم للظلم والاستبداد :

أراكم نسيتم عهودا مضت — عهود أمية أو تغلب
فثوروا على الظلم مثل جدود — حنا لهم الغرب في الاحقب
فكم حطموا معقلا شامخا — وشادوا من السؤدد الاعجب
وكم أرشدوا حائرا تائها — يقفر من الشك أو سبسب
وكم أيقظوا همة أعرضت — عن المجد ردحا فلم تدأب
فللعرب ما ء مجيد سما — على غارب السحب كالكوكب
ألا فانهجوا نهج آبائكم — لترجع ما فات من مأرب
فتاريخكم علم ~~متخن~~ خضلر — فطوفوا بعالمه الارحب
سيبقى مدى الدهر لا يمحي — وان غيرته يد الاجنبي(1).

ان الشاعر لا يقف مستريحا في ظلال التاريخ هروبا من قيظ الحاضر،ولا ينزع اليه ليعيش فيه بأحلامه العذبة بعيدا عن ألم الواقع،بل يستعين به لضرب المثل في البطولة والفداء ،ولتأكيد أصالة أمته وامتداد نضالها عبر الاجيال ،فهو يسعى جاهدا لربط الحاضر بالماضي ،وينظر الى تاريخ هذه الامة نظرة شمولية ليس فيها قصم لفترة عن أخرى ،ومن هذا المنظور يرى أن التاريخ والحضارة يمكن تشويههما بالتزوير والتشكيك في أهميتهما ،والحط من قيمتهما ،ولكن لا يمكن محوهما أبدا .

وبما أن الاتحاد هو أساس النجاح في أي عمل ،ونظرا للاواصر التي تربط بين الشعوب العربية من دين ولغة وتراث ،يدعو الشاعر هذه الشعوب الى اقامة الوحدة والتضامن فيما بينها

(1) البصائر ،84،1949/06/20 .

والوقوف في وجه الاعداء صفا واحـــدا :

فيا أيها الراشدون أزيلوا شقاقا ،وسيروا الى المشـــرب
ويأيها المخلصون أفيقـوا لشرذمة النهب والمكســـب
فسدوا عليهم جميع الـــدرو ب ،يضلوا عن المنهج الاصوب(1)

وبديهي أن الشاعر هنا يدعو عقلاء الامة والراشدين منها باعتبارهم قادتها الحقيقيين وممثليها الشرعيين ،وأولي أمرها ،ولانهم وحدهم مستعدون دوما للدفاع عنها ،والتضحيـــة في سبيل نهضتها ،وهو اذ يستنفر هذه الفئة المدركة الواعية فانه متيقن من أن بقية أفراد الشعب ستناصرها وتلتف حولها ،وتسير في ركابها لتحقيق أهدافها ،ان العقون يثق فـــي قدرة الجماهير على تغيير الوضع السياسي والاجتماعي الذي تعيشه اذا وجدت من يقودهـا وينظم كفاحها ،ويرسم لها معالم الطريق .وهذه الفكرة ثابتة في ذهنه ،وقد تكرر فـــي القصيدة الواحدة .

واللافت للنظر في شعر "العقون" القومي هو مخاطبته لابناء المغرب العربي من حين لآخر **وتخصيصهم** بالذكر كقولـــه :

سوف تسمو فوق هام الشهـــب يا سليل المجد ،يا ابن المغرب
سر سيحذوك العلا ،ان العلا مطمح الحر ،والشهم الابـــي .
صن لسان الضاد من ظلم العدى وحمى ضاق بحكم الاجنـــبي
حرر المغرب من أغلالـــــه وافده يا ابن الكرام النجـــب
لا تنم ،فالغرب يقظان ،غـدا يرصد الشرق كرصد الشهـــب(2)

وليست هذه الخصوصية راجعة الى ضعف ايمانه بالوحدة العربية أو الى تذبذب موقفه وعدم وضوح رؤيته – فيما نحسب – ولكننا نعزوها الى كونه يعتبر وحدة المغرب العربي

(1) البصائـــر ،84، 1949/06/20 .
(2) البصائـــر ،159، 1951/06/11 .

لبنة أولى في بناء الوحدة الشاملة لتشابه ظروف أقطاره سياسيا واجتماعيا ،وحتى من الناحية الطبيعية ،بدليل أن الشاعر يمزج بين النظرة الخاصة والنظرة الشاملة في البيت الاخير حيث يعتبر الغرب المستعمر عدوا واحدا للشرق بأكمله ،ولذا يهاجمه ،ويفضح تنكره لفضل الشرق عليه ،ويندد بظلمه واعتدائه وطغيانه عند ما لمس من نفسه القوة بسبب ما بلغه من تقدم علمي ،وتطور صناعي :

انما الغرب جحود منكـــر   لا يادي الشرق عند النـوب
انما الغرب ظلوم معتـــد   لبني الشرق كثير الشغـــب
لا تلوموا علـــى طغيانـــه   انه جنح فـــوق الكـوكـــب(1)

ولا يقف عند حدود التنديد بالموقف الغربي [illegible] بل يدعو الى الثورة عليه وتحطيم [illegible] من الخضوع له ،والعيش في مذلة تحت هيمنة من دان لحكم أجدادهم حقبة من الزمن ،حتى وان بلغ درجة عليا من القوة والجبروت :

حطم القيد ولا تخضع لمن   رام ارهاقك ،واجهـد وادأب
لا تكن عبدا ذليلا للـذي   دان بالامس لحكم العـــرب(2)

فعبد الكريم العقون يسعى جاهدا لابراز الصورة البشعة للمستعمر ،فيؤكد على طغيانه واستبداده ،ولكنه يستصغر شأنه في أعين الشباب تشجيعا لهم على الصمود في وجهه .

و الشعور القومي يلازم الشاعر في كل آن ،فحتى في بعض قصائده الذاتية يمزج بين الاحاسيس الفردية والاحاسيس الجماعية ،فمثلا عندما زار المغرب الاقصى ووقف بنهر "الجواهر" وأعجب بالمناظر الطبيعية الخلابة ،أنشد قصيدة يفصح فيها عن افتتانه بالمشاهد الرائعة ،ولكن النزعة القومية التي تشبع بها جملته ينسى نفسه ويخصص قسما من القصيدة لدعوة الشعب المغربي الى التجند وراء ملكه لتحرير أرضه :

أيها الشعب النبيل الحر ،ادأب في المسـير
[illegible] وكن له في الهول كالليث الهصـور
سيقودكم ملك أبي النفس ،مقدام غيـــــور

(1) البصائـــر ،159 ،1951/06/11 .
(2) نفس المصـــدر .

قد ثار في وجه البغاة وأي حر لا يثـــور؟
انا على آثارك المثلى نسير بلا فتـــور
وكذا العروبة كلها ، والله مولانا نصـــير (1)

والنزعة القومية في الابيات لا تتضح فقط من خلال دعوة الشعب المغربي الى التحرك لاسترجاع سيادته ، ولكنها تتجلى أيضا من خلال التبشير بثورة الشعب الجزائري والشعوب العربية عامة ، فهو يملق الامل كل الامل على العمل الوحدوي والحملة الجماعية على المستعمر ، حتى وان انطلق من واقع موطنه الصغير (الجزائر) أو من واقع بلد ان منطقة المغرب العربي كقوله ـ من قصيدة في حفل افتتاح مسجد " تازمالت " ـ :

يا شباب العرب ماذا الونى ؟	"فالشمال" اليوم مكروب حزيـــن
ان في " الخضراء" هولا مفزعا	وكذا في المغرب الاقصى شجـون
وتوالت فتن صبت علـــى	شرقنا المشرق كالغيث الهتـــون
ونفوس طاهرات أزهقـــت	دون ما جرم بأيدي الآثمـــين
مسنا الضر ، ود يست أرضنـا	واستكنا لطغاة معتديـــين (2)

فنراه قد تخطى ـ كعادته ـ اطار المناسبة المحلية المحدودة لينطلق في رحاب القومية الفسيحة حيث يقدم تحليلا للوضع في الوطن العربي مغربه ومشرقه ، ويكشف عما تعانيه الشعوب من مآس وأحزان بسبب ما لحق أبناءها من تقتيل وتشريد على أيدي الطغاة المتحكمين بمصيرها ، ويلخص هذه الوضعية المأساوية في ثلاثة عناصر هي : أرض مداسة ، وبطش بالشعوب واستكانة على الظلم ، ولكن رغم هـــذه النتيجة الاليمة التي يصل اليها فانه لم يستسلم للامر الواقع ، ويحاول تجاوز الوضع المطروح فيدعو الشباب الى تحمل المسؤولية باعداد العدة ، والتأهب لخوض غمار الكفاح المسلح ، ويعده بالنصر :

لا تخر ، فالنصر يأتيك غــدا	فتأهب للفدى في كل حـــين
ان فجر النور قد لاح علــى	شعبك المكدود وضاح الجبـــين (3)

(1) البصائــــر ، 181 ، 1952/01/21 .
(2) البصائـــر ، 272 ، 1954/05/21 .
(3) نفس المصـــــدر .

واذا كان الشاعر لم يوفق في تصوير المصائب التي صبها المستعمر على البلاد العربية حيث شبهها بـ (الغيث الهتون) الذي ينتظر بفارغ الصبر لانه سبب الخصب وكثرة الغلات فانه استطاع ـ على الاقل ـ تشخيص معاناة الانسان العربي ، وارتفع به عن مستوى واقعه ، وحاول الاخذ بيده ، فحثه على النهوض والاقدام ، موجها نظره الى أمجاده التاريخية وما حوته من صفحات مشرقة ، اذ يقول :

يابني العرب انهضوا ، لا تحجموا　　انكم أبناء جند فاتحين
أيقظوا العالم من رقدته　　ثم ساسوه برفق وبلين
محقوا الظلم ، وذادوا أهله　　وجلوا نهج الهدى للمدلجين
(خالقوا الناس بخلق حسن)　　ومساواة فنعم المتقين
قرروا الشورى وكانت مبدأ　　لحياة فجرها شق الدجون
طرب العالم واهتز لها　　راقصا نشوان بالحق اليقين
حافلا بالعدل والنور الذي　　شع في الصحراء يحدوه الامين
خضعت فارس والروم له　　واستضاءت بضياه العالمون
لاقل قد خمدت جذوته　　انها لا تنطفي طول السنين . (1)

ان عبد الكريم العقون يلفت ـ في هذه الابيات ـ أنظار قومه الى فضل أسلافهم على المجتمعات البشرية ، وسياستهم العالم سياسة عادلة مستمدة من الشريعة الاسلامية ، وخضوع الممالك العظيمة لحكمهم ، مركزا على المبادئ التي وصلوا بها الى هذا النفوذ من شورى وتسامح ومساواة وغيرها من المبادئ الثابتة في دينهم ، هادفا بذلك الى تحقيق الاغراض الآتيـــة :

1 ـ ربط الامة العربية بماضيها وتراثها ، واعتبار كفاحها ضد المستعمر الاوربي الحديث امتدادا لجهادها من أجل نشر الاخوة والعدالة والمساواة التي دعا اليها الاسلام .

---

(1) البصائر ، 272 ، 1954/05/21 .

2 ـ ابراز البون الشاسع بين سياسة المسلمين الاولين وما فيها من رحمة وهدى للبشرية وسياسة المستعمر المسيطر على خلقهم حاضرا ، وما فيها من جور وتعسف وتضليل ، مما يوجب محاربته وعدم الخضوع لحكمه مهما كان تبريره لشرعية وجوده .

3 ـ رفع معنويات أبناء العروبة ، وبث روح الامل في نفوسهم من خلال تذكيرهم بتلك الصفحات المشرقة في تاريخهم .

4 ـ بيان ما يشترك فيه أبناء هذه الامة من تراث وأمجاد ، وما يوحد بينهم من قيم ومبادىء ، وأهداف .

ويقرر الشاعر في البيت الاخير حقيقة تاريخية هي أن جذوة الاسلام لم تنطفيء ولن تنطفي على مر السنين ، حتى وان توهم الاعداء أنهم قادرون على اخمادها ، واستئصال جذورها وحتى وان صدق بعض المنخدعين بذلك .

وهذا الذي فعله العقون يعد تطورا هاما في القصيدة الاصلاحية الجزائرية بصفة عامة حيث لم تعد مقصورة على الدعوة الى مكارم الاخلاق ، والتآزر ، والتعاون بين أفراد المجتمع ولم تبق حبيسة الحث على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل أصبحت مشربة بنزعة ثورية ولعل ذلك يرجع الى نضج الوعي السياسي ، ويقظة الشعور الوطني في الخمسينات ، وتبلور فكرة القومية العربية ، والى ميل الشاعر الى التمرد ، وحسه الثوري المبكر ، لان ما نجده عند شاعرنا في هذه القصيد وفي غيرها قلما نعثر عليه عند شاعر اصلاحي آخر .

وهكذا يظهر لنا أن الشاعر " عبد الكريم العقون " قد وقف الى جانب الشعوب العربية في كفاحها ضد الاستعمار ، والتزم بقضاياها المصيرية وفي مقدمتها قضية فلسطين التي نظر اليها نظرة واعية ، وحللها من جميع الجوانب ، ومجد البطولات ، وأشاد ببسالة الجيوش العربية رابطا بين ماضي أمته وحاضرها ، وتنبأ بمستقبلها في تفاؤل ، كما ربط بين قضية وطنه الصغير (الجزائر) وبين قضايا الاقطار العربية في المشرق والمغرب ، داعيا الى الوحدة بين الشعوب

فكان بذلك شاعرا قوميا بأتم معنى الكلمة ،وله مواقف قومية أخرى لا تقل أهمية عما تعرضنا لـــه من قبل ،كوقوفه الى جانب أبناء العروبة في أحزانهم مواسيا ومعزيا ،وفي أفراحهم مشاركا فـــي الابتهاج ،ومهللا للانتصارات.

ثانيـــا : أحـــزان الشـــــرق .

رصد الشاعر عبد الكريم العقون الاحداث العربية الاليمة في المشرق والمغرب على السواء وواكبها بشعره ،فشارك أمته أحزانها مشاركة وجدانية تنم عن حسه القومي الذي تجلى بصـــورة خاصة من خلال رثائه لعظماء أبناء العروبة والاسلام مثل الامير شكيب أرسلان (1869ـ1946) والشاعرين أبي القاسم (والشابي) (1909 ـ 1934) ،ومحمد الشاذلي خزندار (1869 ـ 1954) .

ففي ذكرى وفاة المناضل العربي الامير شكيب أرسلان(1) قام الشاعر عبد الكريم العقـــون يؤبنه بقصيدة مطلعها :

هوى كوكب الشرق المنير أرسلان   فكل فؤاد فيه هم وأحـــــزان
هوى بعد نور ساطع متألــــق   فوا أسفا قد ودع البدر لبنان
هوى بعد أن أدى الرسالة وانثنى   الى عالم بالحق والعدل يزدان .(2)

---

(1) الامير شكيب أرسلان (1869 ـ 1946) ولد بالشويفات (لبنان) وتتلمذ على الشيخ عبد الله البستاني ،كما اتصل بالامام محمد عبده ،واشتغل بالصحافة ولعب دور المناضـــل ضد ايطاليا عندما هاجمت طرابلس الغرب سنة 1911 ، قام بعدة رحلات داخل البلاد العربية وخارجها ،وانتخب رئيسا للمجمع العلمي بدمشق ،وقد كان دوره في السياسة من أبـــرز الادوار ،سعى الى الاصلاح الديني والاجتماعي ،ويعتبر من أكبر المدافعين عن العروبـــة والاسلام .
انظر : الدكتور سامي الدهان ،الامير شكيب أرسلان ،حياته وآثاره ،سلسلة مكتبة الدراسات الادبية (21) ،دار المعارف (مصر) 1960 ،الفصل 4 ،ص (64 ـ 101) .
(2) البصائـــــر ،ع 1949/03/14،71 .

ألبنان لا تجزع لخطبك اننـــا بنوا العرب في الخطب الملم لاخـــوان
فها هو ذا شعب الجزائر رافعا تعازيه يحدوها عويل وأرنـــــان
لقد غاب من قد كان للعرب حاميا فبتنا نعاني الهم والحزن أسـوان. (1)

فالتعزية التي يقدمها الشعب الجزائري لاخيه الشعب اللبناني ليست من باب المجاملة أو مما يمليه الواجب ، بل انها مشاطرة للاشقاء في حزنهم ، لتخفيف عبء الآلام ، بدليل أنهـا كانت مرفوقة بالدموع ، مشفوعة بالبكاء .

ولعل ما يحمد للشاعر ـ حقا ـ هو اعتباره ذكرى الفقيد حافزا للعمل الجاد ، ودفعـا لعجلة النضال من أجل الانعتاق حيث يقول :

فيا راحلا وفى المروءات حقهـا ومنه صفا للناس سر واعـلان ..
تركت دويا من ورائك قائمـا فللعرب طول الدهر شوق وتحنان
وخلفت ذكرا باقيا يستفزنـا تعيه قلوب صاغيات وآذان .... (2)

والحقيقة أن الامير شكيب أرسلان كانت له مكانة رفيعة في نفوس الادباء الجزائريين ، ولعل ذلك يرجع سببه الى مواقفه القومية الجريئة ، وموازرته لمسألة العروبة والاسلام في الجزائر ، وتتبعه للانتاج الادبي في الجزائر وتشجيعه له كثنائه على كتاب الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير" للاديب محمد السعيد الزاهري الذي تبادل معه المراسلة (3) وتنويهه بالشاعر محمد العيد في رسالة خاصة نشرتها مجلة الشهاب عام 1937 ، ومما جاء فيها : ((... كان يظن أن القطر الجزائري تأخر عن اخوته سائر الاقطار العربية في ميدان الادب ، ولا سيما في الشعر ولعله الآن سيعوض الفرق ، بل يسبق غيره بمحمد العيد)) :(4)

---

(1) البصائر ، 71 ، 1949/03/14 .
(2) نفس المصدر .
(3) محمد السعيد الزهراوي ، الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير ، الاعتدال (دمشق) ، ط/2 1933 ، 03 .
(4) د . صالح خرفي ، صفحات من الجزائر ، ش.و.ن.ت (الجزائر) 1973 ، ص190 .

ومن هنا ظل الشعراء الجزائريون أوفياء للامير شكيب أرسلان حيا وميتا ((وكانت حسرة الشعر في وفاته تنم عن عمق الادراك للفكرة القومية التي بشر بها)) .(1)

ومن الذين رثوه — الى جانب العقون — الشاعر أحمد سحنون حيث نظم في ذكراه الاربعينية نشيدا (2) تناول فيه نفس المعاني التي طرقها العقون تقريبا ، فأرسلان هو حارس الشرق وحامي العروبة ، ومنقذها من التهلكة :

أمة العرب كـــم	ذاد عنها العـــدى
وكفاها النقـــم	وحماها الـــردى
كم جلا من ظلـــم	وهدى وافتـــدى
ورمى من ظلـــم	واستجاب النـــداء
ومحا ما يعـــاب	وبنى ما انهـــدم
حارس الشرق غاب	في خضم العـــدم

وهو نجم البيان ، لو كتب له الخلود لظفر الشرق بما يصبو اليه من مآرب ، ولكن للاسف فان ذلك أمر مستحيل .

ذاك نجم البيـان	في سمـــاء الادب
قد بدا للعيـــن	ضوؤه واحتجـــب
فلو أن الزمـــان	تارك ما وهـــب
ظفر الشرقـــان	ببلـــوغ الارب
غير أن الشهـــاب	ضوؤه لم يـــدم
حارس الشرق غـاب	في خضم العـــدم

---

(1) د . صالح خرفي ، في رحاب المغرب العربي ، دار الغرب الاسلامي (لبنان) 1985 ص 206

(2) ديوان أحمد سحنون ، ص وقد نشرت القصيدة بالبصائر ، 01 ، 1947/07/25 .

وعلى هذا النحو يمضي الشاعر في تعداد مناقب الفقيد ، وفضائله وخلود أعماله التي قدمها ، ولكنه لم يبلغ ما بلغه العقون في التركيز على الفكرة القومية ، والاحاطة بمثالب المرثي والتدليل على الالم الذي أصيبت الشعوب العربية والاسلامية به على اثر وفاته رغم لا نشك في كون العقون قد استفاد من صديقه الشاعر سحنون الذي كان سباقا لنشر قصيدته .

ولشاعرنا قصيدة في رثاء أبي القاسم الشابي ، نظمها بمناسبة الذكرى العشرين لوفاته تمتزج فيها النزعة الذاتية بالنزعة القومية ، ولعل الفرق بينها وبين قصيدته في رثاء الامير شكيب أرسلان يكمن في تصويره للبطولة واهتمامه باظهار الفقيد بمظهر " رب السيف والقلم " في الشخصية ، في حين اعتنى في الاولى بابراز شاعرية الشابي وشفافيته ، وراح يعبر في قسم كبير منها عن مشاعره الخاصة تجاه الفقيد الذي كان متأثرا به [1] كما نلاحظ في هذا الاستهلال :

شاعر هاج لي الذكر	بأغاريده الغرر
ساحر الشدو ملهم	ينصت الكون ان شعر
يتحدى بعزمه	نوب الدهر والغير . [2]

ويصور معاناة الشابي ونبوغه ، وحساسيته فيقول :

يا أبا القاسم الذي	قرض الشعر في الصغر
قد فقدناك بلبلا	غرد اللحن مقتدر
كم تغنيت للحياة	ة وللحب والسحر
صادحا للنهى بما	يطرد اليأس والضجر . [3]

---

(1) انظر تفاصيل ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث ، ص 131 — 135 .

(2) البصائر ، 244 ، 1953/10/23 .

(3) نفس المصدر .

ونحسب الشاعر عبد الكريم العقون قد نجح في تصوير رومانسية الشابي ، وشفافيته ، وما كان يعانيه من حزن وكآبة بسبب ظروفه الخاصة منها والاجتماعية ، وما جادت به قريحته نتيجة تلك المعاناة ، ولعل الابيات الآتية خير ما يجسد هذا الزعم :

شاعر الحب والاســى	مبدعا أروع الصــور
باعثا ميت المــنى	ملهما كل مبتكــر
ذا خيال محلــق	في سماء من الفكــر
شارد اللب حائــرا	ان دجا الليل لا يقــر
عند محراب حسبــه	قد جثا يبتغي الوطــر
ينشد الوحي عنــده	ويناغي به الذكــر
ينفث السحر منعشــا	مثلما ينعش الزهــر
قد تحداه دهــره	واعترى صفوه الكــدر
أرقتــه شجونــه	فطوى الليل بالسهــر
ونآى عن صحابــه	وابتغى الوحي وانتظــر
وغدا يدفع الشجــا	بأناشيد في السحــر
ساكبا حزن قلبــه	في أهازيج كالــدرر
يسأل الفجر والكــوا	كب والافق والقمــر
باحثا عن حقيقــة	قد توارت مدى العصــر
حائرا في عوالــم	حيرت كل من غــبر.(1)

ان النص ـ على طوله ـ ينم عن اعجاب صاحبه بالفقيد ، وشدة تعلقه به ، وما يكنه له من تقدير واحترام وصل الى حد مجاراته له.(2) وقد تعمدنا ايراد هذه الابيات كلها لانهـا

(1) البصائـر ، 244 ، 1953/10/23 .

(2) انظر الفصل الرابع من هذا البحث ، وكذا الفصل المتعلق بالخصائص الفنية ، ص 184 ، 185 .

ترسم صورة حقيقية لنفسية ذلك الشاعر المتألم الذي تخطفه الموت في ريعان الشباب ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لانها تمثل نموذجا لمحاكاة صاحبها للفقيد ، اذ رثاه بما يلائم رقة مشاعره ، وعذوبة ألفاظه ، وما أثر عنه من رومانسية حالمة ، وهذا رغم ضعف الجانب العاطفي فيها .

ولكن رغم هذه الخصوصية التي قد تبرر ادراج القصيدة ضمن الاتجاه الذاتي ، فان شاعرنا لم ينس الموقف العام ، وما يحيط بالمرثي من ظروف سياسية فاتخذ من المناسبة الخاصة طريقا الى القضية القومية ، وراح يناجي روح الفقيد عارضا صورة للوضع في تونس بقولـه :

يا ترى أنت عالـم   بأسى شعبك الابـر؟
يا ترى أنت شاعـر   بالنضال الذي استمر؟
آه لو كنت داريـا   بالذي حل من نـذر
فترى تونس الجريـ   ـحة في لجة الخطـر
وترى الشيب والشبا   ب على الخصم تنتصـر
وترى الاسـد كيف ذادت عـن الغيـل لم تخـر
وترى الظلم عارمـا   ـ هاتيا بادي العصـر
وترى مسرح الصبـا   ـ ياله ـ في سعـر.(1)

وبعد تبيان ما يجري في تونس من استبداد وظلم ، قابله الاهالي بمقاومة عنيفة شاركت فيها جميع الفئات الاجتماعية من شباب وشيوخ ، يوسع الشاعر دائرة نظرته لتشمل المغرب العربي ثم الوطن العربي كله فيعرض على الفقيد الاحداث قائلا :

وترى في شمالـنا   فئة البغي تحتضـر
وترى العـرب كيف صـاروا كسـور من الحجـر

(1) البصائـر ، 244 ، 1953/10/23 .

في كفـــاح مع العـــدى .:. رمـــزا خلفهـــا زمـــر.(1)

وبديهي أن العقون ـ في هذا القسم من القصيدة ـ لا يثير في أنفسنا عاطفة البكـاء بل نلمس في لهجته اشراقة، وتفاؤلا واطمئنانا، انه واثق من حتمية الانتصار على العـدو وميتهج لتوحد الامة في كفاحها ضد الاستعمار، ومن هنا نستطيع القول: أن عبد الكريم العقون لا تهمه المناسبة الخاصة في حد ذاتها، بقدر ما يهمه ما تنطوي عليه من عبر، وما تذره من شحنات وطنية وقومية يسارع الى تفجيرها، تدفعه الى ذلك روح الالتزام بقضايـا الشعوب العربية التي جعلتها فوق النزعات والمواقف الذاتية .

ولعل تفاؤل الشاعر بنتيجة المعركة مع العدو، وثقته في قدرة الشعب على تغيير أوضاعه السياسية والاجتماعية، اذا وجد من يقوده، يظهر ان بوضوح أكثر في هذا المقطع الذي ختم به القصيدة حيث يخاطب الفقيد قائـلا :

يا أبا القاسم اســـترح	وبمثواك فاستقـــر
شعبك اليوم في كفـــا	ح مع الظلم مستمـــر
كنت تحدو به الـــــى	أن غدا يقطف الثمر
سوف يسقي غراســـه	بدم كالحيا انهمـــر
ويضحـــي بنفســـه	فيجيب له القـــدر
ويرى الحق قد عـــلا	ويرى الباطل اندحر
انما المجد في الحيـا	ة لمن جاد بالعمـر.(2)

ونلاحظ أن العقون يعتبر نهضة الشعب التونسي، ويقظته، وتمرده على سلطات الاحتلال باشهار السلاح في وجهها كانت بسبب الجهود التي بذلها الشابي وغيره من الادبـــاء

(1) البصائـــر، 244، 1953/10/23.

(2) نفس المصـــدر.

في شحذ همم الجماهير ،وتقوية العزائم ،فالاديب عنده ذو رسالة اجتماعية وسياسية ،والفقيد هو أحد الادباء الذين التزموا بقضايا أوطانهم ،وسخروا فنهم لخدمة الاهداف السامية لشعوبهم ،ومن هنا استحق تقديره.

وهذا الربط بين مهام الاديب وحرية الشعب واستقلاله يطالعنا في قصيدة أخرى للشاعر رثى بها شاعرا تونسيا آخر هو محمد الشاذلي خزندار،اذ يقول (1):

رحل الخزندار عن هذه الدنـ ـيا وأكدارها علينا تـدار
فجع الشعر والاخلاء والآ ... داب فيه ،وأهله والـدار
انما هذه الحياة كسوق كل يوم بضائع تختار
راح والشعب لم تحقق أمانيـ ـه الغوالي ،ولم يفك الاسار
كان يحدو به لفك قيود مثقلات ،تفكها الاحرار.(2)

ففي البيتين الاخيرين يتحسر الشاعر على رحيل الخزندار قبل أن تتحقق أماني شعبه في الحرية ،وقبل أن يقطف ثمار نضاله ،فقد كان محفزا لابناء وطنه على القيام لافتكاك استقلالهم وانتزاع حقوقهم .

وهذه الرسالة النبيلة التي أداها الفقيد لوطنه في حياته جعلت منه شخصا له مكانته المرموقة في المجتمع،فكان لفقدانه صدى تردد في أرجاء تونس الثكلى ،وبين الاصدقاء :

تونس روعت لفقد فتاها وبكاه الرفاق والسمار(3)

---

(1) محمد الشاذلي خزندار (1881 _ 1954) أحد كبار شعراء تونس،ولد بضاحية منوبة ونشأ في أسرة ذات جاه ومال ،صاهر أحد بايات تونس ،وأصبح ضابطا ،ولكنه ضجر من النياشين والاوسمة الزائفه فقدم استقالته ،ونزل الى وسط الجماهير ليشاركها نضالها ضد المستعمر ،يعد رائد الشعر الوطني والسياسي في تونس. انظر محمد الصالح الجابري الشعر التونسي المعاصر (1870 _ 1970) ،الشركة التونسية للتوزيع 1974 ، ص (145 _ 179) .

(2) البصائر ،259 ،1954/02/19 .

(3) نفس المصدر .

ونظرا لهول الكارثة ،وفداحة الخسارة ،فان الشاعر قام يعبر باسم الشعب الجزائري عن مشاطرة اخوانه حزنهم ،والوقوف الى جانبهم لتجاوز المحنة التي ألمت بهم :

فبلاد الجزائر اليوم في حـــز ن ،له في الحشا جوى وأوار
نحن صنوان في البلاء ،فهـــلا ندفع الظلم أيها الابــرا ر؟
أفتبقى والظلم يهمي علينـــا كل يوم ،أنــه أمطـــا ر؟
فلنلم الشتات يا قوم ،ولنحــ ـم حمانا ،فالذل ــ والله ــعار
كافحوا البغي لا تهابوا ،فان الـ ـبغي لا بد صرحه ينهـار. (1)

ان الشاعر ــ هنا ــ قد خرج من دائرة الرثاء الضيقة ،وانساق وراء القضايا القوميـة وقد نعيب عليه هذا الخلط ،والانتقال المفاجيء من جو الى جو آخر مختلف ،ولكننا قـد نعذره أيضا ــ ان أردنا انصافه ــ لسبب واحد يتمثل في كون مأساة فقدان الشاعـر " خزندار" قد أوحت له لمأساة الوطن العربي ،وما يعانيه من تعسف وظلم استعماري ،فراح يحرر على الثورة ،ويدعو الى الوحدة ،والعمل المشترك لاخراج العدو. وبعبارة أخرى فاننا لانحسب خروج الشاعر عن القضية المحدودة والمناسبة الخاصة ،والانسياق وراء المسألـة الكلية راجعا الى كونه قد استنفذ معاني الرثاء ،ولم يجد ما يضيفه ،بل نرجعه الى التزامـه بالقضايا الجوهرية للوطن والامة ،الامر الذي قاده الى الاستطراد ،وطوح به خارج الموضـوع الاصلي لقصيدته الى درجة أصبحت معها القضايا التي تهم الوطن هي بيت القصيد ــ على حد تعبير النقاد القدامى ــ.

وقد شارك الشاعر محمد العيد في تأبين الشاذلي خزندار بقصيدة طويلة بلغت ثمانية وأربعين بيتا (2) ولكنها أقل مستوى من قصيدة العقون حيث مال فيها الى التأمل وسوق

(1) البصائـــر ،259 ،1954/02/19.
(2) نشرت قصيدة العيد بعد قصيدة العقون بالعدد : 261 من البصائر . انظـــر القصيدة في الديوان ،ص479 ،480 ،481.

الحكمة ليغطي برود العاطفة ،اذ مهد للموضوع بتسعة أبيات في الحديث عن الموت وفتكه بالبشر ،ولم يدخل في الموضوع الا بدءا من البيت العاشر:

آه مما حل بالخضراء من | فاجع كل عزيز فيه هانا
فقدت تونس من آفاقها | كوكبا قطبا وبدرا اضحيانا
أين منها الشاذلي المرتضى | خزندار السمح كفا وجنانا

ثم يشرع في احصاء مناقب الفقيد ،وأعماله التي قام بها ،ونضاله الحزبي ،وما تحلى به من أخلاق كريمة ،ويركز على ذلك تركيزا شديدا استحالت معه القصيدة الى شبه خطبة تأبينية ولكنه مع ذلك لم ينس أن يقدم التعازي الى تونس ،بل الى بلدان المغرب العربي :

قم نعزي المغرب الاكبر في | شاعر أكبر مرموق مكانا
... يا بني الخضراء هذا جهدنا | في مصاب كلنا منه حزانى
كلنا فيه سواء فليكن | كلنا فيه معينا ومعانا
بورك المغرب من دار لنا | بوأتنا من مغانيها كيانا
نحن فيها أسرة واحدة | اخوة دينا وجنسا ولسانا

وهو في هذا الجانب يتفق مع العقون ،ولكنه لا يقف عند هذا الحد ،بل يدعو الى وحدة المغرب العربي فيقول :

فتت الفرقة في أعضادنا | ان منها أبدا كل هوانا
عالجوها باتحاد جامع | ناجع المفعول ينفي الشنآنا

واذا كان محمد العيد يدعو الى اتحاد شعوب أقطار المغرب العربي ،فانه لا يبرز الهدف من ذلك ،وبالتالي بدت دعوته ـ التي تدفعه اليها النزعة الاصلاحية المتحكمة فيه ـ فاترة ،عكس العقون الذي كان أكثر حماسا ،وتركيزا على الهدف من نشدان الوحدة ،وهو محاربة المستعمر وتحرير الاوطان .

فالعيد هادئ ، يغلب على كلامه الطابع العقلي الذي يستند على الحجة ، أما العقون فانه مندفع متحمس ، يغلب على تعبيره الجانب العاطفي ، ولذا كثرت لديه الاساليب التي تبرز حرارة التوجيه مثل : ((هلا ندفع الظلم أيها الابرار؟ ، أفنبقى والظلم يهمي علينـــا ؟ فلنضم الشتات يا قوم ، ولنحم حمانا ، الذل — والله — عار ، كافحوا البغي ، لا تهابوا)) . فهذه الاوامر والنواهي ، وأساليب الاستفهام تخاطب الوجدان ، وتنفذ الى الضمائر فتوقظها وتثيرها ويكون تأثيرها أقوى — وأسرع من طرق وأساليب مخاطبة العقل التي نراها عند العيد — .

وهكذا وقف عبد الكريم العقون الى جانب الشعوب العربية في أحزانها ، فرثى بعضا من رجالها الذين رآهم يمثلون قلب الامة النابض بالحياة ، واذا كان لم يرث رجال الحكم وأوقف مراثيه على المفكرين والادباء ، فربما لانه كان يمقت السياسة ، ولا يعتبر رجالها ممثلين حقيقيين للشعوب ، وانما الذي كان يمثلها حقا هم حملة الفكر والتراث .

ثالثـا : أفـراح الشـــرق .

لم يحفل شعر " العقون " كثيرا بأفراح الشرق ، ولعل ذلك راجع أساسا الى قلة الافراح نفسها ، فقد عاش شاعرنا في فترة طغت فيها المآسي والاحزان على مظاهر البهجة والانشـــراح في جميع أنحاء البلاد العربية ، ومع ذلك فقد استرعى انتباهه ما وجد من مسرات ، فشارك فيه أمته ، مثلما قاسمها آلامهـا .

فبمناسبة اطلاق سراح الزعيم المغربي " عبد الكريم الخطابيّ — قائد ثورة الريف ضـــد الاستعمار الفرنسي والاسباني — بعد نفي عن الاهل والوطن دام عشر سنين ، طرب شاعرنـــا للحدث السعيد ، وأنشأ قصيدة قوامها واحد وعشرون بيتا تفيض حماسا وحيوية ، وتمتلئ غبطـة وابتهاجا ، يستهلها بقولـــه :

قد انفلت الضرغام من عنت الاســـــر — وحن الى أسد هنالك في مصـر

الى وطن فيه العظيم معظـــــم — وفيه يعيش الحر حرا من الاســـر

تيم اخوانا حموه من الاذى ... كراما لقوه بالحفاوة والبشر
وألفى بوادي النيل جندا مرحبا بليث نجا من ظلم قوم ذوي مكر
أولئك قوم ذادة الحق ان دجا باخوانهم خطب ، أهابوا الى النصر
كذا العرب جسم واحد ان يذق أذى تداعت له الاعضاء بالسهد والضر
فأكرم باخوان نباهي بعزمهم ونجدتهم للعرب في حالة العسر
وكل ديار العرب دارك فلتكن قريرا بعطف النيل ، منشرح الصدر.(1)

والقصيدة — كما نلاحظ — أشبه بقصائد المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني أمير حلب من حيث صورها ، ولغتها ، وموسيقاها ، وما الى ذلك من الامور التي لا تهمنا هنا ، فالذي يعنينا بالدرجة الاولى هو النزعة القومية فيها ، والتي تتجلى في كونها تعالج قضية تهم الامة العربية جمعاء من جهة واعتبار عبد الكريم الخطابي بطلا من أبطال العروبة ، ورسول المغرب الى المشرق من جهة ثانية ، ومن جهة ثالثة نرى أن الحدود الاقليمية الضيقة تمحي في نظر الشاعر فيعتبر البلاد العربية وطنا واحدا ، تحضن أية قطعة منه جميع أبنائه . ولعل هذه النزعة القومية تتبلور أكثر في اعتقاده بأن الشعوب العربية أمة واحدة ، وجسم واحد (اذا اشتكى منه عضو تداعا له سائر الاعضاء بالسهر والحمى) .

وعبد الكريم الخطابي في نظر الشاعر بطل كرس حياته لمحاربة الاعداء واجلائهم عن أرض الوطن ، ونضاله هذا امتداد لنضال الآباء والاجداد ، واحياء لمآثرهم ، ووفاء لارواحهم ، وهو مثل أعلى للجهاد والفداء لقن الشعوب العربية دروس المقاومة ، ولذا يقرر الشاعر بأن الشعب لن ينسى هذا البطل ، بل انه سيسير على نهجه مثلما سار في ركبه من أجل تطهير بلاده من براثن الاستعمار :

---

(1) البصائر ، 07 ، 1947/09/19 .

أيا بطلا خاض المعامع وانـبرى ... لاجلاء أعداء البلاد عن الوكـر
عهدناك لا تلهو عن المجد دائبا ... تشيد له الاركان بالرأي والسمـر
فما أنت الا السيف سل على العدى ... يذوقون منه الموت بالفتكة البكـر
وقفت بوجه الظلم ، تهدم صرحـه ... بصدق وايمان ، أو بسيفك او الفكر
ورثت عن الآباء عزا ومنعـة ... وخلدت آثارا تشع مدى الدهـر
وعلمتنا كيف النضال الذي بـه ... نحطم أغلال الطغاة ، ذوي الغدر
لقد صدك استبداد قوم عن الحمى ... فشعبك لا ينساك يا طيب الذكـر
بل انه يمشي وراءك لا يـني ... كمشيك للعلياء في السر والجهـر ،(1)

وقد تمكن الشاعر من رسم صورة بطولية للقائد ، محاولا تخطي معاني المدح التقليدي حيث ركز على ما يلائم هدفه ، ونزعته القومية التحررية ، فعبد الكريم الخطابي ليس فردا عاديا من أفراد المجتمع ، ولكنه مفجر ثورة ، وقائد شعب الى منهل الكرامة ، ومن هنا نزعم أن مبالغاته فيما خلع عليه من صفات يناسب ما عرف عن هذا الرجل في الواقع ، ويقترب من الحقيقة ان لم يطابقهـا على أننا لا نعدم وجود بعض الغلو في الابيات ، كوصفه للقائد بأنه (بطل العصر) ، ولعـل انفعاله وتشبعه بالنزعة القومية ، وغيرته على العروبة — التي تقوت بفعل التحدي الاستعماري — من جملة الاسباب التي زجت به في مثل هذه المواقف التي قد يؤاخذ عليهـا .

وتظهر مبالغة الشاعر بصورة أوضح في هذه الابيات التي ختم بها القصيدة ، اذ يقول :

وها أنت ذا تسعى لتحرير أمـة ... بحزم واخلاص أيا بطل العصـر
تؤمل أن يحيا "الشمال" منعمـا ... بحرية غراء طيبة النشـر
تؤمل أن تهديه في حالك الدجى ... كما يهتدي الساري بمنبلج الصبح
يعلق آمالا عليك فراعهـا ... وبين لياليه الحوالك كالبـدر

(1) البصائـر ، 07 ، 1947/09/19

فكن لبني العرب الميامين قائدا   وجدد عهود العرب نسل بني فهر.(1)

ان قائد ثورة جبال الريف في نظر " العقون " كان يصبو الى تحرير الشمال الافريقي كله وكان بمثابة النور الذي أضاء الطريق لشعوب المنطقة ، بل انه قائد الشعوب العربية بأسرها وبطل العصر بلا منازع.

واذا كان عبد الكريم الخطابي عند الشاعر هو رسول المغرب أيضا الى المشرق فان الفنان " فريد الاطرش" هو رسول المشرق الى المغرب أيضا (2)، فعلى اثر زيارته للجزائر قام الشاعر مرحبا به:

مرحبا بالشرق في أشخاصكم   مرحبا بالضاد عنوان الصلات

احملوا منا الى ذاك الحمى   شوق شعب ، وتحايا عطرات .(3)

ففريد الاطرش هو ممثل الشرق ، والشرق معناه العروبة والاسلام ، ومعناه الاخوة ان عبد الكريم العقون ينتهز كل فرصة للتعبير عن مشاعره القومية ، وكأني به يريد اثبات هوية الجزائر العربية المسلمة ، وانتماءها بشتى الوسائل ، وفي جميع المواقف ، وفي كل المحافل بحيث جعل النزعة القومية في خدمة القضية الوطنية ، وبالعكس أيضا اذ كثيرا ما ينطلق من المناسبة الوطنية ليتغنى بالقضايا بالقضايا القومية ، وينطبق هذا القول على جميع الشعراء الجزائريين لتلك الفترة ، وهو ما أكده الدكتور عبد الله ركيبي بقوله: ((... وكثيرا ما تختلط القضايا الوطنية بالقضايا العربية في قصائد الشعراء نتيجة لايمانهم بالانتماء ، ولانهم يعتبرون أن الجزائر جزء من الامة العربية)) .(4)

---

(1) البصائر ، 07 ، 1947/09/19 .
(2) د . صالح خرفي ، في رحاب المغرب العربي ، ص 201 ، 202 .
(3) البصائر ، 165 ، 1951/07/30 .
(4) د . عبد الله ركيبي ، الاوراس في الشعر العربي ، ص 55 .

ولعل الربط بين مختلف النزعات ضمن القصيدة الواحدة يتجسد في التفات الشاعر الى وطنه الصغير (الجزائر) ،والى قضية شعبه ،فيفسر تغريد بلبل الشرق في ربوع الجزائر الجريحة بأنه مواساة لها ولشعبها :

جئت تشدو في ربوع مسها ألم فأمست بائسات ..
جللتها ظلمة حالكة ويحنا من ظلمات حالكات
ان في ألحانكم تضميد ما جرحت تلك الايادي الآثمات .(1)

وبعد أن يبرهن على انتماء الجزائر ،ويلحقها بركب العروبة ،يدعو رسول الشرق والفرقة التي صاحبته في رحلته ،ومن ثم الشعب المصري الى القيام بما يمليه واجب الاخوة ،فيطلب مد يد المساعدة للشعب الجزائري للنهوض من عثرته ،وتجاوز محنته :

فأعينونا على آمالنا يا بني النيل الميامين الاباة
هش شعب طامح مستبشر وتلقاكم وضيء القسمات .(2)

وواضح أن الشاعر يزعم أن الشعب الجزائري قد عبر عن مشاعر الاخوة الصادقة ،وما يكنه من محبة وتقدير لاشقائه المشارقة ،فخرج لاستقبال وفدهم بوجوه تجللها بسمات الفرح ،رغم مسحة الحزن التي تعتريها ،وعلى الاشقاء أن يقدروا هذا الموقف ،ويمدوا يد العون لاخوانهم من أجل تخطي واقعهم الاليم .

ولا يخفى علينا ما في لهجة الشاعر من عتاب ظريف ،وما يكتنف أحاسيسه من مرارة بسبب تناسي المشارقة لاخوانهم المغاربة ،وعدم اكتراثهم بأحداث هذه المنطقة العربية الا في القليل النادر ،وذلك من جراء الظروف الاستعمارية من جهة ،وبسبب التقصير من جهة أخرى مع أن هذه الظروف لم تمنع المغاربة من تنسم أخبار اخوانهم المشارقة ،ومشاطرتهم أحزانهم

(1) البصائر ،165 ،1951/07/30 .
(2) نفس المصدر .

وأفراحهم ،وخير مثال على ذلك شاعرنا الذي نحن بصدد الحديث عن الاتجاه العربي الاسلامي في شعره ،والذي شغلته أفراح الشرق مثلما شغلته أحزانه ،فتغنى بها ،وتردد في شعره صداها ،وكأني به قد انقطع لرصدها والاحتفاء بها .

ومن الاحداث العظيمة التي مرت بها الامة العربية في الخمسينيات استقلال مصر وجلاء الجيوش الانجليزية عن أراضيها ،وقد اكتسب هذا الحدث عظمته من وزن مصر في العالم العربي ،ودورها في حياة شعوب المنطقة . وقد كانت فرحة شاعرنا بحجم الحدث وفي مستواه ،فشارك الشعب المصري ابتهاجه بعيده الوطني ،وعبر عن عواطفه بقصيدة يزف في مقدمتها البشرى الى الجميع بقوله :

انجلى الظلم عن الوادي الخصيب ... كانجلاء الليل عن فجر حبيب
فوق سبعين قضاها جاثما ... في ربوع مسها منه اللهيب
فعثا فيها زمانا جائرا ... ثم ولى جانحا نحو الغروب
أفلت أنجمه مؤذنة ... بغروب أبدي ،لا تؤوب
هكذا الظلم قصير عمره ... هكذا يؤدي به الحق المهيب.(1)

ونحسب أن الشاعر قد وفق في تصوير الاستعمار حيث شبهه بليل قصير لا يلبث الصبح أن يطرده ويبدد دجاه لولا أنه وقع فيما يشبه التناقض ،فمن جهة يقرر بأن الاستعمار الانجليزي لمصر دام (فوق سبعين) سنة ،ومن جهة أخرى يعتبر عمره قصيرا لا يتعدى عمر الليل .

ومع ذلك فان طريقة نعيه للوجود الاجنبي في مصر كانت ناجحة ـ فيما نظن ـ خاصة في هذه الابيات التي يصور فيها اندحار الظلم بسخرية وتشف وتهكم ،اذ يقول :

قد هوى في هوة مهلكة ... ليس في أعماقها الا شعوب(2)
نشبت أظفارها في جسمه ... فغدا يصرخ أضناه النحيب

---

(1) البصائر ،285 ،1954/09/17 .
(2) شعوب (بفتح الشين) = الموت .

((قد طوى الدهر شراعي فلاعد ولا ودع مصر بالدمع الصبيب)) .(1)

فقد أودى الحق بالظلم في مصر حيث أنشب أظفاره في جسمه ،فغدا يصرخ منهوك القوى معلنا عن استسلامه وعجزه عن الثبات ،وهي صورة نحسبها من الصور النادرة عند شاعرنا ،تنم عن خياله الطريف الذي يطلق له العنان من حين لآخر فيجود بنفحات من الابداع الحقيقي .

وبعد أن يزف بشرى الاستقلال ،وينعى الينا موت الاستعمار ،يأخذ في الاشادة بتضحيات أبناء مصر فيقول :

يا بني الاهرام هذا عيدكم اذ خضدتم شوكة الخصم الغريب
ووثبتم وثبة صادقة نا ضلت عن عزة النيل الخصيب
وحميتم ترعة قد خاضها معتد ليس له فيها نصيب
قيض الله لمصر فئة ان دعاها صارخ الحق تجيب
حقق الله بهم آمالها كلهم للمجد سباق دؤوب .....(2)

وهو اذ يمجد استماتة أبطال مصر في الدفاع عن أرضهم ،يعتبر انتصارهم على عدوهم انتصارا للامة العربية قاطبة ،حيث ضربوا المثل الاروع في التضحية والفداء ،ورفعوا رؤوس العرب عاليا ،وبيضوا وجوههم ،وبعثوا فيهم أمل الانعتاق والتحرر من قيود السيطرة الاجنبية :

هكذا الابطال لا يثنيهم عن أمانيهم عناء أو لغوب
بيضوا وجه بني العرب ومن ينتمي للعرب في اليوم العصيب.(3)

وغيرة الشاعر على استقلال مصر وحريتها ،جعلته ينصح الاشقاء فيحذرهم من الغفلة عن الاعداء ،وينبههم الى ضرورة قطع دابرهم ،واستئصال جذورهم ،ومطاردة فلولهم :

---

(1) البصائر ،285 ،1954/09/17 .
(2) نفس المصدر .
(3) نفس المصدر .

فخذوا حذركم ان العـدى　　منهم في كل ميـدان رقيب
فخذوهم واحصروهم واعصفوا　　بعداكم عصفة الريح الغضوب.(1)

ويختم قصيدته بتقديم تهاني الشعب الجزائري الى أخيه الشعب المصري :

يا بني النيل هنيئا لكـم　　ذا الجلاء اليوم للعـرب يطيب
كم فؤاد ها هنا في طـرب　　راقصا للنبأ العذب الطـروب (2)

وفي غمرة الابتهاج بالنصر لم ينس عبد الكريم العقون - كعادته - وطنه الصغير (الجزائر) ، فراح يربط بين قضية بلاده والقضايا العربية المختلفة ، فيطلب من الاخوة المستقلين تذكر الجزائر ومساعدتها على اللحاق بركب الحرية قائلا :

فاذكرونا مثل ذكرانا لكـم　　أيها الابطال انا في كـروب
من دخيل لج في طغيانـه　　سد في أوجهنا كل الـدروب
نحن في الخطب سواء هل لنا　　منكم عون على دفع الخطـوب؟(3)

ان الشاعر لا يتحرج في طلب المساعدة لانه يعتبر ذلك من باب الواجب الذي تمليه روح الاخوة الرابطة بين الشعبين الجزائري والمصري ، وقد أرجأ طلبه الى نهاية القصيدة وأخر عرض قضية شعبه علها تجد آذانا صاغية ، وأفئدة واعية .

وخلاصة القول فان الشاعر عبد الكريم العقون قد واكب بانتاجه أحداث الوطن العربي مشرقا ومغربا ، ولا نقول كل الاحداث لان القضايا الوطنية بالجزائر قد استنفذت جل طاقاته واستأثرت بمعظم اهتماماته ، ومع ذلك فان صدره انشرح للواقع العربي بصفة عامة فشاطـر أبناء أمته نضالهم وأحزانهم وأفراحهم ، وغالبا ما كان يربط بين مسألة بلاده والمسائـل القومية ، فكان - بحق - شاعرا وطنيا وقوميا أصيلا . ورغم أن هذه القضايا الجماعية قـد شغلته كثيرا عن ذاته ، الا أنه كان يرجع من حين لآخـر الى نفسه فيصدر عنها متغـزلا أو معجبا بمنظر أو مشتكيا من ألم ، وهو ما سنتناوله بالدراسة في الفصل الموالي .

(1) البصائـر ، 285 ، 1954/09/17 .
(2) نفس المصـدر .
(3) نفس المصـدر .

الفصل الرابع

الاتجاه الذاتي

1 ـ بين أحضان الطبيعة

2 ـ الغزل

أولا : بين أحضان الطبيعـــة .

يؤكد الدارسون للشعر الجزائري على أن فن الوصف لم يكن في مستوى جمال الطبيعـــة الجزائرية ، سواء من حيث كمية هذا الشعر ، أو من حيث مستواه الفني ،[1] وقد حاولوا تعليل هذه الظاهرة فأرجعوها الى طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بالشعراء الذين انشغلوا بمشكلات الشعب ، وقضايا الوطن الوحدبات معه نكران الذات طابعا يميز شعرهم بصفة عامـــة على حد تعبير الدكتور محمد ناصر[2] .

واذا كان البعض قد وجد في هذا مبررا كافيا يدرأ اللوم عن الشعراء مثل الاستـــاذ محمد الطمار ،[3] فان هناك من لا يرى الذوبان في العواطف الجماعية حجة قوية يمكن التذرع بها لعدم اكتراث الشعراء بالمشاعر الذاتية ، وخلو شعرهم من نبض الاحساس الفردي الذي يعتبر الوصف من أغزر منابعه[4] .

والحقيقة أنه لا يمكن النظر في هذه المسألة بمعزل عن فهم الشعراء للشعر ووظيفته ، لاننا سنظلمهم اذا لم نراع ذلك ، ومعلوم أن الشعراء الجزائريين قبل الثورة التحريرية كانوا يرون أن للشعر وظيفة اجتماعية اصلاحية لا ينبغي تجاوزها ، وقد التزموا بهذا المفهوم ولم يتمردوا عليه الا نادرا ، ومن هنا قل فن الوصف عندهم ، وأمام هذه الحقيقة فاننا لا ننتظر من الشاعـــــر

---

(1) انظر في هذا المجال : الدكتور عبد الله ركيبي ، دراسات في الشعر الجزائري الحديث ص 49 . والدكتور : صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 259 .
والدكتور محمد ناصر ، مجلة الثقافة (الجزائر) ، س 7 ، ع 40 ، ص 66 .
ومحمد الطمار ، تاريخ الادب الجزائري ، ص 296 .

(2) الدكتور محمد ناصر ، مجلة الثقافة (الجزائر) ، س 15 ، ع 86 ، ص 136 ، مارس ـ أفريل 1985 .

(3) محمد الطمار ، تاريخ الادب الجزائري ، ش.و.ن.ت (الجزائر) ، ط/1 ، بدون تاريخ ص 311 ، 312 .

(4) انظر : الدكتور عبد الله ركيبي ، دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 49 .
والدكتور محمد ناصر ، مجلة الثقافة (الجزائر) ، س 7 ، ع 40 ، ص 58 .

" عبد الكريم العقون " شذوذا وخروجا عن هذا العرف ،بل اننا نجده من بين الشعــــراء الذين تنطبق عليهم الآراء السابقة أكثر،اذ لا يمثل الوصف الا نسبة قليلة من مجموع أشعاره التي تمكنا من جمعها (1)،في حين تمثل القصائد ذات المضامين الوطنية والقومية نسبة عالية ·

ومن القصائد الاولى التي اهتم فيها بذاته ،ورجع فيها الى " الانا " تلك التي أوحــى له بها البحر فوقف يناجيه بقوله :

ها أنا اليوم قد وقفت أناجيـــــك ــ يا بحر ــ فاستمع لنشيدي
فكلانا في موقف نتناغـــــى بأغان سحرية الترديــــــد
انك اليوم مؤنسي وسميـــري يا نجيي في قفر هذا الوجود
سكنت نفسي الحزينة وارتـــاحت الى حسنك البديع الفريـــد
آثرت قربك الحبيب على كـــــل رفاقي قديمهم والجديـــد
علها في جوارك اليوم تنســـى ما تعانيه من بلاء شديـــد.(2)

وعلى الرغم من كون موضوع القصيدة ذاتيا الا أن الشاعر لم يتخلص فيها من رواسب المباشرة والخطابية التي ألفناها في شعره الوطني والقومي ،حيث يفتتح قصيدته بالنداء والامر والتنبيه وهي كلها من الوسائل المستخدمة في فن الخطابة ،ولكن اذا تجاوزنا هذه الملاحظة التي قد نؤاخذ الشاعر عليها اتضح لنا أن هناك جوانب ايجابية في الابيات ،منها رعشة الحياة التي يبعثها الشاعر في الطبيعة ،فهو يخاطب البحر وكأنه يخاطب انسانا يعقل ويحس فيدعوه الــى الاستماع لنشيده ومشاطرته الغناء ،لانه قصده طالبا الانس ،والتعويض عن قسوة الحياة فـــي المجتمع البشري ،فهو ينزع الى الطبيعة هروبا من آلام الواقع ،وتسرية عن النفس المعذبـــة وليس من أجل تزجية الفراغ والتسلية ،وبالرغم من نجاحه في خلع صفات الانسان على الطبيعـــة من حركة ودماثة أخلاق الا أنه لم يتمكن من الالتحام بها ،والقاء همومه وأحزانه عليهـــــا

(1) أحصينا له قصائد في وصف الطبيعـــة ·
(2) البصائـــر،13،1947/11/10·

وتفسير ظواهرها المتباينة على أنها انعكاس لحالاته النفسية على طريقة الرومانسيين ، ولعل الفرق بين شاعرنا والشعراء الرومانسيين يكمن في أن هؤلاء الشعراء يهربون الى الطبيعة من قيظ الحياة بين البشر ، ولكنهم يزدادون ألما وحسرة بين أحضانها ، ويعانون تمزقا وصراعا داخليا أكثر من ذي قبل .

أما شاعرنا فانه يلوذ بها لأجل تخفيف هذه الالام ، فيقف بين جنبات الطبيعة طلبا للراحة والطمأنينة ، ورغبة في الانبساط والانشراح ، وأملا في ايجاد بلسم لجراحه ، وتحررا من قيوده فيتأتى له ذلك ، ويتحقق لديه الانسجام النفسي ، خاصة عندما يجد بغيته ، ويتجلى ذلك عندما يشرع في تصوير جمال البحر ، واعجابه به ، مما يوحي لنا بأن الشاعر قد دخل مرحلة ارتياح . حيث تنطلق نفسه ، ويزول قلقه ، وينشرح صدره بعد أن كان ينوء بالمنغصات :

ايه يا بحر أنت فيض من الالـ ـهام موح للشاعر الغريد
أنت ألهمتنا الجمال فرحنا نهتف اليوم باسمه المنشود
أنت سر من الطبيعة مغر بجلال وكبرياء عنيد
أنت معنى محجب عن عيوني لا أرى فيك غير رمز بعيد
تتهادى مرددا نغمات وقعها في النهى كوقع القصيد
يا مثال الجلال ماذا ينال الـ ـوصف منك وما يحيط نشيدي ؟
أنت مرعى الخيال مورده الخصـ ـب وان كنت فوق الحدود . (1)

ونحن نرى الشاعر هنا يقف مشدوها عاجزا عن وصف جمال البحر ، معبرا عن استحالة الاحاطة بمحاسنه وما ينطوي عليه من نواميس ((ماذا ينال الوصف منك وما يحيط نشيدي ؟)) فيكتفي بالتأكيد على أن البحر فيض من الالهام يجد فيه الفنانون مادة لاصباغهم وألوانهم وصورة للجمال المثالي الذي تنشده أنفسهم ، وتهتف باسمه ، ويستغرق " العقون " في سرحته

(1) البصائر ، 13 ، 1947/11/10 .

الوجدانية الى أبعد حد حتى يصبح لا يرى في البحر الا رمزا للكمال والخلود ، وسرا من أسرار الوجود ،الا أنه يبقـى دوما محافظا على هذا الانفصال القائم بينه وبين البحر،فظل يصوره من الخارج ،وحتى هذا التصوير ينقصه غير قليل من الدقة الى درجة أن الشاعر لم يستطع أن يقدم لنا لوحة متكاملة الاجزاء ،واضحة المعالم ،فكان أشبه بالمصور الذي يحمل عدسة باهتـة الالوان لا ترصد من الصورة الملتقطة الا الاجزاء البارزة فيها .

ولا يمعن الشاعر في نظرته الكلية الى البحر،فينتقل انتقالا مفاجئا حين يرى البحر محـل اغراء يمكن أن يجتذب اليه الفتيات الحسناوات ،فيخاطبه قائلا :

أنت مغرى بالغيد ان جئن يوما عاريات وباديات النهـود
عابثات بمائك الازرق المغـ ـري ،نشاوى بحسنك المعبود
يتملين فيك مرآة سحـر شع في عمقها حصى كالعقود ،(1)

فقد أغرى البحر الحسناوات بجماله ،وسحرهن بفتنته ،فأقبلن عليه بنهود عارية يمرحـن في نشوة ،ويعبثن بالماء الازرق ،الا أن طول النفس يخون الشاعر فلا يتقصى المشهد ،ولا يحيط بجميع جوانبه ،بل يترك اللوحة التي شرع في رسمها باهتة الالوان .

ولكن الحقيقة التي ينبغي تأكيدها ،والتي نحسبها مزية للشاعر هنا هي استخدامه لغة مناسبة لفن الوصف ،فالالفاظ والعبارات مثل : مغري ،الغيد ،عاريات ،باديات النهود ،عابثات بمائك ،نشاوى بحسنك المعبود ،مرآة سحر،العقود ،هي ألفاظ رقيقة هامسة ،وتنضوي على كثير من الايحاء ،كما أنها لغة مشرقة تشيع في النص جوا من المرح يوحي بخروج الشاعر من حالـة الاكتئاب التي أظهرها في بداية القصيدة .

ولعله من المناسب أن نوازي بين قصيدة العقون هذه ،وقصيدة الشاعر أحمد سحنون

---

(1) - البصائـر ،13 ،10/11/1947 .

في نفس الموضوع ،ورغم أن الفارق الزمني بين القصيدتين كبير[1] الا أننا وجدنا تشابها كبيرا بينهما ،وقد جعلنا هذا التشابه نظن أن العقون قد تأثر بسحنون ،خاصة وأن شاعرنا كان يكن له احتراما كبيرا وهو من خلصائه ،وقد ساجله الاشعار أكثر من مرة.[2]

يستهل أحمد سحنون قصيدته بقولـه :

ماذا بنفسك قد ألـم   يا أيها البحر الخضـم ؟
نام الخلائق كلهـــم   وبقيت وحدك لم تـــنم
فالكون في صمت عميـ   ـق غير صوتك فهو لـم .[3]

فهو يخاطب البحر وكأنه انسان له نفس متألمة ، وصوت يتشكى ومحيا عابس وأنين متصعد حتى أن المرء ليقول ان الشاعر من خلال مخاطبته البحر انما يخاطب نفسه على حد تعبير الدكتور محمد ناصر.[4]

وقد لاحظنا من قبل أن العقون قد عمد الى نفس الطريقة ،حيث بعث الحياة في البحر ثم أخذ يناجيه ،هذا فضلا عن النبرة الخطابية التي يشتركان فيها ،الا أن سحنون لم يعمق نظرته الى البحر ،ولم يشعر بجماله مثلما أحس به العقون وحاول فلسفته ،وان كان هو الآخر قد قصد البحر فرارا من متاعب الحياة الاجتماعية والسياسية المنعكسة عليه :

---

(1) نشرت قصيدة أحمد سحنون بمجلة الشهاب ، م13 ،ج 9 ،نوفمبر 1937 .
ونشر العقون قصيدته بالبصائر ،العدد 13 ،1947/11/10 .

(2) انظر الفصل المتعلق بحياة الشاعر ،ص= 31 ، 32 .

(3) ديوان أحمد سحنون ،ص = 32 .

(4) د . محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925ـ1975) رسالة دكتوراه دولة قدمت خلال السنة الجامعية 1983/82 ،ص405 ،وقد طبعت بدار الغرب الاسلامي (لبنان) سنة 1985 بعد أن جمعت مادة هذا البحث.

انني حيالك واقـــــف فكرت فيك فلم أنـــم

وسئمت من أرقي فجئـــ ـت اليك أطرح السأم

فلعل منظرك الجميــ ـل يذود عن قلبي الالم (1)

كما سبق أحمد سحنون شاعرنا في موقفه من البحر حيث اعتبره مصدر الهام للاديب الفنان وسلوة للمتألم :

دم مستزادا للحزيـ ـن وسلوة لذوي الالم

وسبيلنا وحي للاديـ ـب ومجتلي حسنا أتم. (2)

واذا كان الشاعرأن كلاهما قد صورا البحر من الخارج ، وظلا منفصلين عنه فاننا نحسب " العقون " قد تفرد بالخيال الطريف والتهويمات الوجدانية .

ومن مظاهر الطبيعة التي جلبت انتباه الشاعرعبد الكريم العقون " الصبح " بتباشيره الوضيئة ، ومنظره الفاتن ، فقال في قصيدة مطلعها :

هب من نومه يميس حسيرا باسم الثغر واني الخطـــوات

وتجلى في حسنة كعــروس ذات حسن مهيبة الخلقـــات

فاستفاقت هذي الحياة من الاحـ ـلام بعد الاغراق في الهجعات

وازدهى بالوليد كون عبوس وانتشى بالمناظر النضـــرات. (3)

ولعل أول ملاحظة يخرج بها المتأمل في هذا الاستهلال هي ابتعاد الشاعر عــن الخطابة والمباشرة التي لاحظناها في قصيدته السابقة ، وفي شعره ذي المضامين الوطنية أو القومية بصفة عامة ، فهو يحدثنا بطريقة قصصية ، وبأسلوب سردي عن شيء يتمتع بالحياة والحركة

---

(1) ديوان أحمد سحنون ، ص = 32 .

(2) نفس المصـــدر .

(3) البصائــــر ، 30 ، 1948/04/05 .

ويملك ارادة الانسان مستخدما ضمير الغيبة ،فقد هب هذا الكائن الحي من نومه ،وطفق يسير بخطى متأنية ،تجلل البسمة ثغره ،وكأنه عروس حسناء تفيض جمالا ،ورشاقة ،فاحتفى به الكون وانتشى بعد عبوس وخمود .

ولا نستطيع معرفة الشيء الذي يتحدث عنه الشاعر الا بدءا من البيت الخامس حين يصرح به قائلا : ((أنت سر الوجود يا صبح)) .

وهو لا يكتفي بنفخ الحياة في عنصر واحد من عناصر الطبيعة فحسب ،ويترك بقية المحيط جامدا ،بل انه يجعل كل العناصر نابضة بالحياة محققا بذلك انسجاما وتجاوبا بينها ،فليس الصبح وحده حي يعج بالحركة ،ولكن الكون كله متأثر بهذه الحيوية ،واذا كان الشاعر قد ابتعد عن الصيغة التقريرية ،والنبرة الخطابية في مقدمة القصيدة - كما لاحظنا - فان ذلك ليس تطورا ذا أهمية في شعره لانه لم يحافظ عليه حتى في القصيد نفسها ،اذ لا يلبث أن يعود الى المباشرة التي توهمنا أنه قد تخلص منها ،فيحدث انقطاع مفاجئ في نغمته التي بدأ عزفها ،وبذلك لم يتمكن من تحقيق النمو الداخلي في قصيدته ،ويبدو هذا النشاز الذي يقرع آذاننا حين يتوجه الشاعر الى الصبح يخاطبه :

أنت سر الوجود يا صبح فانشر ... نورك المستفيض في الفلوات
استنارت بك الرياض فأضحت ... تتغنى مزهوة ثملات
قد غزا جندك المظفر واجتا ... ح جنود الغياهب الحالكات
وتولى محطما يتوارى ... في شعاب مخيفة مرعبات
لائذا بالكهوف بالقمم الشماء بالبيد بالصخور العواتي
واكتسى الغاب حلة نسجتها ... أنمل الصبح من سنا الومضات
والقرى قد تلحفت بشعاع ... ذهبي الرؤى جميل السمات
وسرت في الرياض فرحة أنس ... أعانتها الطيور بالنغمات

وأرى البحر باسما حين تبدو   مشرق الوجه واضح القسمات
وأرى الزهر ناهلا من نداك الـ   ـعذب يطفي به جوى الحرقات.(1)

وعلى هذا النحو يمضي الشاعر في ابراز أثر نور الصبح في الكون معتمدا في الغالب جملا فعلية مثل : استنارت بك الرياض ، غزا جندك ، تولى محطما ، يتوارى ، اكتسى الغاب حلة ، سرت في الرياض فرحة أنس ... الخ ، مما يوحي بالتغير والتجديد ، وبالحركة والحياة وبذلك يكون قد فصل ما أجمله في الابيات الاربعة الاولى في رقة متناهية ، حيث يطلق لخياله العنان ، وتتلاحق الصور الكلية والجزئية المستوحاة من الطبيعة مكونة حشدا من الالوان الزاهية الفاتحة بينها غير قليل من المتناسق والانسجام ، ولكننا رغم ذلك لا ينعدم وجود بعض التكرار ، والدوران في حلقة واحدة ، والتراوح في مساحة ضيقة .

ولا يكتفي عبد الكريم العقون بابراز أثر الصبح على الجمادات فحسب ، وانما يعدد فضائله على الانسان أيضا :

فيك يحلو النشيد للشاعر الملـ   ـهم يزجي من سحره النفثات
فيك تحلو الآمال للعاشق الصـ   ـب يناغي أطيافه الحائمات
تحت أضوائك المنيرة يحلو   كل بث له وكل شكاة
تحت اشراقك المحبب يهدي   تائه في شكوكه المظلمات
ايه ـ يا صبح ـ أنت دنيا من الاطـ   ـياف والسحر والمنى المنعشات
تمسح الحزن والكآبة والهمـ   ـم وتنسي فجائع الحادثات.(2)

فكما أن الصبح يبعث الحياة في الطبيعة ، فانه أيضا يبث الامل في النفس الانسانية ويدفع الفرد الى الاقبال على الحياة ، فالشاعر يطيب له الانشاد ، والعاشق يزول عنه الانقباض

---

(1) البصائر ، 30 ، 1948/04/05 .
(2) نفس المصدر .

بمناغاة أطياف الاحبة ،والمتدبر في الكون يجد في الصبح بغيته ،فيزول ما به من شك وتبيض الحقائق في عينية وبصيرته ،ونلا حظ هنا كيف أن النزعة الاصلاحية تلاحق الشاعر حتى في المواقف الذاتية والخاصة جدا ·

وهكذا يظهر لنا أن عبد الكريم العقون يعتبر الطبيعة مبعث أمل وحافزا يدفع الانسان الى العمل بحيوية ونشاط ،اضافة الى أنها تطهر النفس الانسانية مما علق بها من أدران الحزن والكآبة ،والشكوك ،والخمول والخوف ،وهو ما يفسر حنينه اليها ·

ويتجلى تعلق شاعرنا بالطبيعة ،وارتياحه اليها أكثر من ذي قبل في قصيدته " ذكريات وعهود " التي نزعم بأنها من أجود قصائده الذاتية حيث نلمس فيها قدرته على الوصف على حد تعبير محمد الطمار،(1) وقد صور فيها ذكريات طفولته بمسقط رأسه ،ويقف طويلا عند نهير " برج الغدير" :

قد عدت للنهر المجيب ظامئا أطفي الزفير
متسليا بجماله الاخاذ ،أنصت للخرير
أمحو هموما جمة قد لازمت قلبي الكسير
متمتعا بتفوقي متجنبا كل الشرور
ثملا بتوقيع الجداول حين تجتاز الصخور
يتلو على الموجوع ألحانا بها يحيا الشعور
حريتيه على البرية لا يبالي بالدهور(2)

فالشاعر يصف النهر ،ويحاول الاقتراب منه والامتزاج به ،ويتحدث عن مشاعره وهو بين أحضان الطبيعة ،فأضفى على القصيدة بعدا فنيا لم نعهده لديه من قبل ·

---

(1) محمد الطمار ،تاريخ الادب الجزائري ،ص318 ·
(2) البصائر ،52 ،1948/10/11 ·

وإذا كان قد صرح بتسليه بجمال الطبيعة ،فانه في الحقيقة لم يلجأ اليها من أجل هذا الغرض فقط ،وانما اتجه اليها طلبا للوحدة والتفرد ،ورغبة منه في نسيان الهموم ،واطفاء نار النهم في الطبيعة والجمال ،فهو مغرم بها لاكثر من سبب ،وليس في موقفه هذا تناقض مع ما سبقت الاشارة اليه في بداية هذا الفصل ،وتتضح الاسباب التي دفعته الى الارتماء في أحضان الطبيعة في القسم الثاني من القصيدة عندما يقول :

يا نهر عدت اليك أسبق فرحتي وقت المسير
لنرى النسيم الحلو داعب وجهك الصافي النضير
ونرى الحياة طليقة ملأى بأنواع السرور
اني سئمت حياة أبناء المدائن والقصور
وهجرت ضوضاء تموت بها المشاعر والشعور
فرجعت أتنهب الخطى متيما " برح الغدير"
فلقيت فيه البشر ،والخلق المحبب ،والحبور . (1)

لقد أرهقته المدينة - التي عاش في كنفها طويلا - بضجيجها وزحامها ،حتى أصبح يرى كل ما فيها باعثا على الملل ،قاتلا للاحاسيس ،مميتا للمواهب ،فاتخذ من القرية ملجأ مؤقتا يحتمي به من شرور حياة المدينة ،ورأى في طبيعتها متنفسا يعيد اليه الحيوية .

وهي - كما نعلم - رؤية رومانسية ،حيث تعتبر الطبيعة عند كبار الشعراء الرومانسيين أما حنونا رؤوما يسندون الى صدرها رؤوسهم كلما أثقلتها الهموم ،ويذرفون فوق أعطافها دموعهم كلما ضاقوا بمجتمعهم ونال منهم الضعف ،ولكن ليس معنى ذلك أن عبد الكريم العقون كان رومانسيا بأتم معنى الكلمة ،بل ان الذي لا شك فيه أنه لم يعتنق المذهب الرومانسي شأنه في ذلك شأن كثير من الشعراء الجزائريين المعاصرين له ،الذين كانوا يغرفون منه

---

(1) البصائر ،52 ،1948/10/11 .

باحتياط ورضى مثل الطاهر بوشوشي ، والاخضر السائحي .(1)

وعندما يقف " العقون " أمام نهر قريته يعاوده حنين الذكريات ، وتتداعى الاحلام الغابرة ، وأيام الصبا الجميلة ، فيقارن بين ماضيه السعيد وحاضره التعيس في نفحة وجدانية راقية ، يحدثنا خلالها عن براءة الطفولة ، ويحلو له الاعتراف بعد أن ينفرط عقد الاسرار الدفينة وينفلت منه زمام المشاعر المكبوتة :

وقضيته يوما جميلا من مدى العمر القصـــير
فوق المروج الخضر ما بين الحشائش والزهـــور
أحيي عهودا هذبة قضيتها طفلا غريـــــــر
أشدو كأطيار نشاوى بالاصائل والبكـــــــور
وأساجل الاطيار والانهار والفجر المنـــير
وأروح أعبث بالمياه الجاريات وبالزهــــــور
وأظل في الغابات بين هدوئها الساجي المنير
بين الجبال الشاهقات أعيش مغتبطا قريــــر
أصغي الى ترتيل آيات الجمال مع الطيـــور
وأتابع الافراخ في أشجارها أو في الوكـــور
وأبحث عن بيض الطيور لدى المغاور والوعـور(2)
أحكي ثغاء الشاة أو أحكي الصفير مع النسـور
وصدى الكهوف مع الجداول والغراب اذ يطير
أمضي لتحقيق الاماني لا أبالي بالفتـــور.(3)

(1) د. أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الادب الجزائري ، ص 25 .
(2) في البيت خلل عروضي واضح ، يظهر في قوله : ((وأبحث عن بيض الطيور)) .
(3) البصائـــــر ، 52 ، 1948/10/11 .

ولعل أول مايشد انتباهنا في هذه اللوحة التي رسم فيها الشاعر ذكريات طفولته هــو تجاوبه مع الطبيعة ،وامتزاجه بها ،وكذا الطلاقة في التعبير نتيجة انبساط أسارير نفسه ،وانشراح صدره ،حيث تتزاحم الذكريات الجميلة في مخيلته ،فينطق بها دون تكلف ،ومن غير مراعاة للمنطق والترتيب ،ولكن وفقا للعاطفة ،وكما يقتضيه صدق التجربة •

على أننا نراه متأثرًا — في هذا القسم بصورة خاصة ،وفي القصيدة بصفة عامة — بالشاعــر " أبي القاسم الشابي " في قصيدته " الجنة الضائعة " •(1) ولا لانجد روح الشابي ماثلة فــي قصيد الزبدة " العقون " من خلال ألفاظها وعباراتها فحسب ،ولكن في صورها ومعانيها أيضا مما يدل دلالة واضحة على تأثره به ،وخاصة في قصائده الذاتية ،بسبب ما يكنه له من اعجـاب وحبذا لو كان هذا التأثر شاملا لجميع موضوعات شعره ،ولكنه بقي محصورا في بعض قصائده الوجدانية ،ولم يلبث " العقون " أن استغنى عن الشابي قبل أن يكتمل نضجه الفني ويستقيم له الفن الشعري ،وقد يرجع ذلك الى كونه قد أراد أن يشق لنفسه طريقا خاصا به منذ البداية وأنه كان يضيق ذرعا باقتفاء أثر الآخرين • على أن الاعجاب بالشابي شخصيته وشعره ليــس مقصورا على العقون وحده ،وانما يبدو عند غيره من الشعراء الجزائريين ذوي الاتجاه الوجداني أيضا ،وان تجلى عنده بصورة أوضح حيث يعتبر الشابي ((الساحر الملهم الذي ينصت الكون الى شعره)) •(2) وربما تتضح لنا هذه الحقيقة من خلال هذا المقطع من قصيدة " الجنــة الضائعة " والذي نظنه شديد الصلة بالقسم السالف الذكر من قصيدة " ذكريات وعهود " ،حيث يقف فيه الشابي يندب أحلام صباه قائــلا :

كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضـــير

••• قضيتها ومعي الحبيبة لا رقيب ولا نذيــر

---

(1) نشرت قصيدة الشابي بتاريخ 9 كانون الثاني (جانفي) 1933 • انظر: أبو القاســم الشابي ،الاعمال الكاملة ،الدار التونسية للنشر ،1984 ،ج / 1 ،ص 213 •

(2) د • محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،ص 73 •

الا الطفولة حولنا تلهو مع الحب الصغير
أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطير
وطهارة الموج الجميل، وسحر شاطئه المنير
ووداعة العصفور بين جداول الماء النمير
أيام لم نعرف من الدنيا سوى مرح السرور
وتتبع النحل الانيق وقطف تيجان الزهور
وتسلق الجبل المكلل بالصنوبر والصخور
وبناء أكواخ الطفولة تحت أعشاش الطيور
.. أونظل نعبث بالجليل من الوجود، وبالحقير
بالسائل الاعمى، وبالمعتوه، والشيخ الكبير
بالقطة البيضاء، بالشاة الوديعة، بالحمير
بالعشب، بالفنن المنور، بالسنابل، بالسفير... (1)

واذا أمعنا النظر في المقطعين تبين لنا أن ذكريات" العقون " هي نفسها ذكريات طفولة" الشابي " ، فكلاهما قضى أياما عذبة ، فالتا من قبضة الرقابة والعقاب ، ويظل نهاره يشدو مع الطيور ويتتبع حركات النحل وتنقلاته ، ويعبث بمياه الجداول والسواقي ، ويتسلق الجبال والصخور غير عابئ بالاتعاب أو الاخطار ... الخ .

واذا كان من الممكن أن يكون الشاعران قد مرا بنفس التجربة في عهد الطفولة ، باعتبارهما من أبناء القرية ـ وبالتالي فهما يشتركان في طبيعة النشأة ، ووحدة الذكريات ـ فانه من غير الممكن أن يحصل التعبير عن هذه الذكريات بكيفية واحدة عن طريق الصدفة كما لاحظنا ، وان كان العقون لا يعترف بكل ممارسات براءة الطفولة ، ولا يفصح الا عن الجوانب التي لا يلام عليها

---

(1) أبو القاسم الشابي ، الاعمال الكاملة ، الجزء 1 ، ص209 ، 210 ، 211 .

الطفل في نظر العرف الاجتماعي ، ويعرف كيف ينتقي الصور التي تتناسب مع إطار الطفولة وتدل على نقائها ، في حين لا يتحرج الشابي في الكشف عن التفاصيل بجملتها دون تهذيب كالعبث بالسائل الاعمى ، وبالمعتوه ، والشيخ الكبير ، وبالقطة البيضاء ، والشاة الوديعة ، والعصير (مما جعل الدكتور عبد القادر القط يعيب عليه التصريح بمثل هذه الافعال التي تتقزز منها النفس البشرية حين قال : ((... ولا أدري ... هل العبث بالسائل الاعمى ، والمعتوه والشيخ الكبير من اللهو والعبث البريء ؟ أو أن الشاعر انساق في ذلك وراء سحر الألفاظ وإيقاعها ؟)).(1)

والحقيقة أن هذا اللعب الذي قد تتقزز منه نفوس الراشدين فانه في عرف الاطفال مباح والشابي حين صرح بذلك كان واقعا تحت تأثير تيار تداعي الذكريات ، فكان يتكلم بلسان الشابي الطفل وليس بلسان الشابي الرجل المدرك العاقل ، ولا يعود الى واقعه الا في المقطع الموالي من القصيدة حيث يطلق هذه الآهة التي تنبيء بالحسرة والحنين الى تلك الايام الغابرة :

آه تواري فجري القدسي في ليل الدهـــور
وفنى كما يفنى النشيد الحلو في صمت الاثير
أواه قد ضاعت علي سعادة القلب الغريــــر
وبقيت في وادي الزمان الجهم أدأب في المسير
وأدوس أشواك الحياة بقلبي الدامي الكسير
وأرى الاباطيل الكثيرة والمآثم والشـــرور.(2)

هكذا يتأوه الشابي على زمن الطفولة التي حظيت باهتمامه كما احتفى قال بعض النقاد :

---

(1) د . عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر (بيروت) ، ط/2 ، 1982 ، ص365 .
(2) أبو القاسم الشابي ، الاعمال الكاملة ، ج / 1 ، ص212 .

فهي آمال أنفـــس ترتجى لاعدمتهـــا
ملأت قلبي الطمـــو ح طيوفا أطعتهـــا
ها أنا عدت ذاكـــرا نشوة ما نسيتهـــا
في مجال عبدتهـــا ودروب سلكتهـــا
يملأ القلب سحرهـــا ليتني ما هجرتهـــا ! (1)

وقارئ القصيدة يرى أن لا فرق بين هذا المقطع والمقطع السابق تقريبا ، فالشاعر يتراوح في منطقة واحدة لا يبرحها ، وكأني به لم ير من الرياض التي زارها الا تلك المعاني التي يراها في جميع المناظر الطبيعية من ارتياح وطمأنينة ، ودعة ، وأمن ، والهام ، وغيرها من المعاني التي جبلت عليها النفوس الحساسة ذات الميل الوجداني الرومانسي ، ولكنه رغم ذلك استطاع الاقتراب من الطبيعة أكثر ، الى درجة أصبحت معها معشوقة وغذاء روحيا ، وحليفا في وقت الشدة ، وانيسا ساعة الوحدة ، ونحسب ولوعه هذا بالطبيعة راجعا الى الحرمان الذي يعانيه ، بسبب بعده عنها منذ الصغر ، حيث عاش معظم حياته بالمدينة .(2)

والمعاني السابقة نفسها يكررها في قصيدة " الربيع " ولكن بشيء من التعمق :

قد بدا البشر من محيا الربيع فازدهى الكون بالجمال البديع
مذ تراءى للناظرين سنـــاه خف كل في نشوة ونـــزوع
يا له منظر يحرك أوتـــا رفؤاد يهتز للتوقيـــم (3)
موحيا بالجمال والشعر والغ ـــن ومطف لوا جعا في الضلوع (؟)
كم لسان معقد صار طلقـــا يسحر اللب بالبيان الرفيـــع . (4)

---

(1) البصائـــر ، 63 ، 1949/01/24 .
(2) انظر الفصل الاولى المتعلق بحياة الشاعر ، ص 25 ، 26 .
(3) في قوله : ((منظر)) خطأ نحوي ، حيث يقتضي رفع المنعوت المرفوع والتصغير .
(4) البصائـــر ، 74 ، 1949/04/04 .

لقد استطاع الشاعر — فيما نزعم — خلال هذه المجموعة الاولى أن يتخطى العالم الحسي للربيع ،وأن ينظر الى الطبيعة نظرة تأملية ،فلم يبق سطحيا جافا في تعامله معها ،بل تبقى عنده احدى الافراح النادرة ومأوى النفس التائهة القلقة ،ومهبط الفن والجمال •

ويلخص مشاعره نحو فصل الربيع بقوله :

يا حبيبا تشتاقه كل نفس   وعزاء لليأس المفجوع
عبقريا يشفي الجروح وينسي   من شجون كثيرة التنويع
قد سرت في نفوسنا منه أحلا   م عذاب من وجهه المرفوع• (1)

فهو ينظر الى الربيع نظرة اجلال وأكبار ،وينعته بالعبقرية لانه اجتمع لديه من الصفات ما لا يكون الا عند العباقرة ،خلاصتها القدرة على احداث انقلاب شامل في الطبيعة •

وقد أفاض الشاعر بعد ذلك في وصف الطبيعة عند اطلالة الربيع فقدم مشاهد مختلفة كمنظر الربى المتلحفة بوشاح من نسج هذا الفصل :

والربى قد أسفرت عن وجوه   زانها منظر الجمال الوديع
اكتست بردها القشيب وتاهت   في دلال محبب للجميع
بعد عري أصابها ،ورياح   لفحتها وذلة وخشوع
فتبدت مزهوة وعليها   بسمة من دموع غيث مريع
وغدت تسحر النفوس بوشي   ناطق بجلال سر منيع• (2)

والملاحظ أنه لم يتمكن هنا من تجاوز الوصف الخارجي للطبيعة ،ولم يزد على أن خلع عليها صفات الانسان وحركاته شيئا ،الا أننا مع ذلك لا نستطيع انكار بعد الخيال وطرافته في الابيات ،مما أسفرت عن صور تبرز بحق تقلبات الطبيعة تبعا لتعاقب فصول السنة ،مما جعل

---

(1) البصائر ،74، 1949/04/04•
(2) نفس المصدر•

البعض ينعته " بالرسام البارع".(1)

وبعد تلك اللوحة التي رسمها لمنظر الربى ،يعود إلى الحديث عن جمال الربيع بصفة عامة فيقول :

حبذا موكب الربيع تهادى   سبقته آمالنا للطلوع
حاكيا روعة وسحرا جلالا   ولحونا حلوية الترجيع
وشذى حيثما توجهت يغزو   ك بعرف من الربا والفروع
وربى يبهر العيون سناها   هي برء لكل قلب وجيع.(2)

وواضح ما في هذا من خلط واضطراب وتكرار للمعاني ،وذلك بسبب انتقال الشاعر من العموم الى الخصوص ،ثم العودة من جديد الى العموم ،وكأني بالربيع قد ملك عليه أحاسيسه ففلت منه زمام التحكم في نظام التعبير عنها ،وظل عبدا للجمال غير قادر على ترتيب أفكاره وضبطها في نسق يرضي القارئ .

وبعد أن يفرغ من الحديث عن جمال الربيع ينتقل الى وصف منظر جزئي هو منظر الفراشات :

والفراشات حائمات على الزهـ   ـر يداعبن ثغره في ولوع
سابحات مع النسيم المندى   هامسات الى الندى والزروع
غارقات في حلمها تنشر العفـ   ـة والطهر والمنى كالربيع.(3)

ومن الفراشات الى المقطع والانغام الشجية التي يعزفها الرعاة :

والقطيع انتشى بلحن شجيّ   قد تغنى به رعاة القطيع
نغما يفعم النفوس سرورا   هو أشهى من صوت كل سجوع

---

(1) محمد الطمار ،تاريخ الادب الجزائري ،ص 317 .
(2) البصائر ،74 ،1949/04/04 .
(3) نفس المصدر .

كل قلب اليه ينبض شوقا وهياما كومض برق لموع .(1)

ويتجلى لنا ما في هذا الوصف من رقة وبراعة وايحاء ،وما فيه من معاني انسانية رفيعة يطمح اليها الفرد ،وتهفو اليها النفس البشرية ، ،ولا يخفى علينا انسياق الشاعر وراء تلك المعاني ،والتحليق بعيدا عن الموضوع الاساسي للقصيدة ،فنراه يتحدث عن عذوبة الالحان المنبعثة من ناي راعي القطيع ،وعن تأثيرها في النفس ،دون أن ندري كنه العلاقة بين الربيع (بيت القصيد) والانغام الموسيقية ،اللهم الا الرقة والعذوبة الجامعة بينهما ،ولا شك أن الشاعر قد وصل هنا الى مرحلة من التداعي النفسي ،بحيث أصبح غير قادر على ضبط أخيلته وحصرها في موضوع واحد ،فنشوة الربيع التي أصابت كل شيء في الكون كان لها الحظ الوافر عند الشاعر.

ولعل حبه للموسيقى هو ما يفسر لنا كثرة حديثه عنها ،ولا غرو في ذلك ،فهو فنان يحب الفنون ،والموسيقى والغناء من أقرب الفنون الى الشعر وألصقها به ،وقد ترجم تعلقه بالموسيقى في قصيدته التي استقبل بها الفنان " فريد الاطرش" عند زيارته للجزائر ،استهلها بمقطع غرق خلاله في أحاسيس وجدانية عميقة لا تبدو فقط في المعاني والآهات والزفرات التي أطلقها وفي جو الحزن الذي يخيم على النص ،ولكنها تتجلى أيضا في استخدامه كثيرا من ألفاظ قاموس الرومانسيين ،يقول مرحبا بالفنان الكبير:

مرحبا بالبلبل الغريد في أيكنا يشدو بأحلى النغمات
قد وهبناك قلوبا فاسقها خمرة قدسية فيها الحياة
هاتفا في هيكل الوحي الذي يتراءى للنفوس الشاعرات
علها تمحو تباريح الجوى علها تنسى هموما كالحصاة
يا طبيبا آسيا في فنه لحنه يأسو الجراح الداميات

---

(1) البصائر ،74 ،1949/04/04.

طالما رجعت أنغاما شفت   من أساها أنفسا مكتئبات
دب منها البرء وانساب   الى أكبد قد عاودتها الذكريات
أنت اما شئت أحييت المنى   واذا شئت أسلت العبرات (1)

فالعبارات من مثل = قد وهبناك قلوبا ، فاسقها خمرة قدسية ، هاتفا في هيكل الوحي ، النفوس الشاعرات ، تباريح الجوى ، هموما كالحات ، يأسو الجرح الداميات ، الخ ... هي عبارات تتردد باستمرار في أشعار الرومانسيين .

ولعل آلام الشاعر التي يفصح عنها هي جزء من آلام المجتمع الجزائري الرازح تحت السيطرة الاستعمارية ، بدليل أنه يجمع في هذه القصيدة بين النزعة الذاتية والنزعة الوطنية والقومية ، ولعل ذلك ما يعنيه الاستاذ أحمد شرفي حين قال = ((ورومانسية الشعراء الجزائريين تتميز بتفتحها على الحياة الوطنية ، وبعدها عن البرجية وفي نفس الوقت عن أسلوب التناول المباشر والسطحي للاحداث ، بحيث اهتمت بابراز مواقف الشعراء الذاتية)) . (2) ولعل الآلام التي يفصح عنها

واذا كان العقون قد أظهر في البداية ارتياحه للنغم العذب فبرئت نفسه السقيمة ، وامحى أساه ، والتأمت جراحه ، وتطهرت مشاعره ، فانه لا يلبث ان يعود الى حالته الاولى تجاوبا مع النغم الحزين فيطلب من صاحبه ـ الذي يملك القدرة على بعث الاماني في النفوس وشحنها بالحزن في نفس الوقت ـ الترفق به والحنو على مشاعره الرقيقة ، وحسه المرهف =

فترفق بحنايا أضلع   لذعتها من غناك اللفحات
لمستها ريشة علوية   أيقظت فيها المنى والصبوات
ريشة حركت أوتارا بهنا   فأنت بالسحر احدى المعجزات . (3)

ومعلوم ان الفنان "فريد الاطرش" سوداوي حزين في فنه ، تنقبض النفس الانسانية لالحانه ولكنها تجد فيها لذة ، فلا تستطيع الاقلاع عن الاستماع وشاعرنا هو أحد أسرى هذا

---

(1) البصائر = 165 ، 1951/07/30 .
(2) أحمد شرفي ، الشعر الوطني الجزائري ، ص187 .
(3) البصائر = 165 ، 1951/07/30 .

الصوت الكئيب ،فلم أجد بدا من الانصات اليه والتجاوب معه ،مما يوحي برهافة حسه ،ورقة شعوره وتذوقه للفن ،وخاصة اذا كان قويا أصيلا .

والحقيقة أن " فريد الاطرش" من المغنيين الموهوبين في الوطن العربي ،وقد استطاع بأصالته ،وتميزه أن يؤثر في جمهور عريض ،أغلبه من الشباب الذي يعاني الازمات العاطفية والعقون كان شابا آنذاك ،يستفزه ما يستفز الشباب ،والموسيقى عند شاعرنا بالاضافة الى كونها تطهر النفس من أدران الآلام فانها أيضا غذاء روحي لها ،ينعشها ويحلق بها في أجواء روحية ويلهمها :

شاعر الالحان ذي أرواحنـــا   في سماء الفن رفت هائمـــات
حلقت في عالم مخضوضـــــر   هزها همس الشفاه الملهمـات
تتلقى الوحي منها شيقـــا   وتعيه بقلوب واعيـــــات.(1)

وهكذا نرى أن الموسيقى تؤدي نفس الوظيفة التي تؤديها الطبيعة عند عبد الكريم العقون - وهو ما نبرر به ادراج هذه القصيدة في شعر الطبيعة - ،وان كان جمال الطبيعة قد استأثر بشغفه ،واستحوذ على اهتمامه دون غيره من صور الجمال في الكون ،فكانت مناظر الطبيعة من أهم الاشياء التي تلفت انتباهه أينما حل ،وقد أتيح له أن يزور المغرب الاقصى ثلاث مرات - كما أسلفنا(2) - ووقف بنهر "الجواهر" الذي يشق مدينة " فاس" ،فجادت قريحته بقصيدة يفتتحها بالقاء التحية ووصف النهر :

" فاس" الجميل تحية فيحاء خالدلها العبيـــر
أبدية تغشى ربوعك في الاصائل والبكـــور
اني حللت بنهرك الرقراق يشدو بالخريــــر
مسترسلا في السير لا يثني خطاه ولا يخـــور

(1) البصائـــر،165،1951/07/30.
(2) انظر الفصل المتعلق بحياة الشاعر،ص 34 ، وقد نظم القصيدة خلال الزيارة الثانية .

شق المدينة تائها بخلوده أبد الدهـــــر
متمايلا نحو سهول الخضر والروض النضـــير
يطفي لهيبا كاد أن يقضي على العشب الخضير
وحنا عليها كي يقبل ثغرها الحلو الطهـــور
فتتيه باسمة مع الاكوان كالطفل الغريـــر
يتلو أهازيج الاماني للكبير وللصغـــير
للطير ،للشفق الجميل ،وللحياة وللصخـــور
للعاشق الولهان يأسو قلبه الدامي الكســير
ويزيح عنه لاعجا قد كاد يعصف بالصـــدور
ويهز أوتار القلوب البائسات من الســـرور
فتصير تطفح بالاماني المائجات مع الشعـــور. (1)

وقد يخيل الينا في البداية أن الشاعر سيقدم لنا عدة لوحات عن مدينة فاس الاثريـــة فيطوف بنا أحياءها العتيقة ،ويعرج على أزقتها الضيقة ،ومعالمها التاريخية ،ولكن لم نر منها سوى نهرها . والسؤال الذي ينبغي طرحه هنا : لماذا لم ير الشاعر من المدينة الا نهرها ؟ . وللاجابة عنه يجب أن نعرف بادئ ذي بدء أن "العقون" له اهتمام خاص بالانهـار حيث نجد من مجموع شعره في الطبيعة –على قلته– ثلاث قصائد في وصف ثلاثة أنهار هي نهر" بني الغدير" ،ونهر" الجواهر" بفاس ،ونهر" قراية" ببجاية ،ونحسب اهتمام الشاعـر هذا راجع الى كونه قد قضى طفولته في قريته التي هي عبارة عن منخفض يتوسطه نهر هادئ جميل ،وعلى ضفاف هذا النهر نسج ذكريات الصبا اللطيفة ،ثم هاجر قريته طالبا للعلم ،وهجر معها مرقد ذكرياته حيث أمضى بقية حياته بالمدينة ،فكان اذا شاهد نهرا تبادرت أحلام ا[illegible] الذكرى الى ذهنه فيأخذ في الوصف ،والتذكر ،والشكوى ،والتعويض عن الحرمان .

(1) البصائـــر ،181 ،1952/01/21 .

واذا صح هذا الرأي عرفنا سر اعجاب شاعرنا بنهر "الجواهر" دون غيره من أنحاء مدينة "فاس" العريقة والثرية بالمناظر الخلابة .

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه سابقا ، وأن هذه القصيدة لا تختلف كثيرا عن قصيدته في نهر "برج الغدير" التي تحدثنا عنها من قبل ، والتي رحنا نتلمس فيها روح "الشابي" ، فوجدنا شخصيته طاغية عليها من جميع الوجوه ، ولعله من المفيد أن نذكر هنا أن تلك الروح تسري في هذه الابيات أيضا ، وليس من الصعب — فيما نزعم — التدليل على ذلك ، فالقاموس اللغوي والموسيقى ، والصور ، والاخيلة ، والمعاني والافكار التي نلمحها كلها مما يألفه القارئ عند أبي القاسم الشابي .

والمهم أن أول مايلفت انتباهنا في الابيات المتقدمة هو الوصف التسجيلي لمياه النهر في سيرها نحو المصب وهي تقطع المدينة الجميلة ، وتروي الاراضي الخصبة ، ويخلع الشاعر — كعادته — على النهر صفات الانسان من حسية وحركية ، مضفيا عليه نزعة انسانية حينما يشبهه — وهو يغمر الحقول والسهول فيطفئ ظمأها — بالاب الحنون الذي يقبل ثغور صبيته ، فيزداد تألقهم ، وتعلو الفرحة وجوههم ، وتكبر آمالهم ، وهذه الالتفاتة قلما نجدها عند الشاعر ، بل عند غيره من الشعراء الجزائريين المعاصرين له ، وهي بحق تنم عن شاعريته وانسانيته ، ودقة ملاحظاته وبعد خياله .

ولم تتغير نظرة الشاعر الى الطبيعة ، فهي دوما مصدر الهام ووحي للفنانين ، ومنبع خير وعطاء للبائسين والمحرومين .

وهكذا نلاحظ تطورا ملموسا في شعر الطبيعة عند "عبد الكريم العقون" ، بل ان أفكاره تبقى سائرة في خط أفقي من البداية الى النهاية . ولكننا نلحظ مع ذلك تطويرا في الموقف والنظرة ضمن القصيدة الواحدة في بعض الاحيان ، كهاته التي بين أيدينا ، حيث رأيناه في البداية يقف موقفا انفصاليا من الطبيعة ، يرقبها عن بعد ويسجل ملاحظاته ، ثم يستأنس بها ، ويأخذ في الاقتراب منها ، الى أن يكاد يندمج فيها كما نرى في المقطع الذي يتألم ويتفجع فيه متضرعا

الى الطبيعة حتى تمسح جبينه المعروق ،وتعطف على قلبه الولهان :

نهر الجواهر هذه أنات قلب مستطـــير
هدته أوجاع الحياة فخف نحوك يستجـير
فاعطف عليه وغنه لحنا كأنغام الطيـــور
فلعل لحنك يمسح الاشجان والداء العسير.(1)

ولعله قد تبين لنا الآن أن قصيدة الوصف عند " العقون " اما أن تكون مستقلة ،أو تأتـي في شكل أبيات من قصائد ذات مضامين وطنية أو قومية — وهي ظاهرة غلبت على شعر الطبيعة عند الشعراء الجزائريين جميعا ،حيث كان الواحد منهم ((حريصا كل الحرص على أن يربط هذا الوصف بمشاعره الوطنية ،حيث ينساق الى وصف خارجي لمشاهد الطبيعة الجزائرية ،يلفت اليها نظر المتلقين ،تلامذة في المدارس،أو عامة على صدر الصحف)) —.(2) وقد يمزج " العقون " بين الوصف والحديث عن الامجاد التاريخية التي تحتضنها الطبيعة الموصوفة لنفس الغرض أيضا كما هو الحال في قصيدة "بجاية" التي يبرز في مقدمتها سبب زيارته لهذه المدينة التاريخيـة قائـــلا :

بجاية نبع العلا والعظـــم ومثوى جدودي هداة الامـــم
أتيتك تحدوني الذكريـات لماض مجيد تحدى العـــدم
أغر جميل الرؤى خالـــدا (3) يلوح لنا كالسنا في الظلـــم.(4)

ثم يشرع في وصف آثار " عاصمة الحماديين " ومعالمها التاريخية بقوله :

---

(1) البصائـــر، 181، 1952/01/21.
(2) د. محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص 355.
(3) كذا في الاصل ،وهو خطأ نحوي ،والصواب " خالد " لانه نعت لـــ " ماض ".
(4) البصائـــر، 295، 1954/12/03:

مآثر شاخصة للعيــــان مدى الدهر تبقى ولا تنعـــدم
تبدت لعيني على أفقها ملا مح من عزها المنصـــرم
يعانقها من رقيق الغمام وشاح موشى به تلتثـــم
ويحرسها من رواسي الجبا ل كل رفيع الذرى والقمـــم
توسدت السفح في عـزة يطوقها كل طود أشـــم
ومن بينها قد بدا ساخرا "قراية" من تحول الخطب ألـــم
وملالة ملتقى الاسد مــن رجال العروبة أهل الذمـــم
بها دفن الثلج جيش العدى وذاق صنوف الردى والالـــم. (1)

ولا غرو في أن تحوز هذه الآثار اعجابه، لان الرغبة في مشاهدتها هي التي حدت بــه لزيارة المدينة، ولكنه مع ذلك اكتفى من تلك الآثار بالحديث عن خلودها، وما توحي به من عزة منصرمة، وعن موقعها الحصين الذي يدل على دقة التخطيط، وحسن اختيار مواقع التمديـن دون الاشارة الى نوعية هذه الآثار، وما لحقها من خراب على يد الانسان والطبيعة، والــى أوصافها وأحجامها، وما تعج به من آيات الجمال والفن، وما تدل عليه من حضارة، وحســن صناعة وتقدم علمي، بل مر مرورا سريعا، وكأني به قد استعجل الحديث عن نهر "قراية" الذي يمر بالقرب من المدينة، والذي سبق أن أشار اليه خلال هذا المقطع، ثم رسم له لوحة خاصــة فيما بعد:

بجاية كم شاعر مبـــدع تغنى بحسنك عذب الكلـــم
وهام بواديك مستلهمـــا خريرا كترتيل شعر نظـــم
بدا هائما بين تلك الربا يدغدغ أحراجها من أمـــم
تدفق لهفان في نشـــوة طوى السهل في سيره المزدحم
على ضفتيه غصون الكـــروم تداعبه في حفيف النســـم

(1) البصائـــر، 295، 1954/12/03.

غدا يتدافع في سـيره .. حدته الطيور بأحلى النغم
وقد أنصت الغاب في لهفة يهدهده نغم منسجم
وأسرع للبحر في ركضه يصافح منه العباب الخضم
دنا نحوه خاشعا مطرقا ليلثمه شوقا به يضطرم
وعانقه البحر جم الحنان عناق أخ لاخ قد قدم
فأحبب به منظرا رائعا يداوي الكلوم ويشفي السقم.(1)

ولا حاجة لنا ــ فيما نظن ــ الى البرهان على مقدرة " العقون " في الوصف وبراعته في التصوير، وما يملكه من خيال واسع، حيث أظهر لنا النهر وكأنه عريس محاط بموكب، يسير في خيلاء وزهو، وكله لهفة وشوق للقاء الاخبة.

ونحسب أنه في وصف " قراية " كان أكثر توفيقا من وصفه لنهر " الجواهر " ونهر " برج الغدير " ، ولعل ذلك يرجع أساسا الى ابتعاده عن التقليد الذي لمسناه في القصيدتين السابقتين، والى كونه قد اكتسب تجربة أكثر، ويتبدى هذا النجاح ــ الذي نزعم أنه حققه ــ في هذا النمو الداخلي في الابيات، حيث تخلص الشاعر من الدوران في حلقة مفرغة، والتراوح في دائرة مغلقة، اذ كان يصب اهتمامه على حشد الصور المتشابهة والمكررة في بعض الاحيان وينساق وراء العبارات التي تحقق جوا موسيقيا ، بغض النظر عما تشتمل عليه من معاني ، ولكن لا يفهم من ذلك أنه أدخل تغييرا جذريا على قصيدة الطبيعة، وأنه حاور معانيها، وغير موقفه من الطبيعة، اذ ما تزال لديه متحركة حية ، فهو لا يحلو له الحديث عنها وهي جامدة ، بل يعمد الى نفخ الحياة في عناصرها ، حتى اذا ما أصبحت ناطقة راح ينصت اليها ويترجم عنها ، فينقل أحاديثها ويصور تفاعل أجزائها فيما بينها ، ولكنه لا ينغمس فيها ، ولا يشاطرها أطراف الحديث ولا يحاول أن يذوب فيها ليصبح جزء منها ، شأنه في ذلك شأن اخوانه الشعراء الجزائريين

(1) البصائر، 295، 1954/12/03.

الذين ((لم يناموا بين أحضانها ،وانما حيوها من بعيد تحية رقيقة محتشمة)) كما يرى الدكتور عبد الله ركيبي .(1)

تلكم هي نظرة الشاعر عبد الكريم العقون الى الطبيعة ،والتي ظلت مستقرة في جميع القصائد فكان يرى في الطبيعة مصدر عزاء وسلوى وينبوع الهام ووحي ،وحصنا منيعا يهرع اليه عند الشدة وذلكم هو موقفه منها والذي بقي متأرجحا بين الاقتراب منها ،والوقوف خارج أبوابها ،ونظن أنه لن تكتمل لدينا صورة شعره الذاتي الا بالنظر في جوانبه الاخرى ،كموقف الشاعر من المرأة الذي سنعالجه في العنصر الثاني من هذا الفصل .

ثانيا : الغـــــزل .

لعل فن الغزل هو النمط الشعري الوحيد الذي ظلت سوقه رائجة على مر العصور ،ولعله الغرض الذي لم يستطع أي شاعر عربي ـ مهما كانت نزعته ومذهبه ـ أن يتخلص منه منذ الجاهلية والى يومنا هذا . ولم يشذ الشعر الجزائري الحديث عن هذه القاعدة ،ولم يفر الشعراء الجزائريون من هذا القدر المحتوم ،وان كانوا قد تغزلوا بطريقتهم الخاصة ،الا أن دارسي هذا الشعر يكادون يجمعون على أن الغزل فيه ضعيف ،كما بشكل لافت للنظر.(2)

(1) د . عبد الله ركيبي ،دراسات في الشعر الجزائري الحديث ،ص54 .

(2) من هؤلاء : الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي يقول : ((وأكبر ظني أن الشعراء بالعربية قد تناولوا الغزل أيضا ،ولكن في حدود ضيقة ،وباحتشام كبير ،غير أنهم لم يجرؤوا على نشره في الصحف أو اذاعته على الناس)) . دراسات في الادب الجزائري ،ص76 .
والدكتور عبد الله ركيبي الذي يقول : ((مما يلفت نظر الدارس للشعر الجزائري الحديث خلوه من الحديث عن الحب والغزل ،فمن النادر جدا أن تجد أكثر من قصيدة لشاعـــــر جزائري حديث يحدث فيها عن صباباته ،أو أحلام شبابه)) . انظر : دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ،ص75 .
ومحمد الطمار الذي قال : ((... وخلا الشعر من الغزل أو كاد)) . انظر : تاريخ الادب الجزائري ،ص343 .
والدكتور أحمد شرفي الذي قال : ((ظل عنصر المرأة مفقودا بسبب ميل المجتمع الـــــى المحافظة)) . الشعر الوطني الجزائري ،ص177 .

ولعل ذلك الحكم الذي شاع،وبقي سائدا الى يومنا يعود أساسا الى أننا بدأنا ندرس هذا التراث الادبي قبل جمعه وتحقيقه ،فمن المعلوم أن معظم الشعر الجزائري لا يزال حبيس الجرائد والصحف ،وأن كثيرا من الشعراء لم يتولوا جمع أشعارهم (1)،أو لم يتسن لهم ذلك (2) ومن هنا فقد انصبت معظم الدراسات التي ظهرت لحد الآن على بعض المجموعات الشعرية المطبوعة ،وبعض القصائد التي توفرت عليها الصحف المتأخرة القريبة من أيدي الباحثين مثل جريدة البصائر.(3)

وليس الغرض من هذه الملاحظة هو التقليل من أهمية تلك الدراسات،أو الحط من شأنها فان لكل منها ظروفها الخاصة التي أعدت فيها ،ويكفي أنها مهدت الطريق ،وأحرزت فضل الريادة .

وقد حاول الدارسون تعليل هذه الظاهرة ،والبحث عن أسبابها ،كالدكتور عبد الله ركيبي الذي أرجع سبب كبت عواطف الشعراء الى ((البيئة الصارمة التي يعيش فيها الشاعر ،هذه البيئة التي تعتبر الحديث عن مثل هذه العاطفة ضربا من الخروج عن التقاليد والعادات)) .(4)

أما الدكتور أبو القاسم سعد الله فيضيف الى سلطان العادات والتقاليد أسبابا أخرى هي الجو الثقافي الجاف ،والتركيب السيكولوجي للفرد الجزائري آنذاك ،الذي يعاني عدة أزمات

---

(1) مثل الطاهر بوشوشي ،وحسن حموتن،والشبوكي ،وغيرهم ممن هم على قيد الحياة .

(2) نذكر منهم : محمد الصالح خبشاش(ت، 1939) ،محمد الامين العمودي (ت، 1957) الربيع بوشامة (ت، 1959) ،عبد الكريم العقون (ت، 1959) ،وغيرهم ممن تخطفهم الموت قبل الاستقلال .

(3) يستثنى من هذه الدراسات دراسة الدكتور محمد ناصر الموسومة بـ "الشعر الجزائري الحديث" ،اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925 ـ 1975) ،ولكنها ـ كما يظهر من العنوان ـ لم تتعرض للمضامين الا عرضا ،وهناك الآن اهتمام كبير بالشعر الجزائري في نطاق الدراسة الاكاديمية ،وقد علمنا أن أحد الطلبة يعد أطروحة حول الغزل في الشعر الجزائري ،بمعهد اللغة والادب العربي (جامعة الجزائر) .

(4) د . عبد الله ركيبي ،دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ،ص76 .

نتيجة لقسوة الطبيعة من ناحية ،وقسوة الحياة من ناحية أخرى ،بالاضافة الى الجفاف النفسي بالاضافة الى الجفاف النفسي والاجتماعي ،وعامل المهنة ،حيث كان الشعراء في الغالب مدرسين ووعاظا وأئمة ،ولا ينتظر من شاعر ذلك ظاهره أن يتماجن ويعبث ويتغزل (1)

أما الدكتور صالح خرفي فيرى بأن ((النزعة الوجدانية الغزلية في الشعر الجزائري عاشت حبيسة عاملين متضافرين : المأساة الاستعمارية ،والتقاليد القومية)). (2)

ومهما اختلفت آراء النقاد أو اتفقت حول أسباب استتار الغزل في الشعر الجزائري ،الا أن المؤكد هو أن الشعراء قد تغزلوا وعبروا عن عواطفهم ،ولكن عامل النشر حال دون تعرفنا الى هذا الشعر بصورته التامة ،مع أن بعضهم تجرأ ونشر بعض القصائد ،كشاعرنا عبد الكريم العقون الذي نشر قصيدتين في حدود علمنا ،وله بالاضافة الى ذلك قطعة من أربعة أبيات ونتفتان اشتملت كل منهما على بيتين ، وهكذا بلغ مجموع شعره الغزلي ثمانية وخمسين بيتا وهي كمية قليلة جدا اذا ما قورنت بما لديه من شعر وطني أو قومي ،وحتى بالنسبة لشعر الطبيعة .

ونحسب أن ذلك يرجع الى كون هذا الشعر غير صادر عن معاناة حقيقية ،ولكنه نتاج المحاكاة والتقليد ،والحقيقة أن الشاعر — كما عرفنا من حياته — لم يعان حرمانا عاطفيا على ما يبدو ،فقد تزوج في سن الشباب كما يتزوج أبناء مجتمعه ،وأنجب أطفالا ،وعاش حياة عادية مستقرة ،وما دام الامر كذلك ،فاننا لا ننتظر منه مستوى شعريا رفيعا في ميدان الغزل .

---

(1) د . أبو القاسم سعد الله ،دراسات في الادب الجزائري الحديث ،ص 73 — 77
وما ذهب اليه الدكتور سعد الله من " أن قسوة الطبيعة الجزائرية قد ساهمت في قلة شعر الغزل " رأي قابل للنقاش ،لان هذا الفن لا يحتاج الى بيئة مترفة وذات مناخ معتدل حتى ينمو ويزدهر ،ولنا في بيئة الجاهليين خير مثال على ذلك ،حيث لم يمنعهم شظف العيش ،وقسوة الحياة الصحراوية من التغني بحبهم .

(2) د . صالح خرفي ،الشعر الجزائري الحديث ،ص290 .

ونظن أن هذا المطلع هو أحسن قسم في القصيدة ،ولعل الشاعر نفسه لم يكن راضيا الا عن هذه الابيات، ولذا أهمل غيرها عندما جمع شعره في ديوان .[1] ونلاحظ أنه يرى فتاته صورة للجمال المطلق المتكامل ،ولكن على الرغم من تظاهره بالتسامي عن غرائزه ،حيث ظل يضطهدها ،ويكبتها خلال هذه الابيات،الا أنه لم يلبث أن فقد السيطرة عليها فانقلبت نظراته مادية ،ولم يبق أمامه سوى الاعتراف بنشدان فتنة الجسد .

قد سبتني بحسنها . وخصال تجمعت
ورمتني بلحظها وهو سيف به سطت
سحرتني بعينها قتلتني وبادرت
وبوجه اذا بدا مثل شمس اذا بدت
وبثديين مثل حقـ ـين قلبي قد سبت
وجبين وفوقه قطع الليل أظلمت.[2]

وعلى هذا النحو يمضي " العقون " في تعداد المفاتن الجسدية لفتاته على طريقة الجاهليين والعباسيين [illegible] فيتحدث عن جمال الخد المتورد ،والثغر المفلج ثم يخلص الى مخاطبتها في استعطاف،،ويقدم لها باقة شعر هي نتاج ذلك الجمال الصارخ الذي ملك عليه مشاعره فيقول :

يا غزالا مغنجا حبه في الحشا نبت
ليس عندي وسيلة غير شعر لقد نحت
فاقبليه هدية فلك النفس قد صبت
من شعور توقدت بالهوى قد تأثرت.[3]

---

(1) الديوان (مخطوط) ،الورقة 9 .
(2) افريقيا الشمالية ،العدد 3 ،ماي 1949 .
(3) نفس المصدر .

وتتضح نظرته الحسية الى المرأة أكثر في قصيدته الثانية "تناديك روحي" ،فرغم أن هذا العنوان يوحي بالطهار والعفة الا أن محتوى القصيد غارق في المادية ،وهي من بين القصائد التي أهملها في ديوانه ،ويبدو أنه لم يكن راضيا عنها أيضا ،يقول في بدايتها :

جمال محياك أسكرنـــــي   وريق ثناياك أنعشـــني
وقدك أغرى فؤادي الطمـو   ح وهز شعوري ،وحركـني
ووجهك كالشمس بادي السنا   يجدد شوقي ويلهمـــني
وردفك اما ترجرج مـــدن   حمامي ،وان شئت أحييتني. (1)

وفي علمنا أنه لم يتجرأ شاعر جزائري آنذاك على التصريح بمثل هذه الاوصاف الحسية ولم تغامر جريدة أخرى —غير افريقيا الشمالية — بالاقدام على نشر مثل هذا الغزل. ويبدو أن المشرفين على هذه الصحيفة كانوا يطمحون الى التحرر من قيود المجتمع وحساسيته تجاه هذا اللون من الادب بصفة عامة ،وكانوا يرغبون في تحطيم الحاجز الذي حال دون تعبير الشعراء عن عواطفهم تجاه المرأة سنوات عديدة ،(2)

ولا تهمنا هنا نزعة الجريدة ونية أصحابها ،بقدر ما تهمنا قصيدة الشاعر ،التي ينتقل فيها بعد تلك المقدمة الى التمسح والتوسل والتعبير عن الحرمان ،والرجاء في تحقيق الوصال بينه وبين الحبيبة :

فجودي بوصل به ينطفـــي   جحيم من الشوق يلذعـــني
وبلي أوامي يا دميـــتي   فغلة صدري تهلكــــني
عهدتك لا تبخلي فارحمـــي   فؤادي فصدك يحزنــــني
فرحماك للبائس المرتجـــي   يدا من نوالك تغمرتـــي

(1) افريقيا الشمالية ،العدد 4 ،ماي 1949.
(2) كان المسؤول عن الجريدة الاستاذ اسماعيل العربي ،ومن الذين كانوا يحررون بها عبد الكريم العقون ،وأحمد رضا حوحو ،وقد توقفت بعد صدور أربعة أعداد .

ورفقا بقلب شجي غـــــدا أسيرا فعفوك يشملـــــني
فيا ليت قلبك يحنو علـــــي ويا ليت أذنك تسمعـــــني
ويا ليت حظي يساعد نـــــي فأحظى بطيفك يطرقـــــني
ويا ليتني نلت ما أشتهـــــي ويا ليت طرفك يرمقـــــني . (1)

ولا شك أن القارئ يلحظ بسهولة النظرة [illegible] للمرأة في قوله : " وبلي أوامي يا دميتي " حيث يجردها من الآدمية ، ويلمس بيسر التناقض الصارخ - في موقف الشاعر - بين وصفه المادي للمرأة ، وما يعمل جاهدا على اظهاره من عواطف سامية نحوها في هذه الابيات، مما يدفعنا الى القول بأن الالحاح على الترفق بالقلب ، وتمني الحظوة بزيارة الطيف ، وما الى ذلك من المعاني التي تتردد في شعر الغزليين ذوي الاتجاه العفيف (ضرب من المغالطة والتمويه)

تلكم هي نظرة " العقون " الى المرأة من خلال هذا النزر القليل من الشعر الذي وضعنا عليه أيدينا ، وقد رأينا بأنه قد جمع بين اتجاهين متضادين في فن الغزل ، وعريقين في تاريخ الشعر العربي ، كما لاحظناه في غزله العفيف رفيع المعاني سامي الروح ، صور الحبيبة فيــــه جنة من الراحة والطمأنينة ، ومصدرا من مصادر الوحي والالهام ، مثلما صور الطبيعة من قبـــل في حين لم يرق غزله الحسي الى مستوى هذا الفن قديما أو حديثا ، وقد أدى بنا هـــــذا التضارب في الموقف ، وضعف المستوى الشعري أحيانا الى التشكيك في صدق التجربة ، وصحـــة المعانــــاة .

---

(1) افريقيا الشمالية ، العدد 4 ، ماي 1949 .

الفصل الخامس

الخصائص الفنية

أولا : بين اتجاهـــين .

اعتاد الدارسون للشعر الجزائري الحديث تقسيم هذا الشعر الى ثلاث اتجاهات هـي الاتجاه التقليدي المحافظ ،الاتجاه الوجداني الرومانسي ،الاتجاه الجديد (الشعر الحر).(1)

وقد اعترف الدارسون جميعا بتداخل هذه الاتجاهات زمنيا ،بحيث لا يمكن تحديد تاريخ معين لبدء وانتهاء كل منها ،كما لاحظوا جمع معظم الشعراء بينها أو بين اثنين منها على الاقل وخاصة جمعهم بين الاتجاه التقليدي ،والاتجاه الوجداني لاسباب ،منها تعاقبهما تاريخيا .

وعبد الكريم العقون هو أحد الشعراء الذين تنطبق عليهم هذه الصفة كثيرا فقد كتب في اطار المحافظة والتقليد ،كما نظم ضمن الوجدانية التي تصل في شفافيتها الى حد الرومانسية غير أن الملاحظ هو أنه لم يبدأ شاعرا تقليديا محافظا لينتهي وجدانيا ورومانسيا ـ كما قـــد يتبادر الى الذهن ـ أو العكس ،ولا يمكن تمييز مرحلتين بارزتين في شعره ،بل ان الحاصل هـو خلطه بين الاتجاهين ،فعلى الرغم من كونه قد نبغ بعد الحرب العالمية الثانية ـ وهي الفترة التي كادت السيادة فيها (بالنسبة للشعر الجزائري) تؤول الى الاتجاه الوجداني الذي طغى واستفحل أمام تراجع التيار المحافظ ـ الا أنه كان يمزج بين التيار المحافظ والتيار الوجدانـي حتى ضمن القصيدة الواحدة ،الا أن الحقيقة التي اغفالها هنا هي أنه لم يكن وحـده المتأرجح بين هذين التيارين ،فقد كان ينهل من النبع الذي يرتوي منه معظم معاصريه من الشعراء الجزائريين الشباب الذين ظهروا في تلك الفترة،(2) وقد نبه الدكتور محمد ناصر الى ذلك حين قال : ((ان أغلب الشعراء الجزائريين وهم يتجهون اتجاها وجدانيا ذاتيا لم يستطيعـوا التخلص من سمات القصيدة العربية القديمة ،فنجد عند الشاعر الواحد خلطا عجيبا في التصوير نجد عنده صورا متأثرة بالادب المهجري وجماعة أبولو ،ونجد عنده الى جانبها صورا أخـرى

---

(1) في مقدمة تلك الدراسات ،دراسة الدكتور محمد ناصر الموسومة بـ" الشعر الجزائري ..."
(2) مثل الربيع بوشامة ،وحسن حموتن ،وأحمد سحنون ،ومصطفى بن رحمون ...الخ

تقليدية محضة تتنفس في أجواء القصيدة الجاهلية)) (1)

ولعل ليس من الضروري محاولة تعليل هذه الظاهرة عند جميع الشعراء الجزائريين،لان موضوع الدراسة لا يتسع لذلك ،وليس من الضروري أيضا التعمق في البحث عن أسباب ذلك الخلط بين اتجاهين مختلفين عند شاعرنا حتى لا يطول الحديث ،ولكن لا بأس من الاشارة الى أن التقارب بين الاتجاه المحافظ والاتجاه الوجداني ،وتواليهما كانا من بين الاسباب التي دفعت عبد الكريم العقون الى الخوض فيهما معا في آن واحد ،يضاف الى ذلك ثقافته التي يتجاذبها مصدران هما :الموروث السلفي ،والتآليف الحديثة في الادب والنقد ، وسبب آخر يبدو أكثر اقناعا وهو عدم اطمئنان الشاعر الى الاتجاه الوجداني ،وتحرزه منه شأن كل جديد طاريء ،فروح المحافظة المسيطرة على جميع جوانب الحياة في المجتمع الجزائري كانت تقف حائلا دون احتضان الجديد،والارتماء في أحضانه كلية .

ولكن اذا كان من غير الممكن تحديد ملامح تطور التجربة الشعرية عند عبد الكريم العقون فانه من الممكن ــ فيما نظن ــ تصنيف شعره ضمن الاتجاهين السابقين بسهولة ،ونظرة واحدة الى القصائد التي تمكنا من جمعها تجعلنا نضع أيدينا على الاتجاه الذي نظم تحت تأثيره كل قصيدة ،بل انه ليس من العسير التميز بين القصائد الوجدانية ،والقصائد ذات الصبغة التقليدية المحافظة ،وليس من المبالغة في شيء اذا قلنا ان القصائد ذات المضمون الوطني والقومي تنضوي تحت التيار المحافظ ،في حين يمكن ادراج القصائد التي ينزع فيها الشاعر نزعة ذاتية تحت التيار الوجداني . وعناوين القصائد وحدها توحي لنا بذلك ،فـ" ذكريات وعهود " " يارفيقي،" " ياشعر " ،تناديك روحي"، وغيرها تدل بوضوح على الذاتية ،وتشير الى النغمة التي صب فيها المضمون ،وكذا الحال فيما يتعلق بالشعر ذي المضامين الوطنية أو القومية التي يصدر فيها الشاعر عن الحس الجماعي ،وينحو فيها منحى موضوعيا .

والسؤال المطروح هو ما السبب الذي جعل الشاعر محافظا في شعره الوطني والقومي ،وجدانيا

(1) د . محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،ص389 .

وجدانيا في شعره الذاتي ؟

وللاجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نعرف في البداية أنه من البديهي أن تكون الموضوعات الذاتية من أهم مجالات النزعة الرومانسية الوجدانية ، لان الشاعر فيها ينطلق من مشاعره الخاصة ، وتكون نفسه هي محور الدفقة الشعورية ومنبعها ، مما يدعو الى الانصباب الوجداني واذا صح ذلك فانه لاغرو أن تكون القصائد الذاتية لعبد الكريم العقون — كما لغيره من الشعراء — وجدانية المنزع ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فاننا نزعم أن العقون في أشعاره ذات المضامين الوطنية أو القومية انما كان محافظا استجابة منه لروح المحافظة التي كانت تحكم مجتمعه ، فمن الطبيعي أن يخاطب أفراد المجتمع — وهو الذي ألزم نفسه بقضاياهم — بما يلائم ذوقهم ، وما تستسيغه آذانهم .

وسنحاول فيما يلي ابراز جوانب المحافظة والتقليد ، وجوانب الوجدانية الرومانسية في شعر عبد الكريم العقون من خلال تناولنا للقضايا الفنية في هذا الشعر ، ونعني بذلك التشكيل الموسيقي ، واللغة الشعرية ، والصورة الشعرية ، والبنية العامة للقصيدة .

ثانيا : التشكيل الموسيقي .

يعتبر الايقاع الموسيقي أهم مقومات القصيدة العربية على الاطلاق ، لذا كان الحاح النقاد على هذا العنصر في العملية الابداعية كبيرا ، وكان اهتمام الشعراء به يفوق جل اهتماماتهم ولا أدل على ذلك من أن الموسيقى تعد الى اليوم أهم فارق بين الشعر والنثر. (1)

وقد اعتاد النقد الحديث التعرض لموسيقى القصيدة الشعرية من زاويتين مختلفتين ، وعلى مستويين متباينين هما : مستوى الداخل ومستوى الخارج ، أو الموسيقى الداخلية ، والموسيقى الخارجية .

---

(1) د . ابراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مكتبة الانجلو مصرية ، ط/3 ، 1965 ، ص14 .

واذا كان اجماع النقاد واقعـا على أن الموسيقى الخارجية تتأتى من عنصرين هما الوزن والقافية ،فان الخلاف بينهم حاصل حول تحديد ماهية الموسيقى الداخلية والعناصر المكونة لها ،وهل هي ناتجة عن تقارب مخارج الحروف وتجانسها داخل اللفظة الواحدة ،أم عن تآلف الالفاظ داخل العبارة الشعرية ،أم أن هناك شيئا آخر يولد النغم الموسيقي ،ويعطي جرسا معينا للجملة الشعرية ؟ ولكل رأيه وحججه التي يدافع بها عن رأيه .

ونحن لا يعنينا من هذه القضايا كلها الا ما يتصل بموضوعنا ،ولسنا بصدد استعراضها لمناقشتها ـ وان كانت قابلة للنقاش وابداء الرأي ـ والذي يهمنا منها أننا على ضوئها سنتعرض لدراسة التشكيل الموسيقى في شعر عبد الكريم العقون .

وقد نظم العقون شعره على سبعة بحور[(1)] من مجموع البحور الخليلية البالغ عددها ستة عشر بحرا ،ومعنى ذلك أنه استخدم ما يقارب نصف تلك البحور ،وهي نسبة عالية ،خاصة اذا علمنا أن بعض البحور مهمل أو قليل الاستعمال في الشعر العربي منذ القديم ،[(2)] واذا ما قورنت بمجموع البحور التي وظفها الشعراء الجزائريون في العصر الحديث[(3)] الا أن نسب هذه البحور متفاوتة في شعر العقون ،اذ يحتل بحر الطويل المرتبة الاولى بنسبة 16 ،24٪ وعدد من الابيات يقدر بـ 320 بيتا ،ويليه الرمل ،والخفيف بنسبة 88 ،22٪ ،وعدد من الابيات يقدر بـ 303 أبيات لكل منهما ،منها 218 بيتا تاما ،والباقي وعدده 85 بيتا مجزوء ،أما المرتبة

---

(1) هي على الترتيب باعتبار نسبها : الطويل ،الرمل ،والخفيف ،المتقارب ،الكامل ،المجتث الوافر .

(2) مثل المضارع ،والمقتضب ،والمنسرح ،والمتدارك .

(3) يرى الدكتور محمد ناصر ((أن ثمانية بحور هي التي كانت تستحوذ على اهتمامات الشعراء العموديين ،تتابع حسب اقبال الشعراء عليها ... وهي الكامل ،الخفيف ،الرمل ،البسيط الطويل ،المتقارب ،الوافر ،والرجز ،ثم تهبط هذه النسب المئوية في البحور الباقية وهي المجتث ،المتدارك ،الهزج ،السريع ،المنسرح ،المديد ،أما المقتضب والمضارع فهما بحران لم يحضيا ببيت واحد من الشعراء الجزائريين ...)) . انظر الشعر الجزائري الحديث ،ص 180 ،181 .

الرابعة فقد آلت الى المتقارب الذي بلغ عدد أبياته 230 بيتا ،وبلغت نسبته 37 ، 17٪ في حين كانت المرتبة الخامسة من نصيب الكامل الذي لم تتعد المئة بيت ،وبذلك كانت نسبته المئوية 55 ، 07٪ ،ولم يتجاوز عدد أبيات المجتث 37 بيتا ،ونسبته 79 ، 02٪ ،فاحتل المرتبة السادسة ،أما الوافر فانه لم ينظم عليه سوى 31 بيتا ،ولم تتعد نسبته 34 ، 02٪ ،وبهذا استحق المرتبة الاخيرة (1) .

ومن خلال هذا الوصف لصور البحور عند الشاعر نخرج بملاحظات،وتستوقفنا عدة ظواهر منها :

1 ــ أنه نظم في جل البحور المتداولة بين الشعراء الجزائريين آنذاك .

2ــ أنه أهمل البسيط ،فلم ينظم فيه بيتا واحدا مع أنه من البحور التي كان لها حظ وافر في الشعر الجزائري الحديث ،اذ ((يحتل المرتبة الرابعة من بين البحور المستعملة من طرف الشعراء الجزائريين)) .(2)

3ــ ان الشاعر ميال الى البحور القصيرة ،والاوزان المجزوءة ، وقد لاحظ الدكتور محمد ناصر ذلك ،ودل عليه بقوله : ((غير أن الاقبال على البحور المجزوءة أخذ يتزايد تزايدا ملحوظا من طرف الشعراء ذوي الاتجاه الوجداني ،ولا سيما في الاربعينيات ،ومن بعدها ،فمن مجموع اثنتي عشرة قصيدة جمعناها لعبد الكريم العقون نجد ست قصائد من مجزوء الكامل ،ومجزوء الخفيف))،(3) وبذلك يعتبر العقون من الشعراء الجزائريين الذين تمردوا على الاوزان الثقيلة ذات التفعيلات العديدة ،والمقاطع الكبيرة ،والتي لقيت اهتماما خاصا لدى الشعراء الاصلاحيين ظنا منهم أنها تناسب أكثر من غيرها " الموضوعات الجادة " تبعا لملاحظة العروضيين القدامى

---

(1) انظر توزيع الاشعار على البحور ،وكذا النسب المئوية في جدول البحور ،ص 170 .

(2) د . محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،ص194 .

(3) نفس المصــــدر ،ص198 .

المتعلقة بتصنيف البحورعلى أساس الموضوعات الشعرية ،وما احتلال الرمل المرتبة الثانية بنسبة 22،88٪ وبثمان قصائد ،وثلاث قطع ،ونتفة ،موزعة بين تامة ومجزوءة ،وكذا احتلال الخفيف نفس المرتبة باحدى عشرة قصيدة ،ونتفة ،وبنسبة 22،88٪ ،والمتقارب المرتبة الرابعة بتسع قصائد وبنسبة 17،37٪ الا دليل على ذلك؛

4 ـ بالرغم من الملاحظة السابقة نجد الطويل ـ وهو من فصيلة البحور المعروفة بثقل ايقاعها وكثرة تفعيلاتها ،حيث يعتبر أغزرها حركة وسكونا ـ يحتل المرتبة الاولى ،اذ نظم عليه الشاعر عشر قصائد ،ومعنى ذلك أن الشاعر قد آثر هذا البحر وحده دون سواه من بحور دائرة المختلف ،وان اهتمامه به كان في مستوى اهتمامه بالاوزان الخفيفة ،والبحور المجزوءة • فلماذا آثر العقون الطويل هذا الايثار كله ،وأهمل البسيط والمديد اللذين ينتميان الى دائرته ؟ ،وفي اعتقادنا أن الاجابة عن هذا السؤال تتطلب منا النظر في نوعية الاشعار التي نظمها في هذا البحر،لان الذي لا شك فيه هو أن عبد الكريم العقون متأثر بمنطق العروضيين القدامى الذين يحددون لكل بحر مجاله ،وموضوعاته التي يصلح لها دون غيره من البحور،حيث يصنفون البحور تبعا للاغراض الشعرية المتداولة بين الشعراء ،وبناء على نمط الايقاع الموسيقي الذي يختص به كل بحر،(1) ومن هنا كانوا يحبذون مثلا أن تنظم أشعار الغزل واللهو والغناء في البحور الخفيفة والقصيرة ،في حين اقترن الطويل عندهم بما يسمونه " الموضوعات الجادة " كالفخر والمدح والرثاء واذا صح هذا الزعم ،وسلمنا بتعلق شاعرنا بفكرة العروضيين هذه أمكننا حل الاشكال،ذلك أن القصائد التي نظمها في البحر الطويل هي قصائد ذات موضوعات وطنية أو قومية لا غير •

وقد رأينا فيما سبق(2) التزام الشاعر الكبير بقضايا وطنه وأمته ،وأسبقية الذات الجماعية عنده

---

(1) انظرعلى سبيل المثال :حازم القرطاجني ،منهاج البلغاء وسراج الادباء ،تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ،دار الكتب الشرقية (تونس) 1966 ،ص205و 266؛
وانظر أيضا :د • عز الدين اسماعيل ،التفسير النفسي للادب،دار العودة ودار الثقافة (بيروت) ،بدون تاريخ ،ص58،59•

(2) انظر الفصلين المتعلقين بالاتجاه الوطني والاتجاه القومي من هذا البحث •

على الذات الفردية الى درجة يمكن القول معها : ان الشعر الوطني والقومي عنده ، وحده الذي يصلح أن نطلق عليه " شعرا جادا " ،لذا صبه في بحر يناسبه - في رأيه - هو البحر الطويل - ،ونظرة واحدة على عناوين تلك القصائد التي جاءت على هذا البحر تكفي للتأكد من ذلك مثل : ذكرى شكيب أرسلان ،تحية العام الهجري ،تحية عبد الكريم الخطابي ، بني العرب هذا يومكم ،برغمك فارقت الصحاب ،كما أنت بالذكر الجميل مخلد ،أخيرية العقبي لا زلت ملجأ الخ ..

ومن بين تلك القصائد الشعرية ،نجد ثلاثا في رثاء العظماء ،وثلاثا في المدح ،والرثاء - بالمدح - كما سبقت الاشارة اليه - من الموضوعات الجادة عند القدماء .

والعقون في هذا شأنه شأن الشعراء الجزائريين الذين كان لهم اهتمام خاص بالبحر الطويل ، ((وقد تدل هذه المكانة للبحر الطويل عند هؤلاء الشعراء على مكانة الشعر العربي القديم من نفوسهم ،وتمكنه من ثقافتهم الشعرية)) [1] لا سيما وأن ((ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن)) [2]

5 - وملاحظة خامسة لا بد من ايرادها هنا وهي أنه من مجموع البحور السبعة التي استعملها الشاعر ،نجد نسبة مرتفعة فيها من البحور الصافية مثل : الرمل والكامل والمتقارب والوافر ،ونحسب أن هذا الاستخدام لم يأت عفوا ،وانما قصده الشاعر قصدا ،ولعل السبب في ذلك يرجع الى ما تمتاز به هذه البحور من خصائص موسيقية لا تتوفر في غيرها .

ذلك أن وحدة التفعيلة بها تجعل موسيقاها أكثر رتابة ،حيث تنساب على وتيرة واحدة في البيت الشعري ،عكس البحور التي تتركب من تفعيلتين أو أكثر ،فتكون موسيقاها أكثر توترا وتنوعا ،ولذا يمكن القول ان البحور الصافية تمتاز عن البحور المركبة بالرشاقة والخفة وجودة التنغيم .

ويمكن القول أيضا ان العقون كان يختار البحور التي ينظم فيها ،ويعني بالجانب الموسيقي

---

(1) د . محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،ص 185 .
(2) د . ابراهيم أنيس ،موسيقى الشعر ،ص 59 .

يولي شعره عناية فائقة ،وقد يكون هذا الدافع متمثلا أيضا في سهولة النظم في تلك البحور أكثر من غيرها ،اذ لا يتجشم الشاعر معاناة كبيرة عندما ينتقي بحرا صافيا كالتي يتجشمها اذا استخدم بحرا مركبا من تفعيلتين مختلفتين أو أكثر ،ويمكن ترجيح الرأي الثاني خاصة اذا أخذنا بعين الاعتبار ما ذهب اليه الدكتور محمد ناصر من ظن بأن عبد الكريم العقون ضعيف الثقافة الشعرية (1)

على أن نسبة النظم في هذه البحور الصافية ظلت خاضعة لاعتبارات أخرى عند شاعرنا . فعلى سبيل المثال نجده لم ينظم على الكامل — وهو من البحور الصافية ،والمأثورة عند الشعراء الجزائريين — (2) سوى ثلاث قصائد بمجموعمئة بيت ،وبذلك آل الى المرتبة الخامسة بنسبة 55 ، 7 ٪ .

واذا كان العقون من الشعراء الجزائريين الذين ظهروا في منتصف الاربعينيات ،وهم الشعراء الذين عرفوا باتجاههم الوجداني الغالب ،والذين تأثروا بالمحيط الشعري العربي وتابعوا بشغف كبير طموحات المجددين في الشعر العربي شكلا ومضمونا ،فانه لم يتجاوز التشكيل الموسيقي الموروث لينساق وراء جوانب أخرى تتعلق بتطوير موسيقى قصيدته على المستوى الخارجي كما فعل بعض الشعراء الجزائريين المعاصرين له من الذين تأثروا بحركات التجديد الجماعية والفردية ،وقد رأيناه متأثرا بأبي القاسم الشابي في أشعاره الذاتية ،من حيث الموضوعات

---

(1) د . محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،ص 261 .

(2) يذكر الدكتور محمد ناصر ،أن نسبة الكامل في الشعر الجزائري ذي الاتجاه التقليدي المحافظ تصل الى 80٪ ،ويعلل ذلك بما يمتاز به هذا البحر من خصائص ،كالايقاع الموسيقي الهادي ،الرصين ،وجزالة تفعيلاته واطرادها بتناسب مع الموضوعات الجادة التي كانت من الاهمية بمكان في الشعر الجزائري ،وكذا انتسابه للبحور الصافية بحيث يمكن استخدامه بسهولة ،ولانه يناسب الالقاء والانشاد ،والى فشو هذا البحر في الشعر العربي عامة .
انظر الشعر الجزائري الحديث ،ص 182 ،183 ،184 .

والقوالب الشعرية ، ولكنه لم يحاول — مع ذلك — محاكاة الشابي في تطوير البنية الموسيقية لقصيدته باستخدام نظام الموشحات ، والمخمسات ، والمسمطات مثلا ، واذا استثنينا نشيده " الى شباب الجزائر المناضل " الذي اتبع فيه نظام الموشح ، وجدنا كل قصائده أحادية الوزن والقافية .

ولا بد من الاشارة — بعد هذه الوقفة عند بحور عبد الكريم العقون — الى ما لاحظناه من أخطاء عروضية ، فقد أحصينا له أحد عشر بيتا مكسورا من مجموع 1324 بيتا ، هذا اذا استثنينا الزحافات والعلل التي يتفق عليه العروضيون ، ولم يسلم منها شعر شاعر قديما وحديثا ، فقد لازمت الشعر العربي منذ نشأته ، حتى أعطى لها حازم القرطاجني ميزة احداث التنوع وكسر رتابة الوزن باعتبار أن النفس الانسانية ((جديرة أن تسأم التمادي على الشيء البسيط الذي لا تنوع فيه))(1). ورأى فيها بعض المعاصرين وسيلة لكسر حدة وقع الوزن على الاذن ، وطريقة يوفق بها الشاعر بين حركة نفسه ، والاطار الخارجي (2)

ومن هنا لم نر فائدة ترجى من وراء تتبع الزحافات والعلل في انتاج الشاعر عبد الكريم العقون ، لانها ليست مسألة مقصورة عليه وحده ، ولا تشكل ظاهرة يتفرد بها شعره عن شعر غيره .

وهكذا نكون قد حاولنا تحليل الاوزان الشعرية عند العقون ، وسنحاول فيما يلي دراسة القوافي بالنظر الى أنواعها ، والعوامل المؤثرة فيها ، وطريقة التقفية .

القوافـــي :

اختلف العروضيون — قديما وحديثا — في تحديد القافية ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، فبعضهم يعدها حرف الروي ، وبعضهم يعد البيت كله قافية ، في حين تمسك البعض الآخر

(1) حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الادباء ، ص 245 .

(2) د . عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب ، دار العودة ودار الثقافة (بيروت) بدون تاريخ ، ص 79 ، 80 .

بالتحديد الذي وضعه لها الخليل بن أحمد من أنها المقطع المحصور بين آخر ساكن وأول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن الاول[1]، لكنهم بالرغم من هذا الاختلاف متفقون على أنها شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، وأنها ركن مهم من أركانه، حيث انتبهوا الى أثرهـا الموسيقي وقيمتها الفنية في النص الشعري.[2]

وفي دراستنا لشعر العقون سنستعمل القافية بمعناها البسيط، أي باعتبارها الصوت أو الاصوات التي تتكرر في أواخر الابيات، حيث يمكن أن تكون حرفا أو حرفين أو ثلاثا، وبعبارة أخرى فاننا نعني بالقافية روي القصيدة . وقد جمعنا لعبد الكريم العقون واحدا وخمسين نصا شعريا بين قصيدة وقطعة ونتفة، حيث يتراوح عدد الابيات بين البيتين و 55 بيتا، وكل هذه النصوص موحدة الوزن مطردة القافية، الا نصين جاء أحدهما على شكل مسدسة، والآخر من لزوم مالا يلزم، وقد أخرجناهما من حيز الدراسة .

والذي لاشك فيه هو أن شاعرنا مقل (51 نصا شعريا، من 1938 الى 1955) . ولا شك أيضا أن ذلك سيؤثر على عدد الحروف التي استخدمها قوافي لاشعاره، حيث أنه لم ينظم الا على أحد عشر حرفا من حروف الهجاء العربية، هي على الترتيب حسب تواترها في القصائـــد : الدال والراء والنون والباء والتاء والميم والياء والعين واللام والهمزة والفاء .[3] ومن خلال هذه الاحصائية يتضح لنا أنه لم يستخدم القوافي النادرة والقوافي قليلة الشيوع في الشعر العربي مطلقا، واكتفى باستخدام كل القوافي التي ترد رويا بكثرة في الشعر العربي، ونصف القوافـــي

---

(1) أبو يعلى عبد الباقي بن المحسن التنوخي، كتاب القوافي، تحقيق : د . عوني عبد الرؤوف مكتبة الخانجي، (القاهرة) ، 1975، ص 33 ــ 38 .

(2) من القدامى : ابن طباطبا (. يار الشعر) ، العسكري (الصناعتين) ، ومن المحدثين : البستاني (مقدمة الياذة هوميروس) ، أحمد أمين (النقد الادبي) ، المجـــذوب (المرشد الى فهم أشعار العرب . .) ، ابراهيم أنيس (موسيقى الشعر) .

(3) انظر جدول ترتيب القوافي، ص = 171 .

متوسطة الشيوع ،وأهمل النصف الآخر (السين ،والقاف،والكاف ،والحاء ،والجيم) .(1)

وبتعبير آخر يمكن القول ان العقون قد استخدم كل القوافي الذلل وبعض القوافي النفر وأهمل القوافي الحوش،(2) ومعنى ذلك أنه سار على نهج الشعراء العرب القدامى في اختيار قوافي شعره ،على أن استخدامه لمختلف الحروف ظل متفاوتا ،وهذا التفاوت يجعلنا نتساءل عن سببه فهل هو راجع الى طبيعة الموضوع أم لخصائص الروي أم لشيء آخر؟ .

وبالقاء نظرة على جدول ترتيب القوافي نلاحظ أن الشاعر قد استعمل اللام والهمزة والفاء قواف لخمس نتف لم يتعد عدد أبياتها مجتمعة سبعة عشر بيتا ،ونجد أن الحروف الاثيرة لديه وهي الدال والنون والراء قد ارتبطت بموضوعات وأغراض هامة ،أي بالاشعار الوطنية والقومية وقد استخدم الدال مثلا رويا لثلاث قصائد رثى بها الامام عبد الحميد بن باديس ،وفي ثلاث قصائد في الاشادة بجمعية العلماء وصحيفتها " البصائر" ،ثم اننا اذا رجعنا الى أقصر المقطوعات ونظرنا في موضوعاتها ألفينا رابطا مشتركا بينها وهو كونها ذاتية (غزل ،مجاملة ،مساجلة الخ ..) بحيث لا تتفق والمنزع الاصلي لشاعرنا الذي هو منزع جمعي كما رأينا غير ما مرة ،فهي لا تستدعي امانا باولا تفصيلا فاختار لها قوافي الدرجة الثانية .

ومما يعزز رأينا هذا أننا عثرنا على وثيقة(3) يتضح من خلالها أن الشاعر كان يختار قافية

---

(1) القوافي النادرة هي : الذال والثاء والغين والخاء والشين ،والقوافي قليلة الشيوع هي : الضاد والطاء والهاء ،والقوافي متوسطة الشيوع هي : التاء والسين والقاف والكاف والهمزة والعين والحاء والفاء والياء والجيم . والقوافي الشائعة هي :الراء والميم واللام والنون والباء والدال . انظر في هذا الشأن : ابراهيم أنيس ،موسيقى الشعر،ص 248 .

(2) تقسيم قوافي الشعر العربي الى ذلل ،ونفر،وحوش من صنع الشاعر أبي العلاء المعري انظر: د . محمد عوني عبد الرؤوف ،القافية والاصوات اللغوية ،مكتبة الخانجي (مصر) 1977 ،ص 95 ،وقد أخذ بهذا الرأي الدكتور عبد الله الطيب المجذوب ،انظر كتابه " المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها ،البابي الحلبي (القاهرة) 1956م ،1/ ص 44 ـ 65 .

(3) هي مسودة قصيدة للشاعر ،انظرها في ص = 222 ،223 .

القصيدة قبل الشروع في نظمها حيث يدرج على ورقة عددا من المقاطع أو الكلمات تنتهي بحرف واحد ، ثم يأخذ منها لكل بيت ما يناسبه .

ومن هنا يمكن القول ان هجر العقون بعض القوافي وايثار الاخرى مرده الى أسباب موضوعية بالدرجة الاولى ، ولكن لا ينبغي أن نتغاضى عن الاسباب الصوتية ، ذلك أن مخارج الحروف وجرسها ومدى تلاؤم الجرس مع جو النص الشعري أشياء لها علاقة باصطفاء الشاعر لقوافي قصائده . واذا أعدنا النظر في الحروف التي أهملها نجدها في الغالب متميزة بثقلهـــا وصعوبة نطقها ، في حين تتميز الحروف التي وردت رويا لشعره بجودة التنغيم ، والخفة .

وقد حاولنا أن نبحث عن علاقة القافية بالبحور فلم نصل الى نتيجة قطعية تجعلنا نصدر أحكاما صحيحة بهذا الشأن حيث وجدنا الشاعر يستخدم قافية واحدة في عدة بحور مختلفة فقد استخدم الدال مثلا — وهو الحرف الاثير لديه كما رأينا — مع الخفيف ومع الطويل ومـــع الوافر ومع الرمل . واستخدم الراء مع الكامل والطويل والخفيف والمتقارب .

ونظرة الى قوافي عبد الكريم العقون تجعلنا نزعم أنه لم يخرج عن تقاليد الشعر العربي فالذي كان يتحكم في اختيار رويه هو محفوظه من الشعر العربي ، ونسبة شيوع حروف الهجـــاء التي تقع رويا ، ثم عدد القصائد التي نظمها ، والى حد ما الموضوعات التي عالجها . ولكن مع ذلك لا نستطيع تنزيهه عن امكـانية تلقيه الموسيقى الشعرية من كتب العروض .

ومثلما سار العقون على نهج الشعراء العرب في أنواع القوافي ، سار على نهجهم أيضـــا في كيفية التقفية تبعا لحركة الروي ، فنجد عنده القوافي المقيدة والقوافي المطلقة ، والمطلقة أكثر من المقيدة (1) وهو في هذا يقترب من الشعراء القدامى الذين نجد نسبة القوافي المقيدة عندهم لا تتعدى 10 ٪ مـــن شعرهم (2) ، فالتقييد عنده انعدم مع أربعة حروف هي : الباء والعـــين

(1) جدول ترتيب القوافي ، ص 171 ، 172 .

(2) د . ابراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص 260 .

واللام والفاء ، ولم يتعدا القصيدة أو القصيدتين مع أربعة حروف أخرى هي الدال و والباء والميم والهمزة ، واذا عرفنا أن الدال يحتل المرتبة الاولى في جدول ترتيب القوافي حسب تواترها ، وحسب عدد الابيات وعلمنا أيضا أنه لم يستخدمه رويا مقيدا الا مرة واحدة من مجموع تسع مرات أمكننا القول بأن شاعرنا شديد التأثر بالتراث الشعري العربي . وقد استعمل القافية المطلقة مضمومة ومفتوحة ومكسورة مع حرفين فقط هما الدال والعين ، واستعملها مكسورة مع أغلب الحروف واجتنب تشديد الروي ، وقد يرجع ذلك الى شعوره بثقله ، وتضييقه مجال القول .

بقيت الاشارة بعد هذا الى استخدام العقون لزوم ما لا يلزم في نص شعري واحد من أربعة أبيات ، وقافيته دال مكسورة وكاف ساكنة ، ويبدو أنه لم يرتح الى هذه الطريقة في التقفية لما تجره من متاعب على الشاعر ، وثقل على القصيدة ، كما استخدم نظام الموشحات في قصيدة واحدة ، وقد جاءت على الصورة التالية = قافية الشطرين الخامس والسادس من المسدسة الاولى تتكرر في الشطرين الخامس والسادس من كل المسدسات الاخرى هكذا .

________ أ   ________ أ

________ أ   ________ أ

________ ب

________ ب

________ د   ________ د

________ د   ________ د

________ ب

________ ب

ونظن أن العقون لم يستسر أيضا الى هذا الضرب من بناء القصيدة وطريقة تقفيتها ، ولذا لم يوظف هذه الطريقة الا مرة واحدة في نص هو أقرب الى النشيد الذي يتغنى به تلامذة المدارس . وهكذا يتجلى لنا أنه ظل وفيا للايقاع الموسيقي الرتيب الذي عرفت القصيدة العربية القديمة والمتمثل في أحادية الوزن واطراد القافية ، ولم يحفل بالتجديد بالتجديد في الموسيقى الشعرية حتى في الاطار القديم نفسه .

صور بحور شعر عبد الكريم العقون ،ونسبها المئوية

الد وائر	البحور	التام و المجزوء	القطع: ايتام	القطع: نتف	القطع: قطع	القصائد: 7 _ 50	القصائد: 51 _ 100	الاشعار	الابيات: التام	الابيات: المجزوء
المختلف	الطويل ٪24،16					10		10	320	
	البسيط									
	المديد									
المؤتلف	الوافر ٪2،34	التام		1		1		2	31	
		المجزوء								
	الكامل ٪7،55	التام				1		1	26	
		المجزوء				2		2		74
المجتلب	الرجز	التام								
		المجزوء								
	الهزج									
	الرمل ٪22،88	التام		1	2	5	1	9	218	
		المجزوء			1	2		3		85
المشتبه	الخفيف ٪22،88	التام		1		8		9	218	
		المجزوء				3		3		85
	السريع									
	المقتضب									
	المنسرح									
	المجتث ٪2،79			1	1	1		3	37	
	المضارع									
المتفق	المتقارب ٪17،37	التام				9		9	230	
		المجزوء								
	المتدارك	التام								
		المجزوء								
الاشعار				4	4	42	1	51		
مجموع الابيات									1080	244
المجموع العام									1324	

جدول ترتيب القوافي حسب تواترها في الاشعـــار

القافيــة	عدد النصوص الشعريــة		المجمــوع
	مطلقــة	مقيــدة	
الـــدال	08	01	09
الـــراء	03	05	08
النـــون	02	04	06
البـــاء	04	01	05
التـــاء	02	03	05
المـــيم	02	02	04
اليـــاء	04	00	04
العـــين	03	00	03
الـــلام	02	00	02
الهمـــزة	00	02	02
الفـــاء	01	00	01
المجمـــوع	31	18	49

جـدول رقـــم 01

جدول القوافي مرتبة حسب الابيات

القافية	عدد النصوص الشعرية		المجموع	مجموع الابيات
	مطلقة	مقيدة		
الدال	08	01	09	249
النون	02	04	06	245
الميم	02	02	04	141
الراء	03	05	08	234
الباء	04	01	05	122
الياء	04	00	04	111
التاء	02	03	05	100
السين	03	00	03	71
الهمزة	00	02	02	09
اللام	02	00	02	05
الفاء	01	00	01	03
المجموع	31	18	49	1290

جدول رقم 02

ثالثا : اللغة الشعرية .

اذا كان النقاد يختلفون في فهمهم للغة الشعرية[1]، حيث يرى بعضهم أنها تختلف عن لغة النثر ، ويرى البعض الآخر بأن الرصيد اللغوي الذي يملكه الاديب يصلح بأكمله للتعبير به شعرا ، فانهم يتفقون على أن طريقة الشاعر في استخدام معجمه اللغوي ، ومدى ما يملكه من مهارة ورفعة ذوق هو الذي يكسب اللغة جماليتها ، ويضفي عليها طابعا فنيا ، فعلاقة الشاعر باللغة ، ومفهومها ووظيفتها عنده هي الاسس التي تمنح اللغة بعدا فنيا ، وترتقي بها الى مستوى الابداع الذي يتميز به الفنان عن الآخرين عادة ، لأنه ((لو خضع الاديب للعالم اللغوي بألفاظه وتراكيبه وصوره ومعانيه لكان صورة من الانسان العادي ، ولكان كلامه نوعا من التقليد البحت ، أو شكلا من أشكال الكلام الذي يفتقر الى الاساس الاول الذي يبنى عليه أي خلق أدبي ، وهو رؤية الفنان الذاتية ، وقدرته الخاصة على صياغة أثره الفني في صورة جديدة تدهش القارئ ، وتلفت انتباهه الى عبقرية الاديب في استخدامه للغة ...))[2]

على أن الذي لا ريب فيه هو أن اللغة بقدر ما هي نابعة من رؤية الشاعر ، وخاضعة لقدرته على صياغتها ، فانها تكون أيضا متأثرة باتجاهه الادبي ، أو المدرسة التي ينتمي اليها وروح عصره وبيئته ، فليست لغة شعراء مدرسة الاحياء مثلا تحمل نفس خصائص لغة الرومانسيين أو الرمزيين ، ولم تكن لغة العباسيين أو الاندلسيين هي لغة الجاهليين ، ولذا قال الدكتور عبد القادر القط : ((أما المعجم الشعري فانه من عناصر الشعر الاولى التي تتأثر بالتطور

---

(1) د . جودت فخر الدين ، شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري ، دار الآداب (بيروت) ، ط/1 ، 1984 ، ص 119 ، 120 ، 121 .
وانظر أيضا : د . محمد غنيمي هلال ، النقد الادبي الحديث ، دار العودة ودار الثقافة (بيروت) ، 1973 ، ص 377 .

(2) د . محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث ، دار النهضة العربية (بيروت) ، 1979 ، ص 16 .

الحضاري ،وان لم يتخذ صورة تغيير حاسم من مرحلة الى أخرى ...)) [1]

وبناء على هذا يرى الدكتور محمد ناصر أن لغة الشعر الجزائري الحديث قد مرت بثلاث مراحل تبعا لاتجاهات هذا الشعر.[2] وما دامت هذه الاتجاهات متداخلة ـ كما سبقت الاشارة ـ فانه من الطبيعي أن تتداخل المراحل التي مرت بها لغة الشعر الجزائري ،ذلك أننا قد نجد في لغة الوجدانيين بعض رواسب اللغة المحافظة ،بل اننا نجد ذلك حتى في لغة الشعراء الذين ينتمون الى الاتجاه الجديد (الشعر الحر) .

والحقيقة أن هذه الظاهرة ـ ظاهرة المزج بين الموقف الرومانسي واللغة التقليدية ـ ليست خاصة بالشعر الجزائري كما يقول الدكتور محمد ناصر[3] وقد نبه اليها الدكتور عبد القادر القط بقوله : ((وما زالت آفة الصيغ الجاهزة ،والانماط التعبيرية الموروثة تجني على مواهب شعرائنا المحدثين ،وتجعل بعض أشعارهم خليطا غير متسق من القديم والجديد)) [4]

وقد رأينا في بداية هذا الفصل أن الشاعر عبد الكريم العقون ظل متأرجحا بين اتجاهين شعريين هما :الاتجاه التقليدي ،والاتجاه الوجداني ،وبناء على هذا التأرجح سنقف على مستويين لغويين في شعره ،دون أن نعدم وجود تداخل بينهما ،فقد استخدم في قصائده التي يتجه فيها اتجاها تقليديا محافظا ،أي القصائد التي يطغى الجانب الموضوعي فيها على الجانب الذاتي نمطا لغويا غير الذي نجده في قصائده الوجدانية ،وقد ظل عبدا لهذا المعجم الشعري في كل ما نظمه في الوطنية أو القومية ،ونورد فيما يلي أمثلة من تلك الاشعار بغية الوقوف على خصائص اللغة الموظفة فيهـــا .

يقول من قصيدة بعنوان " تحية البصائـــر" :

---

(1) د . عبد القادر القط ،الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ،ص350 .
(2) د . محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،ص
(3) نفس المصـــــدر ،ص268 .
(4) د . عبد القادر القط . الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ،ص393 ،394 .

بني وطني أعيدوا مجد قــــوم ، أقاموه على أقوى عمـــــــاد
وردوا ما سلبتم من تـــــــراث ، حموه .. الحياة من العــوادي
فأحيوا نشأكم بالعلم ،تحيـــوا ، فنشؤكم الى العرفان حـــاد
وأدوا ما عليكم من حقــــوق لشعبكم ،وذودوا كل عــــاد
وفكوا قيده ،لا تتركـــــــوه يعاني كل ظالم ،واضطهـــاد (1)

وأقل ما يمكن أن يقال عن لغة هذه القطعة هو أنها لغة تقريرية جافة ،وموظفة توظيفـــا معجميا ،فكل لفظة وكل عبارة تؤدي المعنى القاموسي لها ،لا غير. ومن هنا كانت أقرب الى الكلام العادي الذي يقصد به النصح والارشاد منها الى الاثارة والامتاع. اننا ونحن نقرأ هذه الابيات نتصور أمامنا خطيبا في محفل يرشد الناس ويوجههم ،آمرا تارة ،وناهيا تارة أخرى (أعيدوا ردوا ـ أحيوا ـ أدوا ـ فكوا ـ ذودوا ـ لا تتركوه ـ) ،ولا نحس بشاعر يحرك العواطف ويدغدغ الاحاسيس ،لاننا في الحقيقة ((انما نشعر بشعرية النص عندما نحس بالكلمة ككلمة لا كبديل لشيء أو تفجيرا لانفعال ،عندما لا تقتصر الكلمات بتركيبها ودلالاتها ... على كونها علامات مطابقة للحقيقة)) (2) والذي يميز هذا الكلام عن النثر انما هو الوزن والقافية فقط ،فلولا النغمة الموسيقية الرتيبة التي تشيع في الابيات عند قراءتها لما اعتقدنا أننا أمام قطعة شعرية ،وليس معنى هذا أننا نطعن في صدق عاطفة الشاعر ،فحرارة التوجيه بادية في الابيات ،ولكن نحسب كونه قد نظم القصيدة لينشدها أمام الجمهور هو الذي جعلها تتميز بهذا الطابع اللغوي الخطابي المباشر.

وكثيرا ما تصادفنا في شعر عبد الكريم العقون هذه الاساليب الخطابية المباشرة التي يشيع فيها ما يشيع في أسلوب الخطبة من أمر ونداء وتحذير وتعجب الخ ... وما يصاحب ذلك مـــن محاولة اقناع عن طريق الاتيان بالحجج والبراهين العقلية ،مثلما نرى في قولـــه :

---

(1) البصائـــر ،02 ،1947/08/01.

(2) د. جودت فخر الدين ،شكل القصيدة العربية ، ص 97 ، 1993.

فيا أيها الراشدون أزيلـــوا شقاقا ،وسيروا الى المشـــرب
ويا أيها المخلصون ،أفيقـــوا لشرذمة النهب والمكســـب
فسدوا عليهم جميع الـــدرو ب ،يضلوا عن المنهج الاصوب
ويا أيها النشئ ،أنت المـــنى لشعب ،لبلواه مستعـــذب
فعهدي بالنشئ يحمي الحمى وعهدي بالنشئ لم يرهـــب
فحل القيود ،فكل الشعـــوب جرت ،وهو في قيده المتعـــب. (1)

ان لغة هذه القطعة لا تختلف في شيء عن لغة القطعة الاولى ،بل ان موضوعهما واحد تقريبا ،فهي لغة سهلة واضحة ،في متناول كل من يملك حظا بسيطا من الثقافة ،كما أنها مثقلة بأساليب النداء والامر ،مما يجعلها جافة خالية من كل ايحاء ،والمعروف أن ((الايحاء والتصوير اذا انعدما في القصيدة صارت نظما ،وفقدت روح الشعر)) . (2)

والغريب في الامر أن العقون وهو ينحو هذا النحو الشديد الصلة بنهج القدامى لا يهتم بالجانب البياني الذي يعطي العبارة الشعرية طاقة ايحائية ،ويخرج اللغة من النثرية ليرتفع بها الى المستوى الشعري ،فقارئ شعره لا يسجل حضورا فعليا دائما للاساليب المجازيـــة والصور البيانية الا نادرا كما في قوله يخاطب جمعية العلماء :

يا وفود السلام ،يا أيها الانـــ ـــجم في ظلمة الليالي الســـود
قد وثبتم الى النضال سراعـــا في ثبات وجرأة كالاســـــود
وثبتم على المبادئ كالاطـــ ـــواد ،ترسو من فوق هذا الصعيد
لم تزعزعكم العواصف ،أو تثـــ ـــني خطاكم حوادث التشريـــد . (3)

والاسلوب البياني عنده في الغالب هو التشبيه في هيئته البسيطة المرسلة والمكرورة مثل

---

(1) البصائـــر ،84 ،1949/06/20 .
(2) د . محمد غنيمي هلال ،النقد الادبي الحديث ،ص 377 .
(3) البصائـــر ،55 ،1948/11/08 .

تشبيه الرجال بالاسود في الجرأة ،وبالاطواد في الثبات ،وبالانجم في الرفعة والضياء ، ومثال ذلك أيضا قوله يناجي روح عبد الحميد بن باديس:

... وقم كي ترى جند الجزائر رابضا   على ثكنات الشعب لا يتبدد
فهذا كليث في العرين مناضل   وذاك كبنيان متين يوطد
وهذا كنسر في الفضاء محلق   وذاك كطير للغناء يسرد
وهذا كسيل جارف في طريقه   غثاء به ينحط طورا وينجد .(1)

ففي الابيات حشود من صور التشبيه التي لا تنم عن جنوح خيال ،وروعة ابتكار ،وعمق تجربة ولا تشتم منها رائحة ابداع حقيقي ،انها عبارة عن ركام فقد كل ماء ورواء من كثرة استخدامه وكل ذلك انما أملته روح التقليد ،ولم توح به طاقة الابداع .

والحقيقة أن مكانة التراث الشعري القديم في نفس عبد الكريم العقون لا تظهر فقط من خلال ميله الى استخدام الاساليب المجازية التي حفل بها هذا التراث فحسب ،ولكنها تتجلى أيضا في المعجم الشعري الذي بنى منه قصائده الوطنية والقومية ،وما يتميز به هذا المعجم من خصائص هي نفسها خصائص الشعر العباسي والاموي . وفي هذا المجال نسوق هذه الابيات التي يخاطب بها الزعيم عبد الكريم الخطابي شاهدا على ذلك ،يقول العقون :

أيا بطلا خاض المعامع وانبرى   لاجلاء أعدا البلاد عن الوكر
عهدناك لا تلهو عن المجد دائبا   تشيد له الاركان بالرأي والسمر
فما أنت الا السيف سل على العدى(2)   يذوقون منه الموت بالفتكة البكر
وقفت بوجه الظلم تهدم صرحه   بصدق وايمان وسيفك والفكر
ورثت عن الآباء عزا ومنعة   وخلدت آثارا تشع مدى الدهر

---

(1) الديوان (مخطوط) ،الورقة 72.

(2) في الديوان " الهدى " ،وهو تصحيف من الناسخ .

لئن صدك استبداد قوم عن الحمى فشعبك لا ينساك يا طيب الذكـــر
بلى انه يمشي وراءك لا يـــــني كمشيك للعلياء في السر والجهـــر
فما كنت يوما في جهادك وانيـــا عن المجد تبنيه بأخلاقك الغـــر
تمرست بالهيجاء تمضي تخوضهـــا فأنت امرؤ الهيجاء والسيف والظفـر
فكم لك في تلك الميادين صولـــة تخر لها شم الجبال من الذعـــر.(1)

وواضح ما تمتاز به هذه الابيات من جزالة وقوة وفخامة، وما تتوفر عليه عباراتها من متانـــة واحكام، وجودة سبك، وما الى ذلك من سمات أسلوب القدماء في مواطن التعظيم والتمجيد وفي مقامات الفخر والاعتزاز: (يا بطلا خاض المعامع، الفتكة البكر، وقفت بوجه الظلم تهدم صرحه تمرست بالهيجاء، تمضي تخوضها، أنت امرؤ الهيجاء والسيف والظفر الخ ...) . ولكن الـذي يختلف فيه العقون عمن يقفو أثرهم في هذه الابيات، وفي جميع أشعاره هو ما تمتاز به لغتـــه ـ على فصاحتها ـ من سهولة ووضوح، الا أن نظرة الاكبار الى التراث العربي القديم ظلـــت تلازمه حتى في بعض القصائد التي يفترض أن يصدر فيها عن نفسه ومشاعره الخاصة، كتلك التي رثى صديقه المصلح " فرحات بن الدراجي " حيث يقول في بدايتها :

قد اغتالك الموت الذي ليس يرحم ومن ذا الذي من أسهم الموت يسلم
أصابتك يا فرحات أسهمه الـــتي تصيب فلا تخطي تصمي وتعـــدم
هويت ـ كطود مشمخر ـ مجندلا فكل فؤاد بالفجيعة مفعـــــم
وأورثتنا حزنا عميقا وأدمعـــا غزارا على الحزن العميق تترجـــم
دموع وفاء أنت مبعث سكبهـــا يجود بها القلب الجريح المحطـــم.(2)

فعلى الرغم من كون موضوع القصيدة ذاتيا مما يشكل مدعاة لتفجيرات نفسية تكسب النـــص

---
(1) البصائـــــر، 07، 1947/09/19.
(2) البصائـــــر، 157، 1951/05/28.

طابعا عاطفيا متدفقا ،وبالتالي تجيء لغته مشحونة معبرة عن عظمة الرزء مشبعة بالمشاعر المتألمة وموحية بجو الكآبة ،وعلى الرغم من كون القصيدة مما نظمه في أواخر حياته ،أي بعد اقتراف نضج تجربته ،أقول على الرغم من ذلك كله نجده يسقط - كعادته - في رحاب المباشرة والتقرير والعقلانية ،والميل الى سوق الحكمة ،والتأمل في الحياة على طريقة الجاهليين ،ونحسب أن مطلع يذكرنا على وجه خاص ببعض ما ورد في معلقة زهير بن أبي سلمى من حكم ،ذلك أن البيتين الاول والثاني فيهما نفس من قول زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا - لا أبا لك - يسأم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم

ان هذا كله فضلا عن قوة احكام بناء العبارة ،واستخدام نمط معين من الالفاظ مثل : طود مشمخر ،مجندلا ،أسهم الموت ،تصمي وتعدم الخ ... لمما يدفع الى القول بأن عبد الكريم العقون كان يضع نصب عينيه - وهو ينظم هذه القصيدة - النماذج القديمة في الرثاء ثم ينسج على منوالها محترما خصائص لغتها ما أمكنه ذلك .

ولقد تعمدت التمثيل لهذه الخاصية من شعر العقون بهذه الابيات التي نظمها في سنة 1954 ،وسأورد مثالا آخر من قصيدة أخرى نظمها في نفس السنة لا بين أن لغته لم تعرف تطورا وانتقالا منذ بداية حياته الفنية ،وحتى آخر قصيدة كتبها ،وانما ظلت هذه اللغة تسير في خطين متوازيين ،فقد يستخدم في قصيدة ما لغة تليق بالاتجاه التقليدي المحافظ ،ثم ينظم أخرى يستعمل لغة وثيقة الصلة بالاتجاه الوجداني الرومانسي ،وقد يمزج بين هذين النمطين اللغويين في آن واحد ،كما هو الحال في قصيدة " بجاية " التي يوظف فيها مستويين متباينين تبعا لتباين الافكار التي طرقها ،يقول في معرض حديثه عن عظمة ملوك بجاية وأمجادهم التاريخية :

هنا قد ذكرت العهود التي بها كان حماد ليث الاجم

هنا كان حمد ذا صولة بنى مجده بالقنا ،والقلم

هنا كان حماد في عـــزة | يدافع عن غيله من ظلـــم
هنا كان حمد يهوى العلا ، | ويبني المعاهد مثل العلم
قد اكترع النشئ من نبعهـا | علوما ، تسح كمزن الديــم
أحمد عمرت دهرا ، مضـى | وشيئا ، به كل بدر أتـــم
فكم من أساتذة قد هـدوا | قوافل في غيهب مدلهـــم
وكانوا مصابيح وهاجـة ، | بهم يهتدي في ليالي الظلم
وكم من فتاة كبدر الدجى ، | تبث العلوم بها ، والحكـم
بدت آية العصر في عصرها | تعد شباب العلا ، والشيم
وتمحو الجهالة عن أمـة ، | فكانت لابنائها خـير أم .(1)

فاللغة المستخدمة هنا مباشرة جافة ، تقوم على أساس ما تعطيه اللفظة من دلالة قاموسية ومعنى معجميا ، يضاف الى ذلك ارتكاز الشاعر على الصورة البيانية الموروثة التي بلغت حـد الابتذال (كان حمد ليث الاجم ـ يبني المعاهد مثل العلم ـ ... علوما تسح كمزن الديم كانوا مصابيح وهاجة ـ كم من فتاة كبدر الدجى) ، فمثل هذه التشبيهات ـ فيما نظن ـ أصبحت مبتذلة ، وفاقدة لعنصر الخيال ، انها منحوتة من ذاكرة الشاعر ، وليست مغروفة من خيال متوهج خصيب .

ان العقون في هذا المقطع من القصيدة لا تهمه اللغة الابداعية التي يوظفها بقدر ما يهمه الالحاح على الفكرة التي يرغب في توصيلها ، وبعبارة أخرى فهو لا تعنيه العملية الابداعيـة والصبغة الجمالية للغة بقدر ما يشغله الفخر بالاجداد والتنبيه الى مآثرهم ، وما يمكن استخلاصه من عبر من هذا المجد المؤثل الذي صنعوه ، وتلك الحضارة التي رفعوا عمادها . ومن هنا طغى جانب التقرير ، وفقدت اللغة ـ كأداة فنية ـ كل جمالياتها ، مع أن الشعر كما يعرفه البعض هـو

(1) البصائـر ، 295 ، 1954/12/03 .

اللغة موظفة جماليا (1) والتقرير يبدو أساسا في تكرار عبارة " هنا كان حماد " في ثلاثة أبيات متوالية: هنا كان حمد ذا صولة ... ،هنا كان حماد في عزة ... ،هنا كان حماد يهوى العلا ..) مع أن القصيدة لا تكتسب من تكرار تلك العبارة نموا ،والفكرة لا تزداد ثراء ،والمعنى لا يتخذ طابعا شموليا بالتدريج ،انما هو معنى واحد يلح عليه الشاعر بعبارات تكاد تكون مترادفة ،فالصولة والعزة ،والعلا كلمات متقاربة من حيث المعنى ان لم تكن متطابقة .

ان حديث العقون عن أمجاد الحماديين هو حديث الواعي المدرك ،الذي يترجم العقل بأمانة ،ومن هنا اتسم بالجفاف ،وغلبت عليه النزعة العقلية ؛ على أننا اذا تركنا الحديث عن حضارة الحماديين ،وانتقلنا مع الشاعر الى وصف نهر بجاية لاحظنا النقلة المفاجئة في لغة الشاعر:

بجاية كم شاعر مبـــدع   تغنى بحسنك عذب الكلـــم
وهام بواديك مستلهمـــا   خريرا كترتيل شعر نظـــم
بدا هائما بين تلك الربى   يدغدغ أحراجها من أمـــم
تدفق لهفان في نشـــوة   طوى السهل في سيره المزدحم
على ضفتيه غصون الكـــروم   تداعبه في حفيف النســـم
غذ يتدافع في ســـيره   حدته الطيور بأحلى النغـــم
وقد أنصت الغاب في لهفة   يهدهده نغم منسجـــم
وأسرع للبحر في ركضـــه   يصافح منه العباب الخضـــم. (2)

وعلى هذا النحو يمضي الشاعر يسبح في خيال طريف ،معتمدا لغة مشرقة رقيقة عذبـــة مناسبة لوصف مشاهد الطبيعة ،وقد تميزت اضافة الى ذلك بكونها تحمل كثيرا من الدلالات المعنوية التي يشرد اليها الذهن عند سماعها . انها لغة مكثفة مشحونة بعواطف الشاعـــر

(1) د . جودت فخر الدين ،شكل القصيدة العربية ،ص 188 .
(2) البصائـــر ،295 ،0954/12/03 .

وانفعالاته (بدا هائما بين تلك الربى - يدغدغ أحراجها - تدفق لهفان في نشوة - غصون الكروم تداعبه في حفيف النسم - أنصت الغاب في لهفة - أسرع للبحر يصافح منه العباب...) ان مثل هذه التعابير لا يمكن أن تصدر الا عن خيال خصيب ، وعاطفة جياشة حيث لا مجال للعملية الذهنية والتفكير المنطقي ، ولا وظيفة للذاكرة وما تخزنه من أنماط تعبيرية مستهلكة ومعان جامدة محنطة .

هذه اذا واحدة من القصائد التي جمع فيها عبد الكريم المقون بين مستويين لغويين متباينين ، يخضع كل منهما لاتجاه معين ، ويتميز بخصائص تختلف عن خصائص المستوى الثاني على أننا نجد لديه قصائد أخرى تتفرد باللغة الوجدانية مثلما رأينا استخدامه للغة المحافظة في قصائد عديدة من قبل ، ومن ذلك قوله يصف قدوم الصبح :

هب من نومه يميس حسيرا ... باسم الثغر ، واني الخطوات
وتجلى في حسنه كعروس ... ذات حسن ، مهيبة اللفتات
فاستفاقت هذي الحياة من الاحـ ... ـلام بعد الاغراق في الهجعات
وازدهى بالوليد كون عبوس ... وانتشى بالمناظر النضرات
أنت سر الوجود ياصبح ، فانشر ... نورك المستفيض في الفلوات
استنارت بك الرياض ، فأضحت ... تتغنى مزهوة ثملات
قد غزا جندك المظفر ، واجتا ... ح جنود الغياهب الحالكات
وتوالى محطما ، يتوارى ... في شعاب مخيفة ، مرعبات
لائذا بالكهوف ، بالقمم الشمـ ... ـاء ، بالبيد ، بالصخور المواتي .(1)

ان هذا النص الشعري يتميز بخصوبة ألفاظه من حيث الموسيقى ، ومن حيث الدلالات المعنوية ومن حيث شحنة العواطف ، فعلى صعيد الموسيقى نلاحظ هذا الانسياب ، والايقاع الهادي الهامس

---

(1) البصائر ، 30 ، 1948/04/05 .

الذي تشيعه الالفاظ المشتملة على حروف الصفير والهمس مثل السين والشين والصاد والهاء (هب من نومه يميس حسيرا - تجلى في حسنه كعروس - أنت سر الوجود يا صبح فانشر نورك المستفيض الخ ...) ، ومن حيث المعنى يتبدى لنا التكثيف والتركيز اللغوي في كثير من الكلمات والعبارات التي وظفها الشاعر لا للدلالة على معان معجمية محددة ، ولكن لاستشراف معان عديدة غير مضبوطة مثل : يميس حسيرا - انتشى بالمناظر - تتغنى مزهوة ثملات فهذه العبارات وغيرها تزخر بظلال معنوية تتزاحم في الذهن بمجرد قراءة الابيات ، أما من حيث العاطفة فان القارئ يدرك بسهولة صدق تجربة الشاعر من خلال نوعية الألفاظ التي استخدمها ، فما تدره تلك الالفاظ من شحنات شعورية ، وما تلقاه من تجاوب لدى القارئ يدل دلالة قاطعة على قوة احساس الشاعر بالطبيعة ، وصدق تعبيره عن مشاعره .

واذا كان الدكتور محمد ناصر يرى بأن العقون لم يكن موفقا في لغته التي استخدمها في هذه القصيد فيعيب عليه ((هذا الحشد المتتابع من الاضافات والنعوت التي تضفي على القصيدة نغمة رتيبة مملة ...)) [1] ثم يعمم حكمه قائلا : ((وتلقانا هذه الصياغة المهلهلة في أغلب قصائد العقون ، وقد يعود هذا فيما نحسب الى ضعف ثقافته الشعرية)) .[2]

واذا كنا نوافق الدكتور ناصر على هذه الملاحظة ، فاننا لا نعزو ذلك الى ضعف ثقافة الشاعر بقدر ما نرجعه الى كون هذه الظاهرة عامة في الشعر الرومانسي ، وقد أثر عن الشابي - مثلا - وهو أحد رموز الرومانسية العربية هذا الولع بحشد الالفاظ التي تدر ايقاعا موسيقيا ثريا ، وتؤدي وظيفة جمالية بحتة في النص ، بغض النظر عما تحدثه من خلل معنوي ، وارتباك في الصورة . وقد نبه كثير من الدارسين والنقاد الى هذه القضية في شعر أبي القاسم الشابي كالدكتور عبد القادر القط الذي يقول : ((... على أن من الشعراء من تفتنه تلك الالفاظ في ذاتها فيسرف في استخدامها في حشد متتابع ... وحسب الشاعر في هذا المجال أن يبدأ

---

(1) د . محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 261 .

(2) نفس المرجع ، ص 261 .

بصيغة لغوية بسيطة كالاضافة مثلا ،ثم يمضي فيورد تلك الحشود اللفظية ــ على طريقة تداعي الالفاظ ــ معتمدا على ايقاع تلك الصيغة في الربط بين ألفاظه التي لا يربطها في الحقيقة الا اشتراكها في الايحاء بجو نفسي أو جمالي من غبطة أو حزن أو مشاهد طبيعية ،والشابي من أكثر هؤلاء الشعراء استخداما لهذا الاسلوب)) .(1)

وقد تعرضنا من قبل الى تأثر شاعرنا بأبي القاسم الشابي ،سواء فيما يتعلق بالمضمون أم فيما يتصل بالناحية الفنية ،ولا نستبعد أن يكون قد تأثر به في هذه الظاهرة التي تخص المعجم الشعري ،وبنية العبارة ،كما أثر عن شاعر " أغاني الحياة " ــ فضلا عما سبق ــ ((اعتماده على تلك الالفاظ المتتابعة في سياقها ،المتفرقة في دلالاتها مما لا يرسم صورة بقدر ما يفصح عن وجدان مبلبل ،ورؤية مضطربة)) .(2) كقوله مثلا من قصيدته " الجنة الضائعة " :

ونظل نعبث بالجليل من الوجود وبالحقير
بالسائل الاعمى وبالمعتوه ،والشيخ الكبير
بالقطة البيضاء ،بالشاة الوديعة ،بالحمير
بالعشب ،بالفنن المنور ،بالسنابل ،بالسفير
بالرمل ،بالصخر المحطم ،بالجداول ،بالغدير .(3)

ونحسب من هذا القبيل قول عبد الكريم العقون في القصيدة السابقة :

لائذا بالكهوف ،بالقمم الشمـــاء ،بالبيد ،بالصخور العواتي

على أن العقون لا يسرف في استخدام المعطوفات ،وغيرها من أشكال التتابع اللفظي كالشابي وكأني به لم يكن مطمئنا الى ذلك ،فنراه يورد البيت أو البيتين على هذه الشاكلة في القصيدة

---

(1) د. عبد القادر القط ،الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ،ص 361 .
(2) نفس المرجع ،ص 366 .
(3) الشابي ،الاعمال الكاملة ،ج / 1 ،ص 211 .

الواحدة لاغير مثل قوله يخاطب البحر:

جئت أقضي النهار لعلـــي واجد فيك مفزعا للشريـــد
شاديا للعباب ،للمنظر الفا تن ،للموج ،للصدى المعدود .(1)

ونلاحظ كيف أنه اختصر كل حروف العطف ،وترك العبارات متلاحمة متراصة موحية بقوة الجيشان العاطفي ،وشدة الاستغراق الوجداني .

ومن هذا القبيل أيضا قوله يصف نهر الجواهر بفاس:

يتلو أهازيج الاماني للكبير ،وللصغـــير
للطير ،للشفق الجميل ،وللحياة ،وللصخـور
للعاشق الولهان ،يأسو قلبه الدامي الكسير -
ويزيح عنه لاعجا ،قد كاد يعصف بالصـــدور.(2)

ان القارئ يكتشف بسهولة - في هذه الابيات - بصمات الشابي ،وعالمه اللغوي ،ولكنه يلاحظ أيضا أن العقون لا يستطرد كثيرا ،ولا ينساق - مثل الشابي - وراء سحر الالفاظ ،ولا يستهويه كثيرا بريق الكلمات وجرسها .

وهناك ظاهرة أخرى تستوقفنا في اللغة الوجدانية عند "العقون" وهي كونها لغة مستمدة من مشاهد الطبيعة في معظم الاحيان ،سواء أكانت هذه الطبيعة حية أم ميتة ،ناطقة أم صامتة كما نرى في قوله يتغزل بفتاة:

ان نفسي قد انتشت بفتاة تضوعـــت
بعبير محبـــــب أنعش الروح فارتقت
تطلب الوحي عندهـــا وبه الآن ألهمـــت

(1) البصائـــر ،13 ،1947/11/10 .
(2) البصائـــر ،181 ،1952/01/21 .

فهي شعر مرتـــل　　هز نفسي ،فأنشدت
هي روض،أريجـــه　　ذاد عن نفسي العنت
هي فجر،شعاعـــه　　منه نفسي أشرقـت
وربيع[1] زهـــوره　　بالشذا قد تفتقـت
يالها من طهـــارة　　في فتاة تقدســـت.[2]

فالشاعر هنا يغرف من الطبيعة معجما شعريا للتعبير عن احساس وجداني ،مثل : روض أريج - فجر - شعاع - نسيم - زهور - شذا - أشرقت - تضوعت الخ ...ولا شك أن هذه الالفاظ تمد المعاني المقصودة بظلال كثيفة فتثريها .

والحقيقة أن هذه الظاهرة متفشية بين الشعراء الجزائريين الوجدانيين ،حيث ((ظهر عند هؤلاء الشعراء شغف واضح باستخدام معجم مستمد من مشاهد الطبيعة ،ومناظرها ،وانعكس حبهم للطبيعة في لغتهم الشعرية انعكاسا واضحا ،فأضحى قاموسهم الشعري يدور في هذا المجال ،ولا يكاد يخرج عنه)).[3]

ويبين الدكتور محمد ناصر أن طغيان هذا المعجم المستوحى من الطبيعة لم يكن ((راجعا الى الموضوعات التي تصف مشاهد الطبيعة فحسب،وانما قد يكون الموضوع المعالج بعيدا كـل البعد عن هذا المجال)).[4] وقد لاحظنا العقون في الابيات السابقة لم يكن يصف منظـــرا طبيعيا ،وانما كان يصف فتاة ،ومع ذلك كاد لا يخرج في معجمه اللغوي عن الطبيعة بمناظرها ومظاهرها ،وألوانها ،وحركاتها ،وسكناتها . وهذا القاموس نفسه يستخدمه في موضوع وجدانـــي آخر هو مناجاته للشعر ،اذ يقول :

(1) في الجريدة " نسيم " ،وقد أثبتنا " ربيع" التي وردت في الديوان ،لانها أنسب.
(2) افريقيا الشمالية ،العدد 3 ، 1949 .
(3) د . محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،ص 255 .
(4) نفس المصـــــــدر ،ص 256 .

يا شعريا ابن الليالـــي يجلو دجاها العتيـــا
يا ابن الطبيعة يبـــدي منها الخبي• الخفيـــا
يا ابن الجداول يحـــدو خريرها السحريـــا
يا ابن الجمال غدونـــا له نخرجثيـــــا •
يا ابن الربيع المفـــدى شذاه فاح زكيــــا •(1)

وثمة خصيصة أخرى من خصائص اللغة الشعرية الوجدانية عند عبد الكريم العقون وهـــي " الهمس" ،فبقدر ما كان يميل في اتجاهه التقليدي الى الجزالة اللفظية والفخامة ،وحب الطنطنة والانسجام مع جو الحماسة ،بقدر ما نجده شغوفا في اتجاهه الوجداني باللغة المهموسة الرقيقـة ولوعا بالالفاظ الرشيقة والعبارات البسيطة ،والتراكيب السهلة ،يقول من قصيدة بعنوان "يارفيقي ":

هات ياخدن حياتي نغما يشفي الالـــم
رجعه ترديد أشعار بها يحلو النغـــم
انه يحدو بأرواح ظماء تضطـــــرم
تائهات في مجال الخلد نشوى بالحلـــم
حلقت في عالم السحر الوضي• المبتســـم
حرة تهوى المعالي ذات وجد بالعظـــم •(2)

فجلي ما في الالفاظ من عذوبة ،وما هي عليه من رقة بسبب ما اشتملت عليه من حروف رخوة مهموسة مثل (يشفي ،يحلو ،ظماء ،نشوى ،السحر،الوضي• ،المبتسم •••) ،وما تنطوي عليه كثير من الكلمات من غنة بسبب التنوين ،ووفرة حرف النون (نغما ،أشعار،النغم ،أرواح ظماء تائهات•••) ،تلك الغنة التي توحي بغصة الشاعر ،وحالته النفسية الكئيبة •

(1) البصائـــر،230، 1953/05/22•
(2) البصائـــر،201، 1952/09/15•

والذي ينبغي الاشارة اليه هنا هو أن هذه الشفافية المتناهية طابع فني حفل به الشعر الرومانسي عامة ،فالشاعر الرومانسي الذي ينطلق من احساسه الذاتي ،ويلون صوره بلونه الخاص ((عليه أن يبتدع لنفسه معجما شعريا جديدا يعتمد – في أغلب الاحيان – على ألفاظ شفافة .. ويربط بايحاءات نفسية ووجدانية عديدة أكثر من ارتباطها بدلالات مادية محدودة)) .(1)

وهذا الانتقال من الطنطنة الى الهمس ،ومن الجزالة الى البساطة استلزم الانتقال من التقرير الى التصوير ،فلم تعد لغة العقون في شعره الوجداني لغة تقريرية جافة ،ولم يعد يعتمد على الصيغ الجاهزة المتآكلة ،بل أصبح يستمين بلغة تصويرية تتكاثف فيها الظلال ،وتتمازج الالوان وتكثر الاصباغ ،انه صار لا يتعامل مع اللغة باعتبارها وعاء لصب الافكار ونقلها الى المتلقي ،ولم يعد يتعامل مع الالفاظ تعاملا معجميا محضا ،بل ينظر الى اللغة كعنصر جمالي في العملية الابداعية وكأني به يملك مفهومين مختلفين للغة ظلا يسيرا .. جنبا الى جنب طيلة حياته الفنية آثر أن يتعايشا على ما بينهما من تنافر وتفاضل .

رابعـــا : الصورة الشعريـــــة .

لئن لم يتفق النقاد على مفهوم يحدد الصورة الشعرية ،فانهم يتفقون على أنها من أركان الشعر الاساسية ،ومن لوازم الشعر التي لا يمكنه الاستغناء عنها ،اذ بواسطتها ينقل تجربته الفنية ويسوقها الى المتلقي ،وكلما نجح الشاعر في بناء صورة كلما كان أوضح في الكشف عن حالته النفسية ،واستحضار تجربته .

والصورة الشعرية تخضع دوما لاتجاه الشاعر ،وثقافته ،وفلسفته ،ورؤيته الفنية ،حيث تنعكس هذه الجوانب في طريقة بنائها ،ومادتها ،وقيمتها الفنية في النص الشعري .

وقد وظف عبد الكريم العقون نوعين من الصور في شعره ،تبعا لتأرجحه بين اتجاهين فنيين

(1) د . عبد القادر القط ،الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ،ص15 ،16 .

سبقت الاشارة اليهما ،فهناك الصورة المرتبطة بالاتجاه التقليدي والصورة المرتبطة بالاتجاه الوجداني ولكل نوع من هذين النوعين مصدره الذي ينبع منه ،وخصائصه التي يتميز بها ،ففي شعره الوطني والقومي كثيرا ما نصادف صورا لصيقة بصور شعراء مدرسة الاحياء من أمثال شوقي ،وحافظ ،بل نجدها ذات صلة بصور الشعر العربي القديم ،ولا شك أن ذلك يرجع أساسا الى أن هذا التراث الشعري كان مصدرا مهما من مصادر ثقافة الشاعر،ففي مخاطبته لعبد الكريم الخطابي (-زعيم ثورة الريف في المغرب) مثلا يتجلى لنا بوضوح أثر الثقافة السلفية في انتاج الشاعر:

أيا بطلا خاض المعامع وانبرى ... لاجلاء أعداء البلاد عن الوكر

عهدناك لا تلهو عن المجد دائبا ... تشيد له الاركان بالرأي والسمر

فما أنت الا السيف سل على العدى ... يذوقون منه الموت بالفتكة البكر

وقفت بوجه الظلم تهدم صرحه ... بصدق وايمان وسيفك والفكر.(1)

فتراه يصور هذا القائد كما صور الشعراء القدامى أبطال الفتوحات ،فمع أنه كان واقعيا وصادقا في تجربته ،الا أنه لم يستطع تجاوز الصورة الموروثة ،فكان ينشد كما أنشد الشاعر العربي القديم في قلب المعركة ،وكانت أجواء حماسات أبي تمام والمتنبي وغيرهما مسيطرة ليس على هذا المقطع فحسب ولكن على أجزاء القصيدة كلها ،ولا نزعم أن العقون كان في مستوى هذين الشاعرين ولكننا نرى أن مطالعاته لشعرهما ،وشعر القدماء بصفة عامة جعلته شبه مقيد بأجواء هذا الشعر فلم يتمكن من خلق جو نفسي فريد ،وخاص به ،وليس من العيب ـ فيما نحسب ـ أن يتعلق الشاعر بالفحول الذين سبقوه ،وأن يفيد من تجاربهم ،وينهل من معينهم ،ولكن ينبغي له أن يعيد تركيب الصور وفق تجربته الخاصة ،وواقعه الجديد ،وبيئته التي تختلف عن بيئة أولئك الذين استفاد منهم ،فاذا كانت ((الصورة في الشعر ليست الا تعبيرا عن حالة نفسية معينة يعانيها الشاعر ازاء موقف معين من مواقفه مع الحياة)) .(2) وأنها الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة)) .(3)

---

(1) البصائر ،07 ،1947/09/19 .

(2) د . محمد زكي العشماوي ،قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث ،ص108 .

(3) د . محمد غنيمي هلال ،النقد الادبي الحديث ،ص442 .

فاننا ((لانستطيع أن نجد صورا ناجزة للتعبيرعن مشاعرنا أو أفكارنا ، بل علينا ـ اذا أردنا أن نحتفظ لهذه العواطف والافكار بأصالتها ـ أن نقدمها الى الآخرين في صورتها الخاصة تلك الصورة التي تتولد تلقائيا مع الشعور نفسه أو الفكرة)) .(1)

ولا يظهر تمسك العقون بالقديم ، وشغفه بالموروث من خلال الجو العام للابيات والصور الكلية فحسب ، ولكنه يتبدى أيضا فيما تخلل الصورة العامة من صور جزئية ثانوية ، وما تعبيره بالسيف الذي قصر عليه الممدوح ـ مثلا ـ واستعارته الموت والظلم الا من قبيل حنينه الى القديم واجلاله لـه .

ولكن رغم ذلك كله فان الصورة في هذه الابيات ـ على ابتذالها ـ جاءت حركية ، وطافحة بالحيوية ، ولعل ما حاط بها من حماس هو الذي جعلها تتصف بهذه الميزة ، الا أن الصورة التقليدية عند العقون كثيرا ما تفقد حيويتها ، فتضحى جامدة محنطة كما نرى في تصويره للمؤامرة التي دبرها كفار قريش من أجل اغتيال الرسول (ص) اذ يقول :

... لقد حاول الاعداء اطفاء نـوره ... فخابوا ولم ينجح لهم فيه مطمع
قد انتدبوا من كل بطن لهم فـتى ... قويا بقتل المصطفى يتطـوع
فيا عصبة بالمصطفى قد تآمـروا ... وقد فكروا في غير ما ليس ينفـع
وباتوا أمام الدار والله حـارس ... ومنج له من كل ما يتوقـع
لقد خبتم في سعيكم وأصابكـم ... من الله طمس والفضيحة أشنـع
وعدتم تعضون الانامل حسـرة ... من الغيظ ان الغيظ كالجمر يلذع
بغيظكم موتوا جزاء لكيدكـم ... فأنتم جنود البغي والبغي يصرع
مكرتم ومكر الله أودى بمكركـم ... ومن كاد دين الله لا شك يقمـع (2)

(1) د . عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، قضاياه ، وظواهره الفنية والمعنوية العودة والثقافة (بيروت) ، ط/3 ، 1981 ، ص153 .
(2) البصائـر ، 14 ، 1947/11/17 .

فليس للشاعر هنا الا فضل نظم جانب من السيرة النبوية التي كتبت نثرا منذ القديم ،والتي قرأها ـ بلا ريب ـ في كتب التراث ،وقد كان القرآن الكريم مصدرا هاما للصورة في هذه الابيات حيث ضمن الشاعر عدة آيات كما نرى في قوله : ((لقد حاول الاعداء اطفاء نوره)) ،فهو تضمين لقوله تعالى : ((يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)) [1] وقوله : ((مكرتم ومكر الله أودى بمكركم)) • مأخوذ من الآية الكريمة : ((ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)) [2]

ومما لا شك فيه أن الشاعر وهو ينظم قصة الهجرة النبوية قد وضع نصب عينيه الهدف التعليمي فكانت القصيدة موجهة الى تلامذة المدارس الحرة ،ومخاطبة بدان الناشئة لغرس العقيدة الدينية وضرب المثل واستخلاص عبرة الجهاد والتضحية في سبيل الواجب ،والاخلاص للمبدا ،ومن هنا كان الجفاف العاطفي والتجاوب النفسي مع الحدث فاترا لكون الموضوع مفروضا على الشاعر من الخارج ،فجاءت الصور باهتة أمام طغيان السرد القصصي ،وسوق الحكمة ،وهذه الظاهرة عامة في الشعر الجزائري الحديث نبه اليها الدكتور محمد ناصر بقوله : ((وقد استقرينا جل القصائد التي تكون الصورة فيها منعدمة أو تكون مسطحة باهتة مباشرة ،فوجدناها قصائد تعالج موضوعات يتوجه فيها الشاعر الى المتلقين بالنصح والارشاد والتوجيه ،وما في معنى هذه المواقف التي كثرت في المرحلة الاصلاحية بخاصة)) [3]

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه أن الشاعر بمجرد رجوعه الى نفسه ،أطلق لخياله العنان راسما ـ بعد تلك المقدمة ـ صورة نابضة بالحياة لمكة ليلة الهجرة بقوله :

لقد غمر الدنيا سكون مخيم ولم يبق من صوت هنالك يسمع
سجت مكة لاضواء في الدور مشعل ولا سامر بالشعر فيها مرجع

---

(1) سورة الصف ،الآية 08 •
(2) سورة آل عمران ،الآية 54 •
(3) د • محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،ص 388 •

ولم يبق غير النجم يرنو بطرفه ونعم الانيس النجم اذ ليس يهجع.(1)

ويتراءى لنا من خلال هذه الابيات كيف تجاوز التضمين، والاعتماد على مخزون الذاكرة ونتاج الحفظ وأتي بصورة موحية ظليلة، انها صورة الصحراء بهدوئها وسكينتها الموحية بالرهبة والخوف، وخطورة الموقف الذي أقدم عليه الرسول (ص) وصاحبه أبو بكر فليس في وسع المرء وهو يقرأ هذه الابيات الا أن يكتم أنفاسه، ويبتلع ريقه، وبهذا نحسب أن العقون قد نجح في تجسيد معاناة الرسول (ص) وتضحيته، ولم يتأت له ذلك الا حينما تخلص من اجترار الصور المستهلكة الجامدة والانماط التعبيرية الجاهزة، وهكذا نرى الشاعر يمزج بين الصورة التقليدية بكل مقوماتها والصورة الجديد المبتكرة في القصيدة الواحدة، حيث ينحت من ذاكرته ثم يجنح الى الخيال فيغرف منه، الا أنه لا يقدر على الافلات من شرك المحاكاة بصفة نهائية.

وقد يستعين على بناء الصورة الكلية بمجموعة من الصور الجزئية والصور البيانية على الخصوص التي كثيرا ما تكون مستخدمة الى حد الابتذال والاسفاف بحيث لا يبعث في نفس القارئ أي احساس كما نلاحظ في تصويره للصراع العربي الاسرائيلي في معركة 1948م:

دماء بني العرب استفاقت فأيقظت نفوسا فثارت كي تطير مع السرب
فأرواحهم للشعب صارت رخيصة وقد بذلوا القاني المطهر للشعب
مشوا لمناياهم نشاوى كأنهم يلاقون عيدا في ربيع المنى الخصب
لقد أوقدوها ثورة عربية بجيش لهام كالصواعق منصب
شديد المراس في النزال مدرب جرئ أبي واسع الطعن والضرب
سيصلي شياطين الطغاة بجمعهم شواظا من النيران كالوابل السكب.(2)

فهو يحلو له أن يصور شجاعة الجيش العربي واستبساله بابراز جملة من التشبيهات المعروفة التي وان كانت تبدو منتزعة من واقع الشاعر وبيئته، لانها منتزعة من ظواهر طبيعية دائمة ومتكررة

(1) البصائر، 14، 17/11/1947.
(2) البصائر، 43، 19/07/1948.

الا أنها في الحقيقة مأخوذة من ثقافته السلفية ،اذ سبق الى تشبيه الجيوش بالصواعق،والقذائف بالوابل المنسكب ،الا أن هذه الملاحظة لا يختص بها عبد الكريم العقون وحده ،بل نجدها تنسحب على الشعر العربي الحديث كله ،حيث ظل هذا الشعر مرتبطا ببعض المظاهر الفنية في تراث الشعر العربي القديم .(1)

والصورة البيانية المألوفة في الشعر القديم أو المستوحاة من التراث العربي بصفة عامة نجدها مسيطرة سيطرة محكمة على شعر العقون الوطني والقومي جملة ،ومن ذلك ما نلمسه في رثائه للامير شكيب أرسلان ،اذ يقول :

طواك الردى شيخ البيان فمن لنا ... بصائب آراء لها الشرق ظمآن
أمير البيان العذب ينساب رائقا ... به النشء يقظان الشعور ونشوان
تآليف من وحي الضمير كأنها ... رياض بها ورد نضير وريحان
هي النور للساري لدى حالك الدجى ... وشهب بها كم ريع في الغرب شيطان (2)

فتشبيهه التآليف بالنور وبالشهب من التشبيهات التي فقدت قدرتها على التأثير في المتلقي من طول الاستعمال على مر العصور ،وأصبحت أقرب الى التعبير المرسل الذي ينطوي على شيء من التأكيد ،ولا يخفى علينا تأثر الشاعر في البيت الاخير بفكرة رجم النجوم للشياطين التي نص عليها القرآن (3) و ((مما يضعف الاصالة اقتصار الشاعر في تصوير شعوره على حدود الصور المبتذلة التي تقف عليها الحواس جميعا ،والتي هي صور تقليدية)) (4)

وهكذا لم يتخط العقون فنية الاجداد الموروثة ،ولم يدلل على احساسه نحو الفقيد فاستعاض عن العاطفة الوجدانية والمشاعر الذاتية بما يشبه الوصف لعظمة المرثي ،واستعراض

---

(1) د • عبد القادر القط ،الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر،ص 391 •
(2) البصائر ، 71، 1947/03/14 •
(3) ((ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ••• الآية)) سورة الملك : 5 •
(4) د • محمد غنمي هلال ،النقد الادبي الحديث ،ص 444 •

أعماله ومواقفه النضالية .

وهذه الحقيقة تنطبق على كل صوره الشعرية في جميع مراثيه ،حيث تتسم تلك الصور بالجفاف والجمود والسطحية دوما ،وحتى اذا ظهرت لنا بعض الصور حية وحركية فانها غالبا ما ترد مثقلة بالصور البيانية القائمة على علاقة المشابهة بين محسوسين كما سبق أن مثلنا ،واستخدام العقون للتشبيه ،وايثاره له دون غيره من الصور البيانية في شعره التقليدي مظهر من مظاهر التمسك بالقديم . ذلك أن هذا اللون من التصوير كان مأثورا عند الجاهليين ،ولعل ذلك ما جعل الصورة الشعرية لديه تتسم بما وصفناها به من جمود وتحجر وابتذال ،وذلك لان ((الصورة القديمة المبنية على التشبيهات في الاغلب الاعم تكون واضحة الاطراف ،محدودة الخيال ،مسطحة الايحاء ،بينما تكون الصورة المبنية على الاستعارة أمعن في الخيال ،لان الاستعارة من طبيعتها أن تطمس معالم الاشياء طمسا ،وتستبدل بها أشباهها)) .(1)

وقلما يميل الشاعر في صوره التقليدية الى استعمال المجاز والاستعارة ،كما نرى في تصويره ليوم مولد النبي (ص) اذ يقول :

انتشى الكون راقصا هزه التـــو ... قيع مستقبلا رسول الانـــــام
وتغنت جزيرة العرب للـــــوا ... قد جذلى بأعذب الانغـــام
وتبدى بأفقها نجم طـــــه ... مشرق النور هازما للظــــلام
نغمات تهز عطف بني الضــــا ... د ،وتحيي شعورهم كل عـــام
وعلى البيد لمحة من سكــــون ... فهي تصغي للوحي والالهـــام
وسوس الرمل بالتسابيح والتهـــ ... ـليل للمجد والعلا في هيام
وانجلى الفجر عن محيا وضـــي ... كسنى الفجر في الدجى المترامي
ان فجرا تفجر النور منـــــه ... لجدير في الدهر بالاعظـــام

---

(1) د . محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،ص 401 .

تتهادى الصحراء تيها وعجبا   حل في ساحها رسول السلام
انها حرة غدت تنجب الاحـ   ـرار مثل الاسود في الآجام.(1)

ولعل ليس من الصعب ادراك ما في الصورة هنا من تشويش وانكسار سببه استطراد الشاعر ووثوبه من شيء الى آخر، حيث يمزج بين وصف صحراء الجزيرة العربية ليلة مولد النبي (ص) وبين ابراز فضل الرسول الكريم على البشرية، ولكن المؤكد هو أن الشاعر قد استطاع أن يتصور الموقف، وأن يتجاوب نفسيا مع الحدث، فأعمل خياله الى حد بعيد نسبيا، ولا شك أيضا أننا اذا حاولنا ترتيب عناصر الصورة في الابيات السابقة أمكننا ذلك بحذف ما شابها من زوائد، كأن نصنف الابيات بهذا الشكل :

انتشى الكون راقصا هزه التـو   قيع مستقبلا رسول الانـام
وتغنت جزيرة العرب للـوا   فد جذلى بأعذب الانغـام
وسوس الرمل بالتسابيح والتهـ   ـليل للمجد والعلا في هيام
تتهادى الصحراء تيها وعجبا   حل في ساحها رسول السلام.

ان ترتيب الابيات بهذا الشكل يجعل الصورة في نماء، لا سيما وأن الابيات تضمنت جملا فعلية توحي بالحركة والحيوية، كما أن هذا الترتيب يجعل الصورة بعيدة عن النمطية والقوالب الجاهزة، اذ تشدنا الابيات الى متابعة القراءة لمعرفة سر الانقلاب المفاجئ في حياة الصحراء الرتيبة، وادراك كنه العرس الذي صارت تعيشه.

وقد تأتي الصورة الشعرية عند عبد الكريم العقون محفوفة بالصيغة الفخرية القديمة مما يضفي عليها نوعا من الجمود والحرفية، ويسقطها في رحاب القوالب الممجة التي تعبت الاذن من فرط تردادها، كما هو الحال في فخره بأصله العربي :

نحن نسل الاولى لهم خضع العا   لم واستعذبوا ورود الحمـام
[illegible]

---

(1) البصائـر، 24، 1948/02/23.

نحن أحفاد قادة قهروا الفـر   س ودانت لهم بنــو الاورام
اننا خير أمة أخرجت للنـــا   س فاقتادت الورى بزمـــام
اننا نستعيد ما كان من مجـ   ـد لنا في سالف الايـــام.(1)

وواضح أن قوام الصورة في هذه الابيات استمد التاريخ العربي الاسلامي ،وأن مصدرها الثقافة السلفية التي يحتل القرآن الكريم مكان الصدارة منها ،وليس عيبا أن ينقل الشاعر تجاربه النفسية بالاتكاء على الموروث الثقافي ،لان ذلك دليل على أصالته خاصة وأنه في موقف الدعوة الى التمسك بالاصل ،واحياء قيم الماضي وأمجاده للاستفادة منها ،وليس عيبا كذلك أن يغلب على لهجته طابع الحماس ،لان الحماس يتناسب مع موقف الاعتزاز ،ولكن ما يؤخذ عليه – فيما نرى – هو أن يعرض صورة الماضي على الحاضر بقوالب الماضي نفسها ،تلك القوالب التي لاكتها الالسن وأمات فيها التكرار كل جمال وابداع . مما يوحي بأن الشاعر مستلب نفسيا وغير قادر على مجاراة الزمن وتمثيل العصر والبيئة .

ولا نظن أننا سنكون مبالغين اذا قلنا بأن أكثر شعر العقون يحكمه هذا النمط من التصوير وقد رأينا أمثلة عديدة لذلك فيما سبق ،ولا بأس من ايراد مثال آخر لمزيد من الايضاح ،يقــول في تصوير مظاهرات الشعب الجزائري في الثامن ماي عام 1945 :

ركب تقدم للسباق يحثـــه   ايمانه والى الحقوق مشمـــر
لا ينثني عن عزمه في ســيره   كي ما ينال مراده أو يعـــذر
ما ضرهم سجن ولا نفـــي ولا   موت كذاك الحر لا يتغـــير
ألفوا المعارك والبجاولة والفدى   خاضوا غمار الموت كي يتحـــرروا
نشئ تجهز للكفاح تخالـــه   أشبال غاب في الكريهة تـــزأر
أسد حمت آجامها بشجاعــة   والاسد تحمي غيلها وتزمجـــر.(2)

---

(1) البصائـــر، 24، 1948/02/23.
(2) البصائـــر، 155، 1951/05/14.

فالشاعر ـ كما يظهر ـ يحاول أن ينقل لنا صورة أبناء الجزائر وهم يقفون صامدين في وجه العدو، ويصور عزمهم في سيرهم الى المعركة، وما تحلوا به من رباطة جأش وثقة بالنفس، ولكنه يظهر وكأنه هو الذي يدفعهم الى موطن البطولات، حيث نحس وكأن الموضوع مفروض عليه من الخارج وليس نابعا من ذاته ووجدانه، وبالتالي لم يقدر على جعلنا نتصور هؤلاء الابطال تصورا فعليا بما يبثونه في أنفسنا من مشاركة وجدانية وتعاطف معهم، لقد جعل منهم أبطالا كما أرادهم هو لا كما شاؤوا هم، وكل ذلك لانه نظر اليهم من خلال منظار قديم، فأعارهم صورة الجيوش الاسلامية الفاتحة كما وردت في الشعر الاموي والشعر العباسي .

وقلما نعثر في شعر العقون ذي الاتجاه الموضوعي على صور تشدنا عاطفيا، وتشدنا خاطفيا وتقنعنا نفسيا كهذه الصورة التي رسمها لانتصار الحق على الباطل في مصر :

انجلى الظلم عن الوادي الخصيب	كانجلاء الليل عن فجر حبيب
فوق سبعين قضاها جاثمـــا	في ربوع مسها منه اللهيب
فعثا فيها زمانا جائـــرا	ثم ولى جانحا نحو الغروب
أفلت أنجمه مؤذنـــة	بغروب أبدي لا تـــؤوب
هكذا الظلم قصير عمـــره	هكذا يودي به الحق المهيب
قد هوى في هوة مهلكـــة	ليس في أعماقها الا شعـــوب (1)
نشبت أظفارها في جسمـــه	فغدا يصرخ أعناه النحيب
قد طوى الدهر شراعي فلاعـــد	ولا ودع مصر بالدمع الصبيب (2)

فاذا حاولنا تفتيت هذا النص الشعري على أساس صوره، ومعرفة أدوارها نلاحظ أنه يفتتح بمستوى بلاغي يعتمد على طرفي التشبيه المستقرين (المشبه والمشبه به)، فهذه الصورة الاولى (انجلى الظلم كانجلاء الليل) التي شبه فيها الظلم بالليل لشدة وطأته على النفس، والاستغراق

---

(1) شعوب (بفتح الشين) - الموت .
(2) البصائـــر، 285، 1954/09/17.

في ظلماته هي صورة مستقرة ليس فيها ما يوحي بالحركة الا في طرفها البعيد فيما اذا تخيلنا حركة انجلاء الليل ،ثم يمضي الشاعر في تفسير تلك الصورة التي تصدرت الشعر في الابيات الاربعة الموالية دون اضافة شيء جديد اليها ؛ أما في الابيات الثلاثة الاخيرة فانه يأتي بصورة أخرى تختلف عن الاولى سواء في هيئتها أو في مادتها ،أو في طريقة بنائها ، فهي صورة ساخرة ترتكز على البناء الاستعاري ،حيث جسد الشاعر الظلم في صورة من يصارع سكرات الموت مما أضفى على الصورة حالة من الفزع ،فالموت يوحي بالنهاية المأساوية التي لا مفر منها ،انه قضاء لا مرد له ولا حيلة في دفعه ،وكذلك كان الحال بالنسبة للظالم الذي ظهر مغلوبا على أمره فغدا يصرخ منتحبا كالطفل الخائف •

ان هذه الصورة ـ في اعتقادنا ـ من الصور النادرة التي حقق فيها العقون نجاحا ،وقد لاحظنا كيف مال فيها الى التشخيص ،وتوظيف طاقة من الاحاسيس المأساوية فجعلها تحيط بالموضوع ،كما استعان بالصراع الدرامي في بنائها ،ولا يخفى ما في هذا الصراع من سخرية وتشف بما آل اليه الظلم من كابوس مفزع•

على أننا اذا تجاوزنا الشعر الوطني والقومي لعبد الكريم العقون ،ونظرنا في شعره الذاتي تجلى لنا نوع آخر من التصوير يختلف عن هذا النمط الذي لم يكن موفقا في أغلبه ،حيث نعثر على صور تتوفر على مواصفات تجعلها أكثر استساغة وتقبلا لدى القارئ ،وهذا أمر بديهي لان ((الصورة في الاغلب الاعم تكون أقرب الى التوفيق والنجاح عندما تكون المعالجة متعلقة بالموضوعات الذاتية كالغزل والوصف والهجر والذكرى والحنين والشكوى وما أشبه)) •(1)

وقد لاحظنا في الفصل السابق أن الطبيعة تشغل حيزا كبيرا من نفس الشاعر عبد الكريم العقون ،ولذا فان حديثنا عن الصورة في شعره الوجداني سينصب على قصائد الطبيعة بوجه خاص

ونجد الصورة في شعر هذا الاتجاه حافلة بالاصباغ والالوان ،ونراها تعج بالحركة والنماء

(1) د • محمد ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،ص 588 •

، ومن أبرز خصائصها أن التركيب الاستعاري الناجم عن التشخيص هو المادة الاساسية في بنائها كما يتجلى في وصف الشاعر للصبح حيث يقول :

هب من نومه يميس حسيرا ـــ باسم الثغر واني الخطوات
وتجلى في حسنه كعروس ـــ ذات حسن مهيبة اللفتات
فاستفاقت هذي الحياة من الاحـ ـــ ـلام بعد الاغراق في الهجعات
وازدهى بالوليد كون عبوس ـــ وانتشى بالمناظر النضرات (1)

فالبناء الاستعاري الذي ارتكز عليه الشاعر قد أشاع في النص جوا من الحيوية والاشراق المحبب الموحي بالبشر، والملائم لاشراق الصبح ، فهذا الكائن الحي نتصوره من خلال البيت الاول طفلا في ثوب البراءة ينهض لاستقبال الحياة بعد ليلة نوم هادئة وكله ثقة بالنفس وكبرياء، ولم يتركنا الشاعر نذهب بعيدا في تخيلنا ، فشبهه بعروس حسناء ، اذا فهو بهي الطلعة ، أنيق المظهر ، في مقتبل العمر ، وبذلك أضاف الشاعر الى الصورة الاصلية لونا جديدا ، وعنصرا آخر جعلنا نشعر بالنمو وبالمزيد من الحركة ، ولم يغفل طبيعة الحركة في الصورة فجعلها حركة رشيقة مستلذة وهادئة ، ولكن هذه الحركة - على رشاقتها وهدوئها - استطاعت بعث الحياة في الكون (فاستفاقت هذي الحياة ...) ، مثلما تبعث حركات العروس الفاتنة كوامن الحياة في نفوس الناظرين اليها ، وتؤجج نيران الصبابة في أفئدة المحبين . وطبيعي أن يقام الاحتفال بمقدم العروس تعبيرا عن الفرحة ، وكذلك الكون أقام عرسا لمقدم الصبح ، وعلا وجهه البشر، ان الصورة هنا متدرجة في نموها البطيء الذي يتناسب مع تباطؤ انتشار النور، وتبدد الظلام .

وهي بدون شك وسيلة نقل عبرها العقون تجربة خاصة ، فهو أنه ضاق بالليل وخرج لاستقبال صباح يوم جديد ، فصب أحاسيسه في هذه الصورة التي نراها قد استوعبت حجم المعاناة والشعور النفسي الذي يرغب الشاعر في التنفيس عنه ، وهذه سمة من سمات الصورة عند الوجدانيين الذين

---

(1) البصائر ، 30 ، 1948/04/05 .

((يتصورون بأن الاشياء كلها تحس كاحساسهم وتشعر بمشاعرهم ، ومن ثم فانهم يمنحون الحياة للاشياء الجامدة لا بما يضفونه عليها من أحاسيسهم وانما بتخيلهم بأن دفقة الحياة تسري فيها هي أيضا ، فهي لذلك لا تختلف في التعامل عن الانسان .))(1)

على أن القصيدة التي حفلت بصور وجدانية عديدة صاغ فيها العقون جملة من تجاربه النفسية هي قصيدة " ذكريات وعهود " ، ومنها تصويره لمشاعره عند عودته الى القرية ، ووقوفه على ضفة نهرها :

قد عدت للنهر المجيب ظامئا أطفي الزفير
متسليا بجماله الاخاذ أنصت للخرير
أمحو هموما جمة قد لازمت قلبي الكسير
متمتعا بتفردي متجنبا كل الشرور
ثملا بتوقيع الجداول حين تجتاز الصخور .(2)

فالنص يوحي بأن الشاعر كان يعاني أزمة نفسية حادة جعلته ينفر من المدينة ، ويهجرها الى الريف على طريقة الرومانسيين ، وفي أحضان الريف ينعم بالطبيعة ويلقى لديها تجاوبا ينسيه أحزانه . ولعل أهم ما يلفت انتباهنا في الابيات هو انطباع الصورة بالذاتية حيث ينقل لنا الشاعر تجربة من تجاربه الخاصة ، وموقفا من مواقفه تجاه الطبيعة والحياة . وفي القصيدة نفسها يستعرض ايام الطفولة ، وكلفها الشديد باللعب ، ويحن الى ايامها حنينا جارفا ، فانفعال العقون بما كان يشغله في طفولته وممارساته اليومية في هذا الطور من أطوار حياته يوحي بأنه مشدود الى ذلك العهد ، آسف عليه ، كما يوحي ذلك بمقارنة بسيطة بين سعادة الماضي وتعاسة الحاضر :

أحيي عهودا عذبة قضيتها طفلا غريرا
أشد وكأطيار نشاوى بالاصائل والبكور

---

(1) د . محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 404 .
(2) البصائر ، 52 ، 1948/10/11 .

وأساجل الاطيار والانهار والفجر المنـــــير
وأروح أعبث بالمياه الجاريات وبالزهـــــور
وأظل في الغابات بين هدوئها الساجي المنير
بين الجبال الشاهقات أعيش مغتبطا قريـــــر
أصغي الى ترتيل آيات الجمال مع الطيـــــور
وأشم نوار الخمائل حين يعبق بالعبـــــير
وأتابع الافراخ في أشجارها أو في الوكـــــور
وأبحث عن بيض الطيور لدى المغاور والوعـــور (1)
أحكي ثغاء الشاة أو أحكي الصفير مع النســـور
وصدى الكهوف مع الجداول ، والغراب اذ يطير
أمضي لتحقيق الاماني لا أبالي بالفتـــــور. (2)

وواضح أيضا أن الصورة الشعرية في الابيات منتزعة من الطبيعة بما فيها من انسجام أو تناقض ، لقد نحت العقون صوره من الطبيعة بعناصرها ومكوناتها ، مثلما نحت ذكريات صباه في أرجاء تلك الطبيعة ، فكانت تلك الصور - بحق - مستوعبة حجم التجربة التي مر بها ، واذ الاحظنا أنه من الصعب الالمام بجوانب الصورة - في هذه الابيات - لانها مزيج متداخل من الالوان والاصباغ والحركة المتجانسة حينا والمتنافرة حينا آخر ، فلان الشاعر قد انساق وراء الايقاع الموسيقي الذي تحدثه الالفاظ ، فراح يحشدها دون الانتباه الى طبيعة العلاقة المعنوية القائمة بينها والى قيمة الاثر النفسي الذي تخلقه في نفس القارئ ، واذا كان هذا التداخل والتشويش في عناصر الصورة وكثافة الالوان بها في غير تناسق وانسجام قد أحدث ارتباكا وتفككا في بنائها فان هنـاك من يرى ((أن ألوان الاشياء وأشكالها هي المظاهر الحسية التي تحدث توترا في الاعصاب

(1) في بداية البيت خلل عروضي واضح .
(2) البصائـــــر ، 52 ، 1948/10/11 .

وحركة في المشاعر))(1) ثم ان ذلك التشويش يتناسب مع فوضى الطفولة وعبثها البريء الذي لا يخضع للمنطق والنظام ، ويتفق مع ممارساتها العشوائية ، وتنقلها من نمط من اللعب الى آخر تنقلا مفاجئا سريعا ، فوثبات العقون من أجل اقتناص الالفاظ ذات الجرس الموسيقي لتلوين صوره وتوشيتها مناسبة لوثبات الاطفال وخفتهم ، وولوعهم بكل جديد منمق ، وتركهم الشيء بمجرد اكتشاف غيره ، ومن هنا لم نجد عنده استراحة في ظل طبيعة معينة كما هو الحال عند الشعراء الرومانسيين الذين يكفيهم ظل الزهرة المتفتحة للنوم في أحضانه ، على أن هذه السمة نجدها حتى لدى الشابي الشاعر الرومانسي ، الذي كان العقون شبه مقيد بأجوائه ، وقد نبه الدكتور محمد ناصر الى هذه العلاقة بقوله : ((ويعتبر عبد الكريم العقون من الشعراء الجزائريين الوجدانيين المتأثرين بشعر الشابي الى حد بعيد ، يبدو ذلك واضحا في لغته وصوره ...))(2). ويضرب الدكتور محمد ناصر مثلا لهذا التأثر بقصيدة " يارفيقي " للعقون التي قارنها بقصيدة للشابي تحمل نفس العنوان ، وخرج بنتيجة مفادها أن القصيدتين متطابقتان من حيث الصور واللغة ، فضلا عن تطابقهما في المضمون ، ويرى أن ذلك لم يجيء عفو الخاطر أو من قبيل التلاقي والمصادفة .(3)

وما ذكره الدكتور محمد ناصر ـ محقا ـ لا ينطبق على قصيدة " يا رفيقي " وحدها ، بل ينسحب على أغلب قصائد الطبيعة لدى شاعرنا ، وقد سبق أن تحدثنا في هذا المضمار عن قصيدة " ذكريات وعهود " ووازنا بينها وبين قصيدة " الجنة الضائعة " لشاعر " أغاني الحياة " فتجلى لنا التماثل بينهما في الصور الشعرية على وجه الخصوص .(4)

وكلف عبد الكريم العقون باستخدام عناصر الطبيعة وأوصافها مادة لبناء صوره وتلوينها تلمسه في جل قصائده الوجدانية ، فمثلا يقول في تصوير منظر الفراشات في فصل الربيع :

(1) د . عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب ، ص 67 .
(2) د . محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 409 .
(3) نفس المرجع ، ص 410 ، 411 .
(4) انظر في هذا الشأن الفصل المتعلق بالشعر الذاتي ، ص 131 ـ 135 .

... والفراشات حائمات مع الزهـــ ـــر يداعبن ثغره في ولـــوع

سابحات مع النسيم المنـــــدى هامسات الى الندى والمزروع

غارقات في حلمها تنشر العفـــ ـــة والطهر والمنى كالربيـــع.(1)

فقد صور الفراشات وكأنهن فتيات في أثواب قشيبة وحركة دائرية رشيقة ،تفوح منهـــن رائحة العفة والطهارة والبراءة ،وقد وفق الشاعر — فيما نزعم — في هذه الصورة ،تدل على ذلك احاطته بالمشهد ،ومقدرته على التشخيص ،وما أقامه من علاقات لغوية بين الالفـــاظ حين جعل من امتصاص رحيق الزهر مداعبة ،وللنسيم المندى بحراللسباحة ،وتخيل رفرفـــة أجنحة الفراشات عملية زرع للطهارة والعفة والامنيات .

فهذه الصورة وان كانت حسية في بعض جوانبها — لان رسم الشاعر لحومان الفراش حول الازهار هو نتاج حاسة البصر — الا أنها ليست حرفية جامدة ،فقد استعان الشاعر بخياله وغرف منه في غير اسراف ،اذ من طبعه أنه لا يبتعد بخياله كثيرا ،فلا نعثر لديـــه على هذا الجموح المفضي الى الغموض ،ولا على تلك الصورة المركبة والمعقدة التي قـــد يستعصي فهمها على القاري كما هو الحال عند فحول المدرسة الرومانسية .

وخلو الصورة الشعرية من جموح الخيال ،وآثار التهويمات البعيدة ظاهرة شائعـــة في الشعر الجزائري الحديث ،حيث لم تعرف الصورة الوجدانية في هذا الشعر ما عرفته عند الشعراء الفرنسيين أو الانجليز من غرابة واقتران الرائع بالفظيع مبالغة في مفاجـــأة القاري وادهاشـــه.(2)

وكلف الشاعر عبد الكريم العقون بجعل عناصر الطبيعة مادة لاصباغه وألوانه نلمسه ايضا حين نقرأ وصفه لنهر "الجواهر" حيث يقول مناجيا مدينة فاس:

اني حلمت بنهرك الرقراق يشدو بالخريـــــر

(1) البصائـــر،74، 1949/04/04.

(2) د. محمد ناصر،الشعر الجزائري الحديث ،ص 412.

مسترسلا في السير لا يثني خطاه ولا يخــــور
شق المدينة تائها بخلوده أبد الدهـــــور
متمائلا نحو السهول الخضر والروض النضـــير
يطفي لهيبا كاد أن يقضي على العشب الخضير
وحنا عليها كي يقبل ثغرها الحلو الطهـــور
فتتيه باسمة مع الاكوان كالطفل الغريـــــر .(1)

فالصورة الشعرية في هذه الابيات متوجة كتموج مياه النهر في سيرها بين السهول والصخور نحو المصب ، واذا كانت صورة النهر ثابتة في ذهن الشاعر ، وخالدة أبد الدهــر ــ حسب زعمه ــ الا أنه تجنب الوقوع فيما يماثل تخيله لهيئة النهر المستقرة في وضعهـــا بل طبع الصورة التي رسمها بطابع آخر يوحي بحركة داخلية دائمة . ثم يستطرد الشاعر في تتبعه لحواشي الصورة السابقة قائلا :

يتلو أهازيج الاماني للكبير وللصغـــــــير
للطير للشفق الجميل ، وللحياة وللصخـــور
للعاشق الولهان يأسو قلبه الدامي الكســـير
ويزيح عنه لاعجا كاد يعصف بالصـــــدور
ويهز أوتار القلوب اليائسات من الســـرور
فتصير تطفح بالاماني المائجات مع الشعـــور.(2)

ويتبدى لنا حنين الشاعر الجارف الى اللفظة بما تحمله من ايقاع ، فيلجأ الى حشـد الكلمات رابطا بينها بحروف العطف حينا ، ومهملا للروابط اللفظية أحيانا أخرى مثل قوله : ((يتلو أهازيج الاماني للكبير ، وللصغير ، للطير ، للشفق الجميل ، وللحياة وللصخور ، للعاشق الولهان)) . ونحن لا ننفي أن يكون مصدر هذه الحشود اللفظية هو الدفقة الشعوريـــة

(1) البصائـــــر ، 181 ، 1952/01/21 .
(2) نفـــس المصـــــدر .

ولا نزعم أنها متخيرة مقتنصة بعناية وتكلف ،ولكننا نحسب أنها قد أثقلت الصورة الشعرية بزوائد هي في غنى عنها ،ان لم تكن قد ساءت الى اشراقها بما حملته من تناقضات (الكبير والصغير ،الحياة والصخور ،الطير والشفق الجميل •) ولا ندري ما بين هـــذه الالفاظ من علاقة ،اللهم الا النغمة الموسيقية ،والايقاع الذي تحدثه في أذن السامـــع وهذا أيضا من الاشياء التي تسترعي الانتباه في شعر أبي القاسم الشابي الذي عـــرف بتكثيف الصور بالالوان الممزوجة على تنافرها أو تناسقها ،واشتهر أيضا بالجري وراء الالفاظ التي توفر له جوا موسيقيا معينا داخل النص الشعري ،بغض النظر عن قيمة ما تضيفه تلك الالفاظ الى الصورة من جديد •(1)

ولعل القارئ يدرك تراكب الصور في الابيات السابقة وترادفها بسبب ذلك التكثيف اللفظي ،والخيال المبلبل المضطرب ،غير أن ((تراكب الصور وترادفها ليس معيبا في ذاته فان الامر متوقف على مدى نفاذ التوتر الانفعالي أو العاطفة الشاعرية • • • فحيوية المساق ذاتها تؤدي بنا الى الانفطن الى كثرة أو مفاظلة بين الصور)) •(2)

ونحسب أن التوتر الانفعالي ماثل ونافذ في أنفسنا ،وأن المساق الحيوي العذب قد هيأ خيالنا للتقبل ،وهذا غاية ما يتمناه متذوق فن الشعر•

وصفوة القول ان الصورة الشعرية عند العقون يتجاذبها تياران ،وتحكمت الموضوعات في نمط وطريقة بنائها ،ومادتها كما هو الحال بالنسبة للغته الشعرية •

---

(1) د • عبد القادر القط ،الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ،ص • 368

(2) د • مصطفى ناصف ،الصور الادبية ،دار الاندلس (بيروت) ط3/ ،1983 ص 245 •

خامسا : البنيـة العامـة :

اذا كان مفهوم الشعر لدى الشعراء الجزائريين في العصر الحديث مستمدا من مفهومه لدى النقاد العرب القدامى - كما أشرنا من قبل - فاننا لا ننتظر منهم فهما جديدا للقصيدة من حيث بناؤها الفني لما بين الشكل والمضمون من علاقة وطيدة .

ومن سمات القصيدة العربية القديمة أنها متعددة الاغراض ، ومن اشكالاتها التي ظلت تشغل بال الدارسين الى يومنا هذا مدى توافرها على الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية ، وقد راح البعض يبرهن على توفر هذين العنصرين أو أحدهما على الاقل ، في حين نفى البعض الآخر عنها ذلك ، وسعى فريق من النقاد الى البحث عن مسوغات لظاهرة بنية القصيدة العربية القديمة مثل الدكتور عبد القادر القط الذي يرى ((أن ما يسميه الدارسون "تعدد أغراض" في القصيدة القديمة كان نابعا من اختلاط التجربة الذاتية بالتجربة الجماعية ، ومن امتزاج الشاعر بحياة قبيلته ...))(1)

واذا كان من الثابت أن الشعراء الجزائريين قبل الثورة وأثناءها قد ساروا على نسق القصيدة القديمة في الغالب كما يقول الدكتور عبد الله ركيبي (2)، فان السؤال المطروح هو: "ما السبب في ذلك ؟"

وبغض النظر عن فهم هؤلاء الشعراء لوظيفة الشعر - والذي بني على أساس قديم - وبغض النظر عن نوعية ثقافة الشعراء ، والمؤثرات التي وجهت فنهم ، وظروفهم الخاصة وما الى ذلك ، بالرغم من هذا كله فان من النقاد من حاول التماس مبررات أخرى لدوران القصيدة الجزائرية في فلك القصيدة القديمة ، لا سيما فيما يتعلق بالناحية الفنية ، فالدكتور نسيب نشاوي يرى أن ((الظروف الحرجة التي ظهر فيها هذا الشعر ... لم تكن لتتيح له الانطلاق الكامل في المسارات الابداعية ، والدعوات التجديدية في هيكل القصيدة وبنائها الفني

(1) د . عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ص326 .
(2) د . عبد الله ركيبي ، قضايا عربية في الشعر الجزائري ، ص245 .

عنوان مناسب لمحتوى القصيدة بأكملها فيلجأ الى هذه الطريقة ،فان ذلك لا ينطبق على كل تلك الاشعار،وبالتالي لا ينسحب على شعر العقون كله ،فقد وجدناه يعدل في بعض الاحيان عن تسمية القصيدة بشطر بيت منها ،ولا سيما في القصائد التي تشمل موضوعا واحدا الا أنه مع ذلك لا يجتهد في صياغة عنوان جذاب ودال على المضمون ،بل نراه يأتي بعنوان يوحي بفكرة القصيدة في بساطة متناهية مثل : يارفيقي ،فتاة ،تباشير الصبح ،بجاية قسنطينة ،تحية البصائر،تحية المغرب ،تحية عبد الكريم الخطابي الخ ...

واذا كانت هذه الخصائص التي ذكرناها كلها من سمات القصيدة العربية القديمة مما يوحي بتأثر شاعرنا بالشعراء القدامى في طريقة بناء القصيدة ،فانه حاول الافلات من قيد القديم وأسره في بعض الجوانب ،خاصة فيما يتعلق بأحادية الموضوع وتعدده .

واذا أخذنا برأي الدكتور محمد ناصر الذي يفرق فيه بين وحدة الغرض ووحدة الموضوع باعتبار أن الغرض أشمل من الموضوع(1) رأينا أن القصيدة عند عبد الكريم العقون ليست ذات أغراض متعددة ،فلا نعثر في شعره على الغزل والمدح والشكوى الخ ... - مثلا - ضمن القصيدة الواحدة ،وانما الذي نجده في القصيدة الواحدة هو الموضوعات المتعددة ،وأكثر ما يصادفنا ذلك في الشعر الوطني والقومي ،أما في الشعر الذاتي فان القصيد غالبا ما تكون أحادية الموضوع،وكأني بالشاعر في شعره الوطني والقومي يريد أن يقول كل شيء في آن واحد ،فهو يتحين الفرصة للتعبير عن رأيه ،حتى اذا ما وجد الى ذلك سبيلا راح يصب جميع أفكاره دفعة واحدة ،تقاربت أم تباعدت هذه الافكار. وقد بينا في الفصول السابقة أن شعر العقون في مجمله تحكمه المناسبة والظرفية ،وأنه نظم ليلقى وينشد ،وبالتالي فهو ينتهز أية فرصة تواتيه فيستعرض كل القضايا المطروحة في الساحة السياسية والاجتماعية ،فينجر عن ذلك تعدد المواقف وتباين الموضوعات في القصيدة الواحدة .

(1) د . محمد ناصر،الشعر الجزائري الحديث ،ص473 .

فبمناسبة عيد المولد النبوي يشارك الشاعر في احياء حفل ديني بقصيدة[1] يتحدث فيها عن ليلة المولد ، ويثني على شهر " ربيع الاول " الذي ولد فيه سيدنا محمد (ص) ثم ينتبه الشاعر الى واقع أمته فيشكو حالها الى الرسول الكريم خارجا بذلك عن الموضوع الاصلي ، وبعد استعراض الوضع الاليم للامة ، يدعو الشباب الى العمل على تغيير هذا الوضع ، ثم يعمم الدعوة لتشمل الشعب كله ، فيحثه على كسر القيد ، والانتباه من الغفلة والنهوض لتحرير القدس السليبة ، ثم ينتقل الى الفخر بأصله العربي ، وبأمجاد الاسلاف ويختم القصيدة بالدعوة الى تجديد عهد النبي (ص) .

وهكذا نلاحظ أن عبد الكريم العقون قد ضمن قصيدته عدة موضوعات ، ولكننا لا نستطيع القول ان قصيدته اشتملت على عدة أغراض ، ونلاحظ أيضا أن تلك الموضوعات متقاربة ، فهو وان لم يهتم بوحدة الموضوع ولم يحترمها الا أنه لم يخرج عن الغرض العام للقصيدة والمتمثل في الاصلاح ، وان كنا لا نشك أيضا في أن ذلك يجني على الناحية الفنية ، ولعله ليس من حقنا — اذا أردنا أن ننصف الشاعر — أن نحاسبه على هذا الخلط لانه منطق فرضه فهمه للشعر ، ووظيفته .

وصفوة القول أن عبد الكريم العقون يتخذ في البداية موضوعا واحدا لقصيدته ولكنه لا يلبث أن يترك ذلك الموضوع ليفرع عنه قضايا أخرى ، قد لا تتصل بما بدأ به ، ولا نظن أن النفس الشعري هو الذي يخونه ، فيقصر به عن استقصاء موضوعه الاساسي ، واستيفاء معانيه ، بل نرد ذلك الى تداعي الافكار لديه ، حيث توحي له كل فكرة بفكرة أخرى ، وتنثال عليه ، وربما تتصارع في وعيه وتستبق ، فيضطر الى التنفيس عن كل ما يجيش به صدره ، والتعبير عن كل ما يدور بخلده حتى وان اقتضى منه ذلك الاكتفاء بالاشارة والتلميح ، عوض التفصيل والتوضيح ، ولكننا اذا كنا نلمس هذه الحقيقة في شعره الوطني والقومي فاننا نفتقدها في شعره الذاتي ، حيث لا يتخذ من الموضوع الاصلي للقصيدة مطية لبلوغ مآرب متعددة

---

(1) انظر القصيدة في الملحق ، ص 234 ، وقد نشرت بالبصائر ، 24 ، 1948/02/23 .

بل انه غالبا ما تقتصر القصيدة الذاتية لديه على فكرة عامة واحدة، وموقف شعوري واحد ومن هنا يمكن القول: ان الوحدة الموضوعية وان توافرت في أغلب شعره فانها تتوفر بشكل أفضل في شعره الذاتي سواء كان غزلا أو وصفا للطبيعة، ولعل هذا ما يقوي زعمنا بأن المناسبة الوطنية هي التي تجعله يهيم بين مختلف القضايا ، وهي التي تطوح به في مختلف الموضوعات، فيحاول استعراضها جملة في آن واحد، وفي نفس المناسبة.

ومن قصائده الذاتية التي يمكن أن نمثل بها على قوة وحدة الموضوع في شعره الذاتي يا بحر(1)، يا رياضا هجرتها(2)، يا رفيقي(3)، يا شعر(4)، فتاة(5)، تناديك روحي(6) الخ ... وغيرها من أشعار الطبيعة والشكوى والحب.

ب : الوحدة العضوية :

ليست الوحدة العضوية مسألة هينة في العملية الابداعية، فهي لا تتاح حتى لبعض كبار الشعراء المعاصرين، فما بالك بالشعراء القدامى والمحدثين.

واذا كانت الوحدة الموضوعية لا تتطلب من الشاعر سوى استحضار موضوع بعينه، وعدم الخروج عنه من بداية القصيدة الى نهايتها، فان الوحدة العضوية تستدعي بقاء الحبل الشعوري لديه متصلا حتى تغدو أبيات النص الشعري نسيجا مترابطا لا يمكن أن يستل منه خيط دون أن يتهلهل النسيج بكامله، ويتمزق.

فالوحدة العضوية انما تنتج عن أحادية التصور، واتصال حبل الشعور، والقدرة على الترجمة عن الاحاسيس، والخبرة بالصياغة الفنية، فهي من الاعمال الشاقة والدقيقة التي

---

(1) انظرها في الملحق، ص 230، وقد نشرت بالبصائر، 13، 1949/11/10.
(2) انظرها في الملحق، ص 245، وقد نشرت بالبصائر، 63، 1949/01/24.
(3) انظرها في الملحق، ص 263، وقد نشرت بالبصائر، 201، 1952/09/15.
(4) انظرها في الملحق، ص 267، وقد نشرت بالبصائر، 230، 1953/05/22.
(5) انظرها في الملحق، ص 249، وقد نشرت بافريقيا الشمالية، العدد 3، 1949.
(6) انظرها في الملحق، ص 250، وقد نشرت بافريقيا الشمالية، العدد 4، ماي 1949.

يؤديها الشاعر،وان كانت تأديتها تتم بصورة عفوية،فالى أي حد توفرت الوحدة العضوية في شعرعبد الكريم العقون ؟ وللاجابة عن ذلك ينبغي أن ننظر الى شعره باعتبار الاتجاهات الموضوعية التي سبق أن صنفناه بحسبها . واذا قمنا بهذه العملية،ونظرنا بهذا الاعتبار فاننا نفتقد الوحدة العضوية في شعره الوطني والقومي،فلا نجد ضمن القصيدة الواحدة شعورا متصلا وبنية متماسكة،وصورة كلية واحدة،وانه لمن الصعب حقا أن نطلب الوحدة العضوية في قصائد تكاد تغيب فيها حتى الوحدة الموضوعية،حيث يتناول الشاعر في النص الواحد قضايا مختلفة تتباين فيها المواقف،وتتعدد المشاعر ويضيع الرابط النفسي بين الاجزاء،بحيث تغدو القصيدة عبارة عن مقاطع يصلح كل منها أن يكون بمثابة قصيدة مستقلة .

على أن هذه الوحدة التي تفتقر اليها المقاطع مجتمعة،تتوفرعليها منفصلة،وحسب الشاعر ذلك،حيث نظن أن تمكنه من تحقيق نموعضوي يفضي الى وحدة متماسكة ضمن المقطع الواحد في القصيدة مسألة في غاية الاهمية،خاصة اذا أخذنا بعين الاعتبار فهم الشاعر للشعر ووظيفته،الذي لا يساعد على تحقيق الوحدة بين أبيات المقطع الواحد فما بالك بين أبيات القصيدة كلها .

على أننا اذا تركنا الشعر الوطني والقومي،ونظرنا في شعره الذاتي تبدى لنا نجاح الشاعر في توفير الوحدة العضوية بعدة قصائد،وربما يرجع ذلك أساسا الى طبيعة هذا الشعر نفسه،فهو الشعر الذي يكون أكثر استجابة للتفجيرات النفسية،وأكثر تعبيرا عن خلجات النفس،وهو أبعد ما يكون عن مجال الفكر واعمال الذهن،اذ الشاعر لا يناقش قضية ما ولا يهتم بايراد البراهين والحجج المقنعة،لانه واقع تحت تأثير عواطفه،فلا يسعه الا نقلها بسجية وعفوية،ومن هنا نجد حبل المشاعر متينا في القصيد الذاتية،فيغدو النص الشعري لوحة شعورية متكاملة،وحسبنا أن نعود الى قصائده الذاتية لندرك هذه الحقيقة،ومن تلك القصائد :

يارفيقي[1]، ياريانا هجرتها[2]، ياشعر[3]، وأخيرا فان الشاعرعبد الكريم العقون قد سار في اتجاهين فنيين بارزين في الشعر الجزائري الحديث، وهما الاتجاه التقليدي المحافظ والاتجاه الوجداني الرومانسي، اللذان يظهران بصورة واضحة من خلال التشكيل الموسيقي واللغة الشعرية، والصورة الشعرية، والبنية العامة للقصيدة.

ففيما يتعلق بالموسيقى لاحظنا أن مسألة انتقاء البحور والقوافي لديه ظلت تخضع لاعتبارات موضوعية، واعتبارات صوتية، وأنه لم يخرج فيها عن الاطار القديم، فجاءت القصيدة موحدة الوزن، مطردة القافية، ومتضمنة لكل الخصائص الموسيقية للقصيدة العربية القديمة

وبالنسبة للغة الشعرية لاحظنا أنها كانت قاموسية معجمية وجافة في الاشعار التقليدية المحافظة، وأكثر ايحاء ورواء وخفة ورشاقة في الاشعار الوجدانية الرومانسية.

وكذلك الحال بالنسبة للصورة الشعرية، فهي متحجرة جامدة ومحنطة مبتذلة في الشعر التقليدي، موحية حركية وذاتية في الشعر الوجداني.

كما أن بنية القصيدة لديه اختلفت من اتجاه الى آخر، فوجدناه وهو يتجه اتجاها محافظا شديد التعلق بالقدماء في بناء قصائدهم من حيث احكام الصياغة، وتصريع المطالع وتعدد الموضوعات ضمن القصيدة الواحدة، والاعتماد على البيت كوحدة أساسية مستقلة بذاتها، في حين تأخذ القصيدة طابعا مغايرا في شعره الوجداني، فتكون أكثر تماسكا وتلتحم أبياتها الى درجة أنها تكون في معظم الاحيان وحدة عضوية، ناهيك عن وحدة الموضوع التي تتجلى بصورة ملحوظة، يضاف الى ذلك تخلص الشاعر من كثير من القيود القديمة كالتصريع، والعناية بالصياغة.

---

(1) انظرها في الملحق، ص 263، وقد نشرت بالبصائر، 201، 1952/09/15.
(2) انظرها في الملحق، ص 245، وقد نشرت بالبصائر، 63، 1949/01/24.
(3) انظرها في الملحق، ص 267، وقد نشرت بالبصائر، 230، 1953/05/22.

— خاتمة —

رمى هذا البحث الى التعريف بالشاعر الجزائري عبد الكريم العقون وشعره تحقيقا ودراسة وتحليلا ،وقد توصل الى نتائج أهمها :

1 ـ ان لهذا الشاعر انتاجا شعريا مبعثرا ظل مجهولا ،الى أن سخرنا الله للكشف عنه ،فضممنا شتاته بحيث أضحى يشكل ديوانا محترما ،قريبا من أيدي الباحثين والدارسين .

2 ـ ان هذا الشعر تتجاذبه ثلاث اتجاهات موضوعية هي على الترتيب حسب أهميتها فيه : اتجاه وطني واتجاه قومي واتجاه ذاتي .مما يدل دلالة واضحة على التزام الشاعر بالقضايا المصيرية لشعبه ووطنه وأمته ،بحيث كاد يتنكر لذاته ،فقد أوقف فنه على خدمة تلك القضايا ورصدها مما جعل المناسبة الظرفية تتحكم فيه . وكثيرا ما تتخذ المناسبة الخاصة طريقا للتعبير عن مختلف المسائل المطروحة على الساحة الوطنية أو العربية ولا أدل على التزام الشاعر من أنه عندما يرجع الى ذاته وينصاع لاحاسيسه الخاصة لا يفصل بينها وبين القضايا الموضوعية الغيرية التي تكون منعكسة في حديثه عن ذاتيته .

3 ـ ان هذا الانتاج الشعري اذا كان له قيمة كبيرة من الناحية الفكرية بحيث يكاد يكون سجلا لنضال الشعب الجزائري منذ منتصف الاربعينيات والى منتصف الخمسينيات وترجمة للوعي السياسي والوطني وتطوره ،ومظهرا من مظاهر الثقافة والفكر في الجزائر خلال هذه الفترة فانه من الناحية الفنية لا يبلغ هذا المستوى المشرف ،سواء فيما يتعلق بجانب الموسيقى أو الصورة الشعرية أو اللغة الشعرية أو البنية العامة .

4 ـ ان عبد الكريم العقون كان يجمع في نفس الوقت بين اتجاهين فنيين هما الاتجاه التقليدي المحافظ ،والاتجاه الوجداني الرومانسي اللذان تعايشا جنبا الى جنب في كل ما نظمه ،بحيث لم يلحظ أي تطور لديه ،أو انتقال من اتجاه الى آخر . ولكن

من ناحية أخرى اتضح بأن كل اتجاه فني ارتبط بموضوعات معينة ،وهكذا كان الاتجـــاه التقليدي المحافظ يطبع شعره الوطني والقومي ،في حين كان الاتجاه الوجداني الرومانسي شديد الصلة بأشعاره الذاتية .

واذا كان هذا التمايز بين الاتجاهين المذكورين لم يظهر من خلال التشكيل الموسيقي الذي طغت عليه الصبغة التقليدية فجاءت النصوص الشعرية أحادية الوزن مطردة القافيــة على الطريقة الموروثة عن القدماء ،وطبقا لنظريات العروضيين في العصور الادبية الاولـــى فانه تجلى بصفة محسوسة في اللغة الشعرية والصورة الشعرية البنية العامة ،فاتسمت اللغة فــي شعره الوطني والقومي بالتقريرية والجفاف ،والدلالة المعجمية والاستخدام القاموسي في حين اتسمت في الشعر الذاتي الذي يترجم فيه نزعة وجدانية رومانسية بالايحاء ،والتصوير والهمس والتكثيف ،والرواء ،وكذلك الحال بالنسبة للصورة الشعرية التي اتسمت بالتحجـــر والنمطية والابتذال في الشعر التقليدي ،في حين انطبعت بالذاتية ،والايحاء والحركيـــة والحيوية في شعره ذي الموضوعات الوجدانية العاطفية .

أما على مستوى البنية العامة فتميزت القصيدة عنده بضعف الوحدة الموضوعية ،وتلاشي الوحدة العضوية وانعدامها في الشعر ذي الموضوعات الغيرية في حين كانت أكثر تماسكا في الشعر الذاتي الذي ارتبط بالوجدانية والرومانسية الى درجة أصبحت معها الوحـــــدة الموضوعية لافتة للنظر في هذا الشعر ،كما عرفت الوحدة العضوية هي الاخرى طريقها الـــى كثير من النصوص الشعرية .

وبعد فان عبد الكريم العقون لم يخرج في ابداعه عن اطار الحركة الشعرية الجزائرية الحديثة ،فظل متأرجحا كغيره من الشعراء الجزائريين بين اتجاهين سيطرا بقوة على الشعر الجزائري الحديث ،ولم يكن شاعرا تقليديا بالمعنى التام ،ولا مجددا افتا للانظار كظاهرة متفردة وانما كان ينهل من نفس المورد الذي يرتوي منه بقية زملائه من شعراء الاربعينيات ،وكان شعره صدى لما يطبع الساحة الوطنية والعربية من أحداث ،وما يتردد داخله من أنفاس ،وتنازعه فــي ذلك التقليد وروح التجديد ،كما تجاذبته القوة والضعف الفني .

- تمهيد -

ان الذي دفعني الى أن أشفع هذا البحث بملحق أجمع فيه ما تيسر لي جمعه من أشعار عبد الكريم العقون ،هو عدم وجود ديوان مطبوع يضم تلك الاشعار التي أرى من المفيد أن يطلع عليها القارئ ، في انتظار أن تتولى يد جليلة نشر هذا الاثر الذي يعد جزءا من تراثنا الشعري الحديث ، ومرجعا لثقافتنا الوطنية .

هذا من جهة ،ومن جهة أخرى فانني وجدت بحثي هذا اذا خرج الى الوجود من غير المادة التي انصب عليها لا يعني شيئا ،ولا يضيف جديدا في حقل المعرفة ،ومن جهة ثالثة أشفقت من أن يضيع ما تبقى من انتاج هذا الشاعر كما ضاع بعضا منه لا نعرف مقداره ان كان يسيرا أم كثيرا ،خاصة ما لم ينشر في الصحف الوطنية .

وفضلا عن هذا وذاك فانني أعتبر عملي المتعلق بالبحث في انتاج الشاعر عبد الكريم العقون مزدوجا ،حيث يتمثل في جمع أشعاره وتحقيقها ،بالاضافة الى دراستها ،ومن هنا ارتأيت تثبيت هذه الاشعار في آخر البحث حتى لا يكون عملي مبتورا مبتسرا .

هذا وقد تمكنت من جمع واحد وخمسين نصا شعريا هو كل ماعثرت عليه من انتاج الشاعر في الصحافة الوطنية ،أو لدى أصدقائه أو عائلته . وقد أخبرتني زوجته بأن أشعارا له قد أتلفت بعد القاء القبض عليه من طرف السلطة الاستعمارية ،هي كل ما نظمه في الثورة التحريرية .

والملاحظ أن أغلب ما وقفت عليه من انتاج الشاعر منشور بجريدة البصائر أو بغيرها من الصحف ،الا أنني لم أكتف بما هو منشور ،ورحت أبحث عن نصوص أخرى غير منشورة فاهتديت الى عدد لا بأس به ،فقد عثرت على مخطوطة من ديوان الشاعر لدى عائلته احتوت على معظم النصوص المنشورة ،وبها نصوص أخرى لم تنشر ،وهي عبارة عن كراسة قياس 16 سم على 22سم ،تضم ثمانين ورقة مكتوبة على وجه واحد بحبر بنفسجي ،وخط نسخي جميل ،ولكنه ليس خط الشاعر ،بدليل أنني عثرت في ختام احدى القصائد على توقيع

الناسخ الذي لم يكتب بوضوح ،مما جعلني لا أتمكن من معرفة الاسم الكامل ،وقد اجتهدت في التعرف عليه فلم أصل الى نتيجة ،وربما يكون الاستاذ عيسى دوس أو حسن الدويسي ،وكلاهما من أصدقاء الشاعر .

ولم يشر الناسخ الى تاريخ نظم القصائد أو تاريخ نشرها أو موضع النشر ،مع أننا نرجح تدوينها بعد نشرها ،بدليل أن ترتيبها في المخطوطة لا يتوافق مع التسلسل التاريخي لنشرها ،وعلى سبيل المثال فان أول قصيدة في المخطوطة وهي بعنوان " يا رفيقي " نشرت عام 1952 ،في حين توجد قصائد عديدة نشرت قبل هذا التاريخ مثل قصيدة " يا شبابا قد طال نومك فانهض" التي نشرت عام 1938م ،في حين احتلت المرتبة الثالثة عشرة بالمخطوطة .

وربما يكون الشاعر قد دفع بأشعاره التي بين يديه الى الناسخ فبدأ هذا في التبييض غير مراع التسلسل الزمني أو التصنيف الموضوعي ،فلم يكن تصنيفه للقصائد خاضعا لاي اعتبار من الاعتبارات المعروفة والمتفق عليها في ترتيب الدواوين الشعرية مثل مراعاة تاريخ النظم ،أو الموضوعات ،أو القوافي أو البحور الخ ...

ومما يقوي ما ذهبنا اليه من أن القصائد قد نسخت بالكراسة بعد نشرها في الصحف هو كونها مصدرة بديباجة الجريدة التي كانت تقدمها الى القراء بالتعريف بمناسبتها ،أو باطرائها والثناء عليها .

ثم أن عدم خضوع ترتيب القصائد لاي منطق جعلني لا أتقيد به ،في هذا الملحق فرتبتها ترتيبا تاريخيا ،مراعيا في ذلك تاريخ النشر في الصحافة ،وهنا واجهتني مشكلة النصوص التي لم تنشر ،ولم أستطع تحديد تاريخ كتابتها ،فأرجأتها للاخير ،ورتبتها ترتيبا أبجديا حسب حرف الروي .

وقد قابلت بين ما هو مخطوط وما هو منشور مما توفر لي فيه الجانبان ،وعلقت على الاختلافات الموجودة ،كما قمت بشرح بعض الالفاظ الصعبة ،وتوضيح المناسبات المبهمة

وعرفت بالاشخاص الذين ورد ذكرهم في ثنايا الاشعار، كما أشرت الى الاخطاء المنصبة والكسور الوزنية، هادفا من وراء ذلك تقديم انتاج الشاعر الى القراء على الصورة الاصلية أو ما يقاربها على الاقـــل .

السمائر 201 — 15-5-52

بسم الله الرحمن الرحيم

يا رفيقي!..

هات يا خدن حياتي نغماً ينسي الألم!
رجعه ترديد أشعار بها يحلو النغم
الله يحدو بأرواح ظماء تضطرم
تائهات في مجالي الخلد نشوى بالحلم
حلقت في عالم السحر الوضيء المبتسم
حرة تهوى المعالي ذات وجد بالقمم
فرمت من سجنها الداجي فثارت كالحمم
قيدت في حمأة الطين بجسم ينعدم
فغدونا نهفو إلى سر الوجود المكتتم
روحي حيث تشائين رفيفاً كالنسم
ساعفيني في نشيد مثل در منتظم
يا خليلي غنت الأكوان لحناً منسجم!
رددت أصداءه هذي الدنا منذ القدم
دبت النشوة في أرجائها حتى القمم
غرد الطير بلحن ساحر يحيي الهمم

❦ ❦ ❦

يا رفيقي منذ أن يممت هذا المزدحم!
ضاحكاً عند سروري باكياً حين السقم
أنت مني وأنا منك فقد عني السأم
لا تكلني لهموم بفؤادي تصطدم
من حنايا أضلع حرى كنار تحتدم
وافني تصدح كلانا نغماً عذب الكلم

❦ ❦ ❦

يا نجيي في وجود مثل بحر ملتطم!
زاخر بالظلم والحقد مليء بالنقم
لم أجد غيرك خدناً إن قسا الدهر رحم
وإذا خان صديق كان لي غر الشيم
قد نفى من بينهم لم تك عندي متهم
أنت للنفس طبيب تبرئ الجرح الورم
وإذا ما جاش بالنفس شعور وازدحم
صغته عقداً من النظم بدا يعامل نغم
أنت من نفسي مشتق وفيها محتكم
فإذا جاء الربيع الطلق تشدو لا تنم
أنت مرآة لنفسي في الشقا أو في النعم
أنت لحن علوي الأنغام رفاف الحلم
هاما مسا ينفث سحراً منه ينفي كل هم
اسقني من نهرك الفياض ما دطغى الظلم
فعليك القلب حوام به شوق أسم
كلما لاح صباح ومشى الليل ادلهم

37 بيتاً

❦

الورقة الأولى من ديوان الشاعر

شباب «الجزائر»، فك القيود! وأثبت وجودك في ذا الوجود
وسر في حمى الله سير الجدود فإنا سئمنا حياة العبيد
وناد الشباب البدار البدار
فهلا تلبي، وهلا تغار؟!

شباب «الجزائر» يا ابن الكرام! قد استعذبوا ورد حوض الحمام
وكانوا أسود الوغى في الصدام وكانوا قديما هداة الأنام
بعدل، ورفق، وحسن جوار
خلال بها كسبوا الانتصار

شباب «الجزائر» يا ابن الألى أشادوا صروح العلى والعلا
مآثرهم أصبحت مثلا بفاس، وبدر، ملاها الملا
تلوح معالمهم كالمنار
وقد سطروها بنور ونار

شباب «ذا الجزائر» كن بلسما! «لشعب» جريح كسته الدماء
فإنك من نشء هذا الحمى وضمد جراحاته كلما
توالت عليه خطوب كبار
فما لك في ذله وانكسار

شباب «الجزائر» كن كالجبال عتيدا لدى الروع ليث نزال
فقد «الشعب» دارة به للكمال وبالعقبات استهن لا تبال
وواصل كفاحك ليلا ونهار
فإنا صروح العدا في انهيار

منظمة المجاهدين [illegible]

خرجنا من المحنة الدامية	وفزنا بآمالنا الغالية
كفحنا كفاحاً مريراً وقد	قبرنا العمر في الهاوية
وحطمنا أغلال كل العدا	ودسنا مظالمه القاسية
بعزم الشباب وقوة	وآماله العذبة الراضية
وكل رجال البلاد جنداً	على الظالم الغاصبين

ذكرنا الشهداء على الرابية

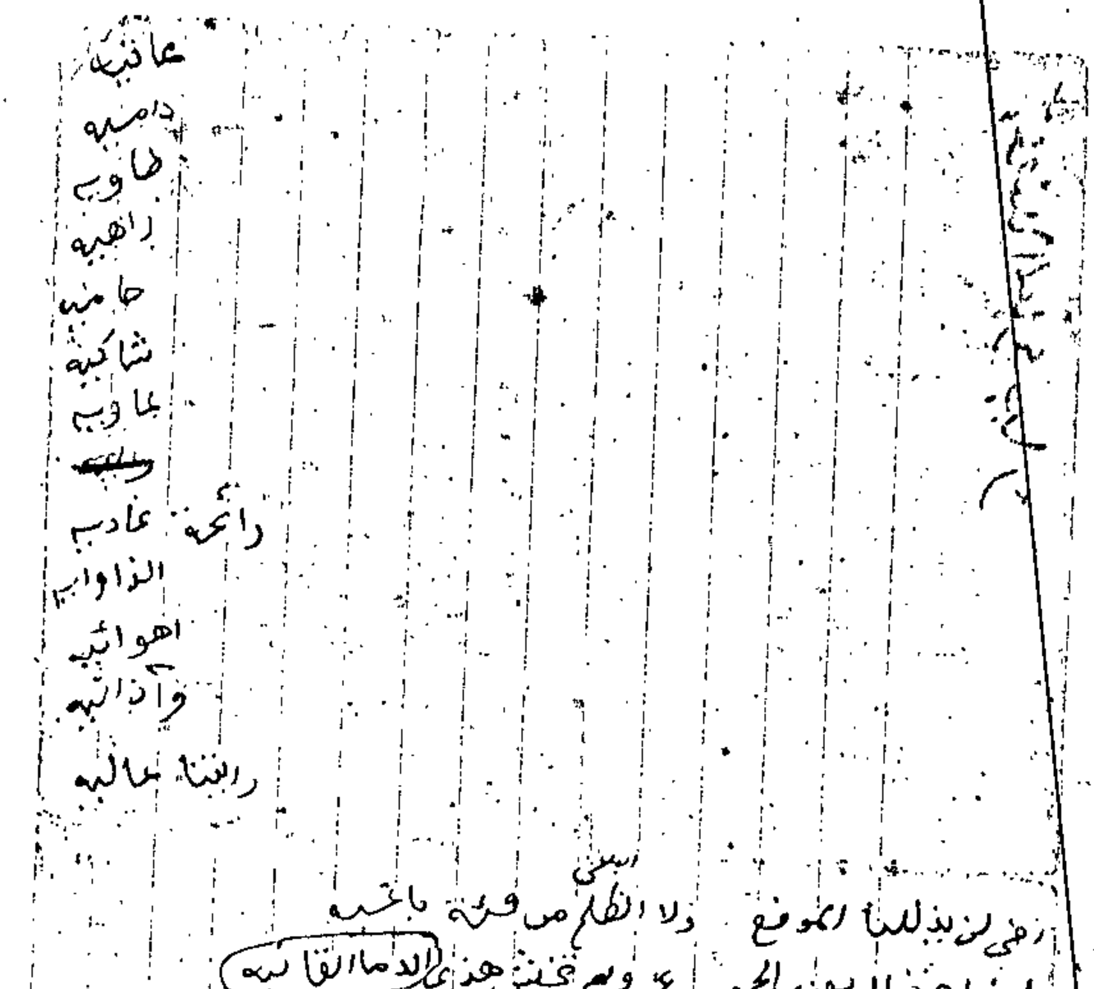
تلوح المعالم خفاقة	مضرجة بالدماء القانية
بدمائه عجباً	السابق للشرف العالية
شباب الشباب	مستكرة غير [illegible]

تنادي هنا مات أجدادنا	وهذي بلادهم الضاوية
ونبتت البلى أعظم	وتلك [illegible]
وهذي دمائهم تنزف	وفي القلب [illegible]
تطل علينا وتنجدنا	[illegible]
وإلا عققتم أجدادنا	[illegible] العالية

[illegible]

عبد الكريم [illegible] المعشوق

[illegible]


عائبة
دامية
طاوية
راهبة
حانية
شاكية
طاوية
رائحة غاربة
الزوايا
اهوائية
وآذانية
رائبة طالبة

رضي لن يبذلنا الموضع ولا الظلم من فتنة ناحبة
اخوان خيالي بهذا الجو وهم تحت هذه الدماء القانية
ولا الطير ووابله دبراته الحامية
جزائرنا حرة

ظهر مسودة قصيدة للشاعر

ياشبابا قد طال نومك فانهـــــض (1)

قيلت في اجتماع الطلبة الجزائريين الزيتونيـــــين

بمعهد ابن خلـــدون .

يا طيور الرياض حي اجتماعـــا حاز فضلا وعزة وارتفاعـــا

حاز فضلا الى المعالي تسامـــى حاملا مجد شعبه واليراعـــا

حاملا نهضة العروبة بالافـــ ـــق(2) علوما(3) ونهضة واصطناعـا

ثم حي "الشمال" ان شعـــوري كاد يقضي عليه قوم ضياعـــا

قد أصيبوا في جمعهم بشقـــاق مرض يبلع الحقوق ابتلاعـــا

ما زرعنا غير الشقاق فلمـــا أينع(4) الزرع أعجب الزراعـــا

ياشبابا لنعتصم باتحـــــاد ولنوحد صفوفنا لنزاعـــا

بالتآخي برقى وبالعلم نحيـــا ونقوي في المعضلات ذراعـــا

أنت يانشء روضة القطر أنـــتم بلبل الدوح تنعش الاسماعـــا

أنت تحمي الشمال(5) من كل وحش كيف ما هم ثعالبا أو سباعـــا

يا شباب الشمال دع عنك جبنـــا وخمولا واقطع عليك النزاعـــا

يا شبابا كن ذا حجى ونشـ وارجع المجد والفخار المضاعـا

ياشبابا قد طال نومك فانهـــض للمساعي فالدهر يجري سراعـــا

⊕ ⊕ ⊕

وسلاما عليكم من شعـــوري ووداعا الى اللقاء وداعـــا

---

(1) نشرت بالبصائر ، 95 ، 14/01/1938 ، بامضاء عبد الكريم "بن العقون" وهـــو خطأ مطبعي .

(2) في البصائـــر" الاخق" وهو خطأ مطبعي .

(3) في البصائـــر" علما" وهو خطأ مطبعي ، لا يستقيم به الوزن .

(4) في ديوان الشاعر" أبلغ" ، ولعله تصحيف من الناسخ .

(5) الشمال : هو شمال افريقيا (تونس ، الجزائر ، المغرب) .

أخـيريـة العقبـي لا زلـت ملجـــــــأ (1)

((من نظم الاديب صاحب الامضاء ،نظمها بمناسبة احتفال أبناء مدرسة الشبيبة بسابع المولد النبوي فيه.)) (الاصلاح)

مشاريعكم يا قوم تحيي المعالمـــا يفوز بها من كان لله بانيـــا
لقد شادها العقبي(2) رمزا الى العلا فكان له الاخوان جندا مصافيـا
أقاموا بها لله دعوتهم فمـــا يزالون فيها أنجما وراريـــا
لعهد قريب أصبحت في رجالنـــا نفوس الى العلياء طارت سواعيـا
نفوس أبيات لها هم علـــت تحاكي نجوما في السماء زواهيـا
وفيها دليل للرقي ونهضـــة اذا كملت أمسى بها الشعب راقيا
وفيها شعور بالعلا وتيقـــظ سيغدو به خظ الجزائر وافيـــا
أولئك أشراف البلاد وفخرهـــا بهم يبلغ الشعب المجيد الامانيـا
أخيرية العقبي لا زلت ملجـــأ الى البؤساء الطالبين المواسيـا
ففي حضنها مهد لنا وسلامـــة وفي ساحها نشئ يروم المعاليـا
ستجني ثمارا يانعات عقولهــم بعلم لداء الجهل لازال شافيـا
بخيرية العقبي يبني شبابنـــا بناء لتشييد المعارف عاليـــا
بخيرية العقبي يذهب جهلنـــا فقد بعث الرحمن للعلم راعيـا
الى العلم للآداب للمجد للعـــلا على رغم أنف الدهر يسعى مواليا
ألا فهو طير الشعب يشدو بلحنـه على فنن رطب يردد شاديـــا
طبيب بتضميد الجراحات ماهـــر به يشتفي من جرحه كان داميـا

---

(1) جريدة الاصلاح ،39 ،1941/05/15.
(2) هو الشيخ الطيب العقبي .

لقد طبب الارواح من داء جهلهـــا كما جدد الاصلاح[1] بالقطر زاكيــا
نؤمل اصلاحا لنا وسعــــــادة ولكن لبيل الجهل ألقى المراسيــا
فلاشعب الا بالعلوم معظـــــم وبالعلم قد تحيا القلوب القواسيــا
ولا شعب الا الفال أس بنائـــــه ولا شعب الا بالمدارس راقيــــا
فأوصيكم أن تنهضوا باتحادكـــم لامدادها كي تبلغوها الامانيــا
وأوصيكم أن تحسنوا ما استطعـتم الى البنت كي تسدوا الى البيت راعيا
أشبان نادي الشيخ قولوا بجمعكم : ((أدامك رب الناس يا شيخ حاميــا))
وما فئة الاصلاح الا كأنجـــــم بهم يهتدي من كان في الليل ساريا
بكم نشر " الاصلاح " راية مجـــده فأصبح مرفوع الدعائم عاليــــا
هنيئا لنا اذ نحن من جنده فقـــد غدا سيف حق للاباطيل ماحيــا
دعوت لكم ربي بانجاح سعيكـــم وللعلم والاصلاح ما زلت داعيـــا

تحيــــة البصائــــــر (2)

لقد عادت لميدان الجهـــــاد لها من قوة الايمان حـــــــاد
وهبت كالنسيم أصاب زهــــرا وأهدى من شذاه لكل نـــــاد
قد احتجبت لاهوال جســـام وها هي ذي تشع على البـــلاد
"بصائر" تستضيء بها الدياجــي ويمحى ما توالى من فســـاد
وتنقشع الغيوم اذا توالـــت على أفق " الجزائر " باطـــراد
ويصعد نجمها أفق الامانــــي فيشرق في النجود وفي الوهـــاد

(1) هي جريدة الاصلاح التي أسسها العقبي سنة 1927، وتوقفت سنة 1930، ثم أحياها من جديد سنة 1940 بعد استقالته من مكتب جمعية العلماء.
(2) نشرت بالبصائر، العدد 02، 1947/08/01. وقد نظمها بمناسبة عودة جريدة البصائر الى الصدور بعد احتجاب دام من 1939 الى 1947.

ألا انّ "البصائر" خـــير داع لشعب هاتف بالمجد شـــاد
ألا انّ "البصائر" خـــير هاد لنشء هب من سنة الرقـــاد
فآيات الطموح الى المعالـــي صحائف حرة فينا تنـــادي
أهني الشعب والفصحى بشمـــس ستهدينا الى سبيل الرشـــاد (1)
تؤلف شمل شعب من شتـــات فيغدو في ائتلاف واتحـــاد
وتنشيء للبلاد صروح مجـــد تشاد على المحبة والـــوداد
وتبعث في الشبيبة روح عـــزم ستصبح للجزائر خير (2) فـــاد
تدل على مؤسسة (3) سنجـــني ثمار جهودها يوم الحصـــاد
تدل على دعاة للمعالـــي شعاعهم الى الآمال هـــاد
لسان العلم والعلماء تشـــدو بألحان يهش لها فـــؤادي
فيا شعب استجب لدعـــاء داع مهيب بالبلاد الى المـــراد
وسر من خلف أنصار هـــداة فهم للشعب كالسحب الغـــوادي
غدوا يبنون مجدا أحمديـــا بأقلام مدربـــة حـــداد
امامهم "البشير (4)" قد استجابـــت لصرخته الحواضر والبـــوادي
تبوأ منهم المهج الغوالـــي بما أسداه من بيض الايـــادي

⊕ ⊕ ⊕

بني وطني أعيدوا مجد قـــوم أقاموه على أقوى عمـــاد
وردوا ما سلبتم من تـــراث حموه مدى الحياة من العـــوادي
وأحيوا شعبكم بالعلم تحيـــوا [illegible]شوكم الى العرفان صـــاد

---

(1) في الديوان "سبيل الرشاد"، والصحيح ما أثبتناه تجنبا لوقوع خلل عروضي.
(2) في الديوان "الجزائر"، ولعله تصحيف من الناسخ.
(3) المؤسسة المقصودة هي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، والتي كانت جريدة البصائر لسان حالها.
(4) هو الشيخ البشير الابراهيمي.

وادوا ما عليكم من حقـــوق لشعبكم وذودوا كل عـــاد
وفكوا قيده لا تتركـــوه يعاني كل ظلم واضطهـــاد
فهبوا يا أسود الله واحمـــوا حمى قد بات في أسر الاعـــادي
وشيدوا مجدكم بجهاد صـــدق فان المجد يدرك بالجهـــاد

تحية عبد الكريم الخطابـــي (1)

قد انفلت الضرغام من عنت الاســـر وحن الى أسد هنالك في مصـــر
الى وطن فيه العظيم معظـــم وفيه يعيش الحر حرا من الاســـر
تيمم اخوانا حموه مـــن الاذى كراما لقوه بالحفاوة والبشـــر
وألفى بوادي النيل جندا مرحبـــا بليث نجا من ظلم قوم ذوي مكـــر
أولئك قوم ذادة الحق ان دجـــا باخوانهم خطب أهابوا الى النصـــر
كذا العرب جسم واحد ان يـــذق أذى تداعت له الاعضاء بالسهد والضـــر
فأكرم باخوان نباهي بعزمهـــم ونجدتهم للعرب في حالة العســـر
وكل ديار العرب دارك فلتكـــن قريرا بعطف النيل منشرح الصـــدر
لقيت من " الفاروق " عطفا ورحمـــة سيرعاهما التاريخ للملك الحـــر
رعى الله " فاروق " المفدى وشعبـــه وأيده بالنصر في المسلك الوعـــر
أيا بطلا خاض المعامع وانـــبرى لاجلاء أعدا البلاد عن الوكـــر
عهدناك لا تلهو عن المجد دائبـــا تشيد له الاركان بالرأي والسمـــر
فما أنت الا السيف سل على العـــدى (2) يذوقون منه الموت بالفتكة البكـــر
وقفت بوجه الظلم تهدم صرحـــه بصدق وايمان وسيفك والفكـــر
ورثت عن الآباء عزا ومنعـــة وخلدت آثارا تشع مدى الدهـــر

---

(1) البصائـــر، 07، 1947/09/19.

(2) في الديوان: " الهدى "، وهو تصحيف من الناسخ.

وعلمتنا كيف النضال الذي بـــــه   نحطم أغلال الطغاة ذوي الغـــدر
لئن صدك استبداد قوم عن الحمى   فشعبك لا ينساك يا طيب الذكـــر
بلى انه يمشي وراءك لا يـــني   كمشيك للعلياء في السر والجهـــر
فما كنت يوما في جهادك وانيـــا   عن المجد تبنيه بأخلاقك الغـــر
تمرست بالهيجاء تمضي تخوضهـــا   فأنت امرؤ الهيجاء والسبق والظفـــر
فكم لك في تلك الميادين صولـــة   تخر لها شم الجبال من الذعـــر
وها أنت ذا تسعى لتحرير أمـــة   بحزم واخلاص أيا بطل العصـــر
تؤمل أن يحيا " الشمال " منعمـــا   بحرية غراء طيبة النشـــر
تؤمل أن تهديه في حالك الدجى   كما يهتدي الساري بمنبلج الفجـــر
يعلق آمالا عليك فراعهـــا   ويبغي لياليه الحوالك كالبـــدر
فكن لبني العرب الميامين قائـــدا   وجدد عهود العرب نسل بني فهـــر
سيبقى على الايام صيتك ذائعـــا   يخلده التاريخ بالنظم والنثـــر
فلله ما كابدته في " جزيـــرة "(1)   بعيدا تعاني شدة الظلم والقهـــر
لبثت بها عشرين عاما على الاذى   فزدت على الابعاد صبرا على صبـــر
ولله ما قاسيته من مكـــاره   حدت بك للهيجاء في جيشك المجـــر(2)
ألا فلتعش " للريف " والعرب حاميا   فانك رمز للمكارم والفخـــر

(1) هي جزيرة " ريشليون " في المحيط الهندي ، امتدت فيها الاقامة الجبرية للامير عبد الكريم الخطابي منذ سنة 1926 ــ 1947م ، حيث التجأ الى مصر .
(2) الجيش المجـــر : كثير العدد .

من وحي البحـــــــر (1)

ها أنا اليوم قد وقفت أنا جيـــــــــك - أيا بحر - فاستمع لنشيــدي
فكلانا في موقف نتناغـــــــــى بأغان سحرية الترديــــــــد
انك اليوم مؤنسي وسمـــــــيري يا نجيي في قفر هذا الوجـــــود
سكنت نفسي الحزينة وارتـــــــاحت الى حسنك البديع الفريـــــد
آثرت قربك الحبيب على كـــــــل رفاقي قد يمهم والجديـــــد
علها في جوارك اليوم تنســـــى ما تعانيه من بلاء شديـــــــد
هل أرى فيك بلسما لجروحـــــي ؟ أو ألاقي تحررا من قيـــــودي ؟
أم كلانا قد أرهقته الليالـــــــي بصروف ما فوقها من مزيـــــد ؟
جئت أقضي النهار فيك لعلـــــي واجد فيك مفزعا للشريـــــــد
شاديا للعباب، للمنظر الفـــــاتن، للموج، للصدى المعـــــدود
ايه يا بحر، أنت فيض من الالــــهام موح للشاعر الغريـــــــد
أنت ألهمتنا الجمال، فرحنـــــا نهتف اليوم باسمه المنشـــــود
أنت سر من الطبيعة مغـــــــــر بجلال، وكبرياء عنيـــــــــد
أنت معنى محجب عن عيونـــــــي لا أرى فيك غير رمز بعيـــــد
تتهادى مرددا نغمـــــــــــات وقعها في النهى كوقع القصـــيد
تتراءى في وحشة واضطـــــــراب وهدير كزفرة المعمـــــــود
يا مثال الجلال، ماذا ينال الــــوصف منك، وما يحيط نشيــدي ؟
أنت مرعى الخيال، مورد الخصـــب، وان كنت فوق كل الحـــدود
ايه ياساكنا على هدأة الريـــــح، ويا ثائرا كزأر الاســــود.
لست تخشى اذا تلبد غـــــــيم أو حوى الليل كل من في الوجـــود

---

(1) البصائـــر، 13، 1947/11/10.

أنت مغري بالغيد (1) ان جئن يوما ... عاريات وباديات النهود

عابثات بمائك الازرق المغـ ... ـري نشاوى بحسنك المعبود

يتملين فيك مرآة سحـر ... شع في عمقها حصى كالعقود

أنت رمز الخلود والحسن فاسلم ... رمز حسن على المدى وخلود

تحية العام الهجري (2)

أطل هلال العام بالافق يسطع ... بنور له الالباب تهفو وتخشع

وجدد ذكرى في النفوس عظيمة ... تروي نفوسا من صداها وتنقع

فيا عام جدد للعروبة عزها ... وها هي سارت للمكارم تهرع

أ طلقني شعري في المواقف واحتفل ... بذكرى اليها شعبنا يتطلع

ولا سيما ذكرى النبي محمد ... ففيها - لعمري - الطبع بالشعر طيع

لقد حاول الاعداء اطفاء نوره ... فخابوا ولم ينجح لهم فيه مطمع

قد انتدبوا من كل بطن لهم فتى ... قويا بقتل المصطفى يتطوع

فيا عصبة بالمصطفى قد تآمروا ... وقد فكروا في غير ما ليس ينفع

وباتوا أمام الدار والله حارس ... ومنج له من كل ما يتوقع

لقد خبتم في سعيكم وأصابكم ... من الله طمس والفضيحة أشنع

وعدتم تعضون الانامل حسرة ... من الغيظ ان الغيظ كالجمر يلذع

بغيظكم موتوا جزاء لكيدكم ... فأنتم جنود البغي والبغي يصرع

مكرتم ومكر الله أودى بمكركم ... ومن كاد دين الله لا شك يقمع

⊕ ⊕ ⊕

فيا نائما بين الذئاب ألا انتبه ... واسرع مع الصديق (3) فالخطب أفظع

---

(1) الغيد : جمع غادة ، الفتاة الحسناء .

(2) البصائر ، 14 ، 1947/11/17 .

(3) هو أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه .

لقد غمر الدنيا سكون مخيـــم ... ولم يبق من صوت هنا لك يسمـــع
سجت مكة لاضوء في الدور مشعـــل ... ولا سامر بالشعر فيها مرجـــع
ولم يبق غير النجم يرنو بطرفـــه ... ونعم الانيس النجم اذ ليس يهجـــع
فيا ضاربا في البيد والليل حالـــك ... الى الغار ان الغار لا شك أوســـع
على الرحب حلا فيه ضيفين جئتمـــا ... طريدين من قوم طغاة تجمعـــوا
قد انزعج الصديق واشتد روعـــه ... ولكن رسول الله لم يك يجـــزع
وهدأه من روعه قائلا لـــــه : ... لنا الله يحمينا أذاهم ويمنـــع
ثلاث ليال في حمى الغار (1) قد مضت ... تروع لعمري نفس من ليس يفـــزع
وودعتما الغار الذي قد حماكمـــا ... الى حيث يبغي النصر والحق يتبـــع
خلت منك دار البغي من سوء حظها ... وخلفت دار الشرك للشرك تخضـــع
وهزك للاصحاب شوق مـــبرح ... وان كنت ذا شوق لهم منذ ودعـــوا
الى بلد الانصار يممت قاصـــدا ... وقد ضمكم بعد التفرق مجمـــع
وجئت قباء فابتنيت بأرضهـــا ... لربك بيتا ذكره فيه يرفـــع (2)
أقمت بها بضعا وعشرين ليلـــة ... وودعتها والقلب منك مـــروع
ستلقى عصا الترحال في دار هجرة ... بك الصحب فرحى والاغاني ترجـــع
أقاموا لك الافراح والجمع منشـــد ... علينا غدا بدر الهداية يطلـــع
وها أنت ذا في يثرب بك يحتفـــى ... وقد صرت محميا بها تتمتـــع
فأكرم بها دارا بك ازداد قدرهـــا ... وضم اليها الخير والمجد أجمـــع .

---

(1) هو غار جبل ثور بين مكة والمدينة .

(2) اشارة الى أول عمل قام به الرسول (ص) عند وصوله يثرب ، وهو بناء مسجد " قباء " .

معهد عبد الحميد الخالد . (1)

بمعهد (عبد الحميد) الاغـــــر — تتغذى العقول ويجنى الثمـــــر
وينشأ جيل عتيد أبـــــــي — يذود الاعادي ويجلو الخطـــــر
فيذرأ عن شعبه كل بـــــاغ — ويحمي الحمى من غد و بطـــــر
لقد هب مندفعا لا يـــــني — طموحا ،كسيل طما وانهمـــــر
يؤدي رسالته في الحيـــــاة — ويحمي مآثر مجد غـــــبر
يكون لامته نافعـــــــا — ويذرأ عنها ضروب الغـــــير
على كتفيه تشاد صـــــروح — ستبقى مدى الدهر لا تندثـــــر
يعيد الى الضاد روعتهـــــا — كروعتها في ربيع العمـــــر
يحررها من أســـار العـــدى — فتغدو به حرة تفتخـــــر
فشد الرحال الى غايـــــة — سيسمو بها ويكون أبـــــر
فأنى سلكت دروب البـــلاد — تجدهم فرادى تجدهم زمـــــر
لقد أبصروا النور لاح لهـــــم — فخفوا الى النور حيث ظهـــــر
شبابا الى المجد سار سريعـــا — يحث الخطى لبلوغ الوطـــــر
فيا أيها النشء رمز الفـــدا — ألا اطرح عليك الونى والضجـــــر
وأقبل بجد لقطف المـــنى — وسر مسرعا لالتقاط الـــدرر

⊕ ⊕ ⊕

ويا أيها المحسنون أعينـــوا — شبابا بواجبه قد شعـــــر
تفجر ينبوع ماء نمـــــير — (بسرتا)[2] يبـــل أوام البشـــــر
فتهتز أدواحها الظامئـــات — وتورق أفنانها بالزهـــــر

---

(1) بمناسبة افتتاح معهد عبد الحميد بن باديس ،بقسنطينة ،الذي شيدته جمعية العلماء ،وقد نشرت القصيدة بالبصائر، 19، 1948/01/12 .

(2) سرتـــا : الاسم القديم لقسنطينـــة .

هنا لك تلقى رجالا أبـــــــاة   قد استعذبوا في الكفاح السهـــر
لقد رافقوا النجم في يقظـــــة   وحاكوه في النور أما بسهـــــر
تضيء بهم حالكات الليالـــــي   بنور يزيح الدجـــى المعتكـــر
جهابذة بذلوا جهدهـــــم   لنشء سيغدو جليل الاثـــــر
فيا لك من معهد آهـــــل   بأهل البصائر أهل الفكـــــر
وحدثت عنه فكدت أطـــــير سرورا لتأثير هذا الخـــــبر
أهني بني الضاد قاطبـــــة   (بمعهد عبد الحميد الاغـــر)

بين ربيع الجمال مع ربيع النـــــور (1)

انتشى الكون راقصا هزه التـــو   قيع مستقبلا رسول الانـــــام
وتغنت جزيرة العرب للـــــوا   فد جذ لى بأعذب الانغـــــام
وتبدى بأفقها نجـــم طـــــه   مشرق النور عازما للظـــــلام
نغمات تهز عطف بني الضـــــا   د ،وتحيي شعورهم كل عــــام
وعلى البيد لمحة من سكـــــون   فهي تصغي للوحي والالهـــــام
وسوس الرمل بالتسابيح والتهـــــ   ـليل للمجد ،والعلا في هيـــام
وانجلى الفجر عن محيا وضـــــيء   كسنا الفجر في الدجى المـترامي
ان فجرا تفجر النور منـــــه   لجدير في الدهر بالاعظـــــام
تتهادى الصحراء تيها وعجبـــــا   حل في ساحها رسول الســـلام
انها حرة عدت تنجب الاحـــــ   ـرار مثل الاسود في الآجـــام
هي مهد الكرام من شيدوا المجـــ   ـد وخاضوا له الردى باقتحـــام
ليلة المولد العظيم تجلـــــت   عن عظيم ذي همة مقـــــدام

---

(1) بمناسبة المولد النبوي الشريف ،وقد نشرت بالبصائر ،1948/02/23،24.

أيقظ الكون من سبات عميـــق   وحمى الكون من أذى وخصـــام
في (ربيع الجمال) شع (ربيع النو   ر) يبدو بثغره البســـام
ايه! شهر الربيع بوركت شهـــرا   قد تمخضت عن وليد همـــام
ايه! شهر الربيع بوركت شهـــرا   جئت للعرب بالمنى والمـــرام
ايه! شهر الربيع حققت آمـــا   لا اليها كل النفوس ظوامـــي
ايه! شهر الربيع أنت قصيـــد   في فم الدهر مثل سجع الحمـــام
ايه! شهر الربيع أنت نشيد الـ   ـعرب أنت المهيب بالاقـــوام
يا رسول الاله أمتـك العزيـــا   ء أضحت تساق كالاغنـــام
يا رسول الاله كم ذا يلاقـــي   بعدك المسلمـــون من آلام
قد غدوا في يد العدو سلاحـــا   ليذود العدى به ويحامـــي
يا شباب الرسول يا معقد الآمـــا   ل، لا ترض عيشة الانعـــام
يا شباب الرسول دع عنك جبنـــا   وخمولا وانهض نهوض الكـــرام
يا شباب الرسول كن ذا ثبـــات   وتقدم الى العـــلا باهتمـــام
بارسول اقتدوا اذا ما أردتـــم   أن تنالوا العلا وعز المقـــام
أيها الشعب كيف تصبر دهـــرا ؟   تحت ظلم مخيم كالظـــلام
أيها الشعب كم تعاني هموما   من طغاة مستعبدين لئـــام
أيها الشعب حطم القيد واهتـف: قد سئمنا حياتنا في الرغـــام
أيها الشعب ول وجهك نحو الشـ   ـرق وانهض لنصرة الاســـلام
انقذ القدس واحمها من دخيـــل   فهي في غمرة الخطوب الجســـام
كيف ترضى الهوان والخسف ؟ والاسـ   ـلام يأبى عليك خفض الهـــام ؟
نحن نسل الالى لهم خضع العـــا   لم واستعذبوا ورود الحمـــام
نحن نسل الالى لهم سطر التـــا   ريخ فخرا يبقى لهم بـــدوام
نحن أحفاد قادة قهروا الفـــر   س ودانت لهم بنـــو الاروام

اننا خير أمة أخرجت للنـــــا | سفاقتادت الورى بزمـــــام
اننا نستعيد ما كان من مجــــ | ـد لنا في سوالــف الايــــام
يا بني الضاد لاتناموا على الضيم | ولا تخضعوا لقوم طغـــــام
جددوا عهد أحمد بمـــا تحـــاد | وجهـــاد وحكمـة ونظـــام
اكلئوا دينـــه وذودوا عـــداه | لا تهابوا لاتحجمـوا للامـــام .

يا سحر الصبح !!! (1)

((مهداة الى الشاعر المبدع الاستاذ أحمد سحنون الذي يملك ديباجة كاشراقة الفجر))

هب من نومه يميس حســـيرا | باسم الثغر - واني الخطـوات
وتجلى في حسنه كعـــروس | ذات حسن مهيبه اللفتـــات
فاستفاقت هذي الحياة من الاحـ | ـلام بعد الاغراق في الهجعـات
وازدهى بالوليد كون عبـــوس | وانتشى بالمناظر النضـــرات
أنت سر الوجود - ياصبح - فانشر | نورك المستفيض في الفلـــوات
استنارت بك الرياض فأضحـــت | تتغنى مزهوة ثمــــلات
قد غزا جندك المظفر واجتـــا | ح جنود الغياهب الحالكـــات
وتولى محطما يتــــوارى | في شعاب مخيفة مرعبـــات
لائذا بالكهوف بالقمم الشمـــ | ـاء بالبيد بالصخور العواتـــي
واكتسى الغاب حلة نسجتهـــا | أنمل الصبح من سنا الومضـــات
والقرى قد تلحفت بشعـــاع | ذهبي الرؤى جميل السمـــات
وسرت في الرياض فرحة أنـــس | أعلنتها الطيور بالنغمـــات
وأرى البحر باسما حين تنبـــيه | مشرق الوجه واضح القسمـــات

(1) البصائـــر 30 ، 1948/04/05

وأرى الزهر ناهلا من نداك الـــــــ ـعذب يطفى به جوى الحرقـــــات
كل من في الوجود يهتز شوقــــا لمحياك يا جمال الحيـــــــاة
قد خلعت النقاب كي يتملــــى حسنك المغرمون بالنظـــــرات
وتغنت لك الطيور نشــــاوى بنشيد موقــــع النــــــبرات
فيك يحلو النشيد للشاعر الملـــــ ـهم يزجي من سحره النفثـــات
فيك تحلو الآمال للعاشق الصـــــ ـب يناغي أطيافه الحائمــــات
تحت أضوائك المنيرة يحلـــو كل بث لـــه وكل شكـــــاة (1)
تحت اشراقك المحبب يهـــــدي تائه في شكوكه المظلمـــــات
ايه ـ ياصبح ـ أنت دنيا من الاطـ ـياف والسحر والمنى المنعشـات
تمسح الحزن والكآبة والهـــــ ـم وتنسي فجائــع الحادثـــات
دم معينا وأروعـــا وجديـــدا وأنيسـا وموحـــي الآيـــات

جدد الحزن ذكرى عبد الحميد (2)

جدد الحزن ذكرى (عبد الحميـــد) فجرى في فمي لحون نشيـــد
ليس ننسى على توالي الليالـــي ذا تراث مخلد في الوجـــود
ماثلا في نفوسنا ما حيينـــا وهو تحت الثرى رهين لحـــود
كيف ننسى مجاهدا كافــح الظلـ ـم وأودى بمكر كل عنيـــد
أيقظ الشعب من سبات عميـــق وهداه لدى الظلام الشديـــد
وحماه من غاصبين طغـــاة ! ! وتصدى لكل بـــاغ مريـــد
وأبا للبنين يحنو عليهـــــم كم سقاهم من نهره المـــورود

(1) الشكـــاة = الشكـــوى .
(2) في رثاء الامام عبد الحميد بن باديس ، وقد نشرت بالبصائــــر ، 33 ، 1948/04/26 .

ذكريات وعهود (1)

في صيف هذا العام عدت الى موطني الحبيب (برج الغدير) فخفق قلبي عند رؤيته ،وعاودته ذكريات الطفولة ،فكانت القصيدة التالية قبسا من تلك الاحلام العابرة :

(الشاعر)

قد عدت للنهر العجيب ظامئا أطفي الزفير
متسليا بجماله الاخاذ أنصت للخرير
أمحو هموما جمة قد لازمت قلبي الكسير
متمتعا بتفردي متجنبا كل الشرور
ثملا بتوقيع الجداول حين تجتاز الصخور
يتلو على الموجوع ألحانا بها يحيي الشعور
ويبوح بالسر المحجب في السكون وفي الهدير
حريته على البرية لا يبالي بالدهور

— — —

يا نهر عدت اليك أسبق فرحتي وقت السير
لنرى النسيم الحلو داعب وجهك الصافي النضير
ونرى(2) الحياة طليقة ملآى بأنواع السرور
اني سئمت حياة أبناء المدائن والقصور
وهجرت ضوضاء تموت بها المشاعر والضمير
فرجعت انتهب الخطى متيمما " برج الغدير"
فلقيت فيه البشر والخلق المحبب والحبور
ولقيت فيه فارس الفصحى مفدانا البشير(3)

(1) البصائر، 52، 1948/10/11 .
(2) في الديوان " ترى " وهو تصحيف واضح .
(3) في البيت خلل عروضي ،والبشير هو الشيخ البشير الابراهيمي .

فتطلعت نفسي الى أدب يجود به غزيـــــر
وقضيته يوما جميلا من مدى العمــر القصـــير
فوق المروج الخضر ما بين الحشائـش والزهـــور
أحيي عهودا عذبة قضيتها طفـلا غريـــــر
أشدو كأطيار نشـاوى بالاصائـل والبكـــور
وأساجل الاطيــار والانهــار والفجــر المنـــير
وأروح أعبث بالمياه الجاريــات وبالزهـــــور
وأظل في الغابـات بين هدوئهـا الساجي المنير
بين الجبال الشاهقـات أعيش مغتبطـا قريـــر
أصغـي الى ترتيـل آيات الجمال مع الطيـــور
وأشم نوار الخمائـل حـين يعبـق بالعبـــير
وأتابع الافـراخ في أشجارها أو فـي الوكـــور
وأبحث عن بيـض الطيور لدى المغاور والوعـــور (1)
أحكي ثغـاء الشاة أو أحكي الصفير مع النســور
وصدى الكهوف مـع الجداول والغراب اذا يطـير
أمضي لتحقيـق الامانـي لا أبالي بالفتـــور
آه على تلك الليالي قد مضـت ليست تحـــور
وبقيت فـي دنيا النفاق مقيـدا مثل الاســير
فاذا هممت بأن أحطم قيـدي المضني العسـير
خارت جهودي فانثنيـت وعندي الالــم المريـر
أرنو الى مستقبلي ببصـيرة تهـدي البصـــير
فلكم وددت بأن أرى مستقبلـي حـرا طهـــور

---

(1) في البيت كســـر واضـــح .

أخطو الى حيث الاصلاح آمنا كل الشـــرور
أحظى بآمال عذاب هاجرا دنيـا الغـــرور

جـل ذا موكبــــا (1)!.

((ألقيت في الاجتماع العام الماضي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.))

"البصائـــر"

طرب الشعب لاحتفال مجيــد   بوفود للعلم خير وفـــود
رابضات كأنها أسد غـــاب   وعليها مهابة من بعيــد
تتجلى في مظهر مستنــير   يبعث النور في الربا والبيـد
أيها الركب مرحبا جئت تسعى   لاحتفال في موكب مشهـود
جل ذا موكبا يموج زحامـا   ضمه اليوم واجب للصعـود
مهرجان ذو روعة وسنـاء   آهل الحشد بالكرام النجـود
ووفود تقاطرت لم يعقهـا   عائق عن حضور حفل فريـد
فرحة هزت المشاعر والانـ   ـفس أضحت مزهوة بالعيـد
لاحتفال منمق كربيــع   فاح بالعطر والرؤى والنشيـد
التقت زمرة من الشيب والشبـ   ـان تبني صروح مجد مجيـد
ان ركبا أم الجزائر يبغـي   فكها من سلاسل وقيـود
لهو ركب على المدى متفـان   مخلص صادق وفي العهـود
عاهد الله والبلاد ليحمـي   لغة الضاد من عدو لـدود
ايه جمعية الصناديد مرحى   يا شعا رالفدى ورمز الخلـود
انما أنت صيحة الحق في الشعـ   ـب المفدى في وجه كل مريـد
عشت للعلم والهدى والمعالـي   فلقد سرت للعلا بجهـود

---

(1) نشرت بالبصائـــر، 55، 1948/11/08 .

أنت رغم الطغـاة عرش شمـوس | غمرت ربعنا بنـور سعيـد
فعلى الشعب من سناك ضيـاء | مشرق باسم كصبح جديـد
نهضت تستعيد مجدا تليـدا | عربيا مخلدا في الوجـود
وعلى رأسها امـام عـظيـم (1) | عبقري من الكرام الصيـد
لا يبالي بالنائبـات كليـث | ثابت في الوغى بقلب جليـد
كم له من مواقف هي تتلـى | خلدت ذكره كعبد الحميـد (2)
مثل تاج في مفرق الشعب أوركـ | ـن منيع نأوي اليه ، شديـد
رفع الصوت عاليا فاستجابـت | أمة لندائه الممـدود
حثها للعلا فمدت له الايـ | ـدي بلاد خصته بالتمجيـد (3)
وسرت في البلاد صرخـة داع | قد دعا شعبه لرفع البنـود
غير وان أو خائن أو جبـان | ذو دهاء فذ ورأي سديـد
يا أبا الشعب سير الشعب وابذل | كل جهد لشعبك المنكـود
وتقدم بأمة هي أسمـى | أمة في الورى بمجد تليـد
يا وفود السلام يا أيها الانـ | ـجم في ظلمة الليالي السود
قد وثبتم الى النضال سراعا | في ثبات وجرأة كالاسـود
وثبتم على المبادئ كالاطـ | ـواد ترسو من فوق هذا الصعيد
لم تزعزعكم العواصـف أو تثـ | ـني خطا كم حوادث التشريد
هكذا ينبغي لامة طـه | أن تجاريه في الثبات العتيد
يا دعاة الهدى ورمز التفـادي | هيئوا النشئ للغد المنشـود
لا تناموا على المذلة والخسـ | ـف ، وهبوا الى العلا كالجدود

---

(1) هو الامام الشيخ البشير الابراهيمي الرئيس الثاني لجمعية العلماء
(2) هو الامام عبد الحميد بن باديس أول رئيس لجمعية العلماء .
(3) كتب هذا البيت على الهامش مع الاشارة الى موضعه في النص بخط الناسخ .

واطلبوا الحق ان للحق أنصـــار اشداد ا هم كثيرو العديـــد
انهضوا شيد وا المكارم أنـــتم قد خلقتم — والله — للتشييـــد .

تلك ساعات غبطـــة ! (1)

يا ريضا هجرتهـــا مالي اليوم زرتهـــا ؟
هل تغنت طيورهـــا بلحون عرفتهـــا ؟
أم تبدت زهورهـــا مثل ما قد عهدتهـــا ؟
يلهم الشعر سحرهـــا ! فلهذا عشقتهـــا !
فهي حلفي اذا رسـا حولي الهم عدتهـــا
فتزيح عن الفـــؤا د شجونا ألفتهـــا
يا ترى هل تعود لـــي لحظات قطعتهـــا ؟
لتكون العـــزاء لـــي من هموم سئمتهـــا
تلك ساعات غبطـــة وهناء قضيتهـــا !
تمسح الهم والاســـى ودموعا ذرفتهـــا
فهي آمال أنفـــس ترتجـــى ،لاعدمتها !
ملأت قلبي الطمـــو ح طيوفا ،أطعتهـــا
ها أنا عدت ذاكـــرا نشـــوة ،ما نسيتهـــا
في مجال عبدتهـــا ودروب سلكتهـــا
يملأ القلب سحرهـــا ليتني ما هجرتهـــا .

---

(1) نشرت بالبصائـــر ،63 ،1949/01/24 .

ذكرى " شكيب أرسلان " (1)

هوى كوكب الشرق المنير ((أرسلان)) فكل فؤاد فيه هم وأحزان
هوى بعد نور ساطع متألق فيا أسفا قد ودع البدر لبنان
هوى بعد أن أدى الرسالة وانثنى الى عالم بالحق والعدل يزدان
قضى فبكته العرب شرقا ومغربا وناح عليه الشعر والشعر ولهان
فهيا استمع للشعر يبكيك حسرة فللشعر في ذكراك دمع وألحان
وبالشعر تشفى غلة من فجيعة ورزء له بين الجوانح نيران
نشيد الاسى يتلى على الشرق محزنا فتحزن للانغام شيب وشبان
فقدنا الذي يحمي حمانا من العدى ويقدم مثل الليث والليث غضبان
فقدنا سياسيا خطيرا مدربا أخا عزمات لا يجاريه انسان
فقدنا نصيرا للحقوق محاميا يدافع عنها فهو للحق معوان
فقدناك يا خدن المعالي منافحا عن العرب تبني مجدهم أينما كانوا
طواك الردى شيخ البيان فمن لنا بصائب آراء لها الشرق ظمآن ؟
أمير البيان العذب ينساب رائقا به النشء يقظان الشعور ونشوان
تآليف من وحي الضمير كأنها ريا ربها ورد نضير وريحان
هي النور للساري لدى حالك الدجى وشهب بها كم ريع في الغرب شيطان
أمير المعالي قد رحلت ميمما عوالم ما فيها من الظلم ألوان
وخلفت جرحا للعروبة داميا وحزنا به تصلى القلوب وأبدان
فوا رحمتا للعرب تبكي فقيدها " شكيبا " لها دمع مدى الدهر هتان
لنا الله من خطب به انهد ركننا وفي الشرق ما تنفك تنهد أركان
خلقت لدين ـ الله ـ والضاد صارما فأنت لعمر ـ الله ـ للمجد عنوان

---

(1) البصائر، 71، 1949/03/14، وقد نظمها بمناسبة الذكرى الثانية لوفاة الامير شكيب أرسلان .

تجاهد للفصحى جهادا يزينـــه مضاء واقدام وعزم وايمـــــان
ثمانون عاما في الكفاح قضيتهــــا ذيادا عن الفصحى به الغرب حيران
فيا علما قد كان في الشرق خافقـــا به يحتمي حق مهان وأوطـــان
عزيز علينا أن تغيب وينطـــوي كتاب، به فضل ودين، وعرفـــان
بني العرب والاسلام في كل موطـن عزاء جميلا أن تولى " أرســلان "
" ألبنـــان "لا تجزع لخطبك اننـــا بنو العرب في الخطب الملم لاخوان
فها هو ذا شعب الجزائر رافعـــا تعازيه يحدوها عويل وأرنـــان
لقد غاب من قد كان للعرب حاميـا فبتنا نعاني الهم، والقلب أسوان
فيا راحلا وفى المروءات حقهـــا ومنه صفا للناس سر واعـــلان
تركت دويا من ورائك قائمـــا فللعرب طول الدهر شوق وتحنـان
وخلفت ذكرا باقيا يستفزنــــا تعيه قلوب صاغيـــات وآذان
خلائق حر كلها النبل والعــــلا فليس بها غش وحقد وبهتــــان
وقفت بوجه الغرب تزأر طالبـــا حقوقا، بها تحيا شعوب وبلـدان
فنم هادئا أديت قسطك وافيـــا أخا العرب وليهنئك حور وولـدان

في مولــــد الربيــــع !!! (1)

قد بدا البشر من محيا "الربيــع" فازدهى الكون بالجمال البديـــع
مذ تراءى للناظرين سنــــــاه خف كل في نشوة ونــــــزوع
يا له منظر (2) يحرك أوتـــــا رفؤاد يهتز للتوقيـــــع !
موحيا بالجمال، والشعر، والفـــ ـن، ومطف لواعجا في الضلـــوع
كم لسان معقد صار طلقـــــا يسحر اللب بالبيـــان الرفيـــع !

---

(1) نشرت بالبصائـــر، 74، 1949/04/04 .
(2) في قوله: يا له منظر، خطأ نحوي اذ يجب النصب على التمييز (يا له منظرا)

يا حبيبا تشتاقه كل نفـــــس وعزاء للبائس المفجــــوع
عبقريا يشفي الجروح وينسـي من شجون كثيرة التنويــــع
قد سرت في نفوسنا منه أحــلا م عذاب ،من وحيه المرفــوع
والروابي قد أسفرت عن وجــوه زانها منظر الجمال الوديــع
اكتست بردها القشيب وتاهــت في دلال محبب للجميــع
بعد عري أصابها ،وريـــاح لفحتها ،وذلة ،وخشـــوع
فتبدت مزهوة وعليهـــا بسمة ،من دموع غيث مريــع
وغدت تسحر النفوس بوشـي ناطق بجلال سر منيــع

⊕ ⊕ ⊕

حبذا موكب " الربيع " تهــادى سبقته آمالنا للطلــوع !
حاكيا روعة ،وسحرا حــلالا ولحونا علية الترجيــع!
وشذى،حيثما توجهت يغـــزو ك بعرف من الربى والفـروع!
ورؤى يبهر العيون سناهــا هي برء لكل قلب وجيــع
والفراشات حائمات على الزهــ ـر،يداعبن ثغره في ولــوع !
سابحات مع النسيم المنــدى هامسات الى الندى والـزروع !
غارقات في حلمها تنشر العفـ ـة،والطهر،والمنى " كالربيع " !
والقطيع انتشى بلحن شجـي قد تغنى به رعاة القطيــع !
نغما ،يفعم النفوس ســرورا هو أشهى من صوت كل سجـوع !
كل قلب اليه ينبض شوقــا وهياما ــ كومض برق لمــوع
كل ما في " الربيع " زاه بديـــع يجلب الصفو للحزين الجــزوع
لا عدمت " الربيع " ملهم قلــبي ليته لم يمل الى التوديــع .

لــــــــــا (1)

===============

ان نفسي قد انتشــــت　　بفتاة تضوعـــــت
بعبــــير محبـــــب　　أنعش الروح فارتقـــت
تطلب الوحي عند هــــا　　وبه الآن ألهمـــت
فغدا الشعر هابطـــــا　　من سماء لها سمـــت
فهي شعـــر مرتـــــل　　هز نفسي ، فأنشـــدت
وهي روض أريجـــــه　　ذاد عن نفسي العنت
وهي فجر شعاعـــــه　　منه نفسي أشرقـــت
وربيع (2) زهــــوره　　بالشذا قد تفتقـــت (3)
يالها من طهـــــارة　　في فتاة تقدســـت !
يالها من وداعـــــة　　وجمال به ارتـــدت !
قد سبتني بحسنهـــا　　وخصـــال تجمعـــت
ورمتني بلحظهـــا　　وهو سيف به سطـــت
سحرتني بعينهـــا　　قتلتني ومـــا دريت
وبوجه اذا بـــــدا　　مثل شمس اذا بـــدت
وبنهدين مثـــل حقـــ　　ـين قلبي قد سبـــت
وجبين وفوقـــــه　　قطع الليل أظلمـــت
وبخـــد مـــضرج　　بدمـــاء الالى سهت
وبثغر مفلـــــج　　زانها ان تبسمـــت

(1) نشرت بـ " افريقيا الشمالية " ، العدد 3 ، 1949 .
(2) في الديوان " نسيم "
(3) هذا آخر بيت من القصيدة في الديوان ، وما بعده كله أهمله الشاعر على ما يبدو وحيث أنه لم يثبت الا الابيات الثمانية الاولى ، ولعل ذلك سهو من الناسخ ، أو رغبة من الشاعر في عدم ادراج بقية الابيات لما فيها من غزل مادي صريـــح .

كل شيء يروقـــــني ... في فتاة تفوقــــــت
هي والله آيـــــة ... بالبها قد تفــردت
يا رعى الله غــادة ... في فؤادي تحكمــــت
ورعى الله لطفهـــا ... رحمة قد تفجـــرت
فهي أخت كريمـــة ... بحليف الهوى احتفت
كم بها قد نسيت حـز ... نا به نفسي اكتـــوت
مذ سقتني رضابهـــا ... نا حزني أخمــــدت
يا غزالا مغنجـــا ... حبه في الحشا نبـــت (1)
ليس عندي وسيلـــة ... غير شعر لقد نحـــت
فاقبليه هديـــة ... فلك النفس قد صبـــت
من شعور توقـــدت ... بالهوى قد تأثـــرت
ان نفسي قد انتشـت ... بفتاة تضوعـــــت •

[illegible] (2)

جمال محياك أسكرنـــي ... وريق ثناياك أنعشـــني
وقدك أغرى فؤادي الطمـو ... ح وهز شعوري وحركـــني
ووجهك كالشمس بادي السنا ... يجدد شوقي ويلهمـــني
وردفك اما ترجرج مــدن ... حمامي وان شئت أحييتـــني
رويدك اني فتى مغــرم ... فؤادي عن الحسن لا ينثـني
فما أنت الا نشيد الهـــوى ... يكهرب جسمي ويطربـــني
فتنت بهذا الجمال الوضـي ... وسحر عيونك أرقـــني

---

(1) في الشطر الثاني خلل عروضي ، يستقيم باضافة "قد" قبل الفعل "نبت" •
(2) نشرت بـ" افريقيا الشمالية "، السنة الاولى ، العدد 04 ، ماي 1949 - ولم تدرج بالديوان •

تناديك روحي ألا أسرعي   الى جسد شاحب قد فني
فروحي لم تهف الا اليك   على أن تيهك عذبني
فجودي بوصل به ينطفي   جحيم من الشوق يلذعني
وبلي أوامي يا دميتي   فغلة صدري تهلكني
عهدتك لا تبخلي فارحمي   فؤادي فصدك يحزنني
فرحماك للبائس المرتجي   يدا من نوالك تغمرني
ورفقا بقلب شجي غدا   أسيرا ، فعفوك يشملني
فيا ليت قلبك يحنو علي   ويا ليت أذنك تسمعني
ويا ليت حظي يساعدني   فأحظى بطيفك يطرقني
ويا ليتني نلت ما أشتهي   ويا ليت طرفك يرمقني
فترثي لحالي ، وتشفي جروحي   وتمحي أسى كاد يقتلني
ألا أنصفيني فان الهوى   تعدى علي وأرهقني
وسد أمامي كل الدروب   ونغص عيشي وأذهلني
وأبعدني عن أخ كلما   تناساني الصحب لم ينسني
وصرت غريبا بروحي التي   على تلفي فيك ترغمني
ألا فاحكمي بيننا واعدلي   فجورك في الحب روعني
فهلا خشيت الاله وهلا   رعيت عهودي وما خنتني
لي الله ينصفني من جفا   ك ويأخذ حقي وينصرني .

هلمـــوا الـى المجـــــد ...! (1)

((الى الذين نسوا تاريخهم فأنساهم أنفسهم ،وهجروا لغتهم فهجرتهم ،وتبعوا أهواءهم فأصبحوا شيعـــــا .))

" الشاعـــر "

بعزمك نجلو قوى الاجنـــبي فتى الضاد في " الشرق " و " المغرب " !
وندرأ أخطار " غرب " طغـــى كسيل من الوابل الصيـــب
ونحظى بآمالنا كلهـــا بهمة كل كريـــم أبـــي
هلموا الى المجد لا تحجمـــوا لنجني من الثمـــر الطيـــب !
وهبوا الى الصالحات سراعـــا وصدوا ذوي الطمـــع الاشعـــبي
أراكم نسيتم عهودا مضـــت عهود " أمية " أو " تغلـــب "
فثوروا على الظلم مثل جـــدود حنا لهم " الغرب " في الاحقـــب
فكم حطموا معقلا شامخـــا وشادوا من السؤدد الاعجـــب
وكم أرشدوا حائرا تائهـــا بفقر من الشـــك أو سبســـب
وكم أيقظوا همة أعرضـــت عن المجد ردحا فلم تـــدأب
فللعرب ماض مجيد سمـــا على غارب السحب كالكوكـــب
ألا فانهجوا نهج آبائكـــم لنرجع ما فـــات مـــن مـــأرب
فتاريخكم علم من فخـــار فطـــوفـــوا بعالمـــه الارحـــب
سيبقى مدى الدهـــر لا يمحـــي وان غـــيرتـــه يـــد الاجنـــبي

⊕ ⊕ ⊕

أرى الغرب قد جمعـــوا شملهـــم على الشرق والشرق مثـــل الصـــبي
فدرس " فلسطين " درس بليـــغ يذكرنـــا الحلف فـــي موكـــب

---

(1) نشرت بالبصائـــر ،العدد 84،1949/06/20 .

رويدك يا "غرب" لا تغتـــــترر فشمس بني الشرق لـم تغـــــرب
وانـا سنرجع عهـــد الاخــــاء ونجمـع شمـل بـني يعــــــرب
فحسبك بالضاد مـن نسبـــــة اذا ما انتسبنـــا وديـن النــبي
فيا أيها الراشدون أزيلـــــوا شقاقا ،وسيروا علـى المشــــرب
ويا أيها المخلصون أفيقـــــوا لشردمة النهـب والمكســـــب
فسدوا عليهم جميـع الـــدرو ب ،يضلوا (1) عن المنهج الاصـوب
ويا أيها النشئ أنت المـــنى لشعب لبلـــواه مستعــــذب
فعهدي بالنشئ يحمي الحمـــى وعهـــدي بالنــشئ لم يرهـــب
فحل القيود ،فكل الشعــــوب جرت وهـو فـي قيده المتعــب
ويا شعب فانهض بنشئ حمـــى لسانك مـن كـل باغ ،غــبي
هم رفعوا رأس هذي البـــلا د الى المجد ،والمنهل الاعـذب!
فقد عاهدوا الله أن يثبتـــوا كطود لدى الحادث المرعـــب
أولئك أنصار ديـن الهـــدى وأنجـم ذا الشعب في الغيهـب
فقد ظهر الصبح للمبصريـــن بعودة ملك بني "المغـــــرب" (2)

يا أبي الروحي ...! (3)

هذه ذكراك يا "عبد الحميـــد" أيقظت في القلب حزنا من جديـــد
عادت الذكرى الى الشعب الـذي فقد القائد "باديس" الوحيــــد
عاش يبني المجد في أمتـــــه كبناء العرب في الماضـي السعيـد

---

(1) في الديوان "فضلوا" ،وهو ما لا يستقيم به المعنى .

(2) في الشطر الثاني خلل عروضي ،يستقيم بعد ميم "ملك" .

(3) نشرت بالبصائـــر، 154 ، 1951/05/07 ،وقد نظمها بمناسبة ذكرى وفاة الامام عبد الحميد بن باديـــس .

غاب من قد كان يحمي قومه ... من خمول وخنوع(1) وجمود
غاب من قد كان يبني دائما ... في البناء الضخم يعلي ويشيد
غاب من أسدى الى "الضاد" يدا ... فازدهى في عهده الضاد المجيد
غاب من ضحى بلذات الدنا ... في سبيل الشعب والعلم المفيد
غاب من هيأ جيلا باسلا ... هو في الخطب جرىء لا يحيد
وعلى أكرم خلق راضه ... وسقاه منهلا عذب الورود
كان كالزهر لديهم وهم ... مثل نحل تتغذى بالورود
عصف الموت به عصفته ... فذوى بعد ابتسام مستزيد
فلذا كان قصيرا عمره ... انما الاعمار بالنفع تزيد
فجعوا فيه فتاهوا ولها ... غشيتهم موجة الحزن الشديد
وبكوا فيه - لعمري - قمرا ... عم بالانوار أجواء الوجود
قد خبا بعد ضياء مشرق ... ليته مازال بالنور يجود !
بقيت آثاره خالدة ... بعده، هيهات تمحى أو تبيد !
هو في كل فؤاد حاضر ... ذكره باق على الدهر جديد
سيرة ناصعة قد كتبت ... - بمداد الفخر - في سفر الفقيد
اذا ما تليت في أمة ... بعثتها من سبات وركود
وحدت للذود أشبالك عن ... غيلهم من غاصب باغ عنيد
خلفهم أسد غضاب عركوا(2) ... هول أخطار شداد، كالجدود
حاولوا اقصاء جان معتد ... أجنبي لبني "الضاد" يكيد
يا أبي الروح سلام عاطر ... يخرق الحجب ويجتاز الحدود !
حيث اخوانك أبطال الحمى ... في هناء ونعيم وخلود

---

(1) الخنوع: الضعف والذل.
(2) عركوا: مارسوا وجربوا.

حيث عدل واخـاء وعــلا ... وصفاء وحبور وسعـود
حدث الاجـداد عنا أننـا ... لم نر العدل ولا صدق العهود
قل لهم: انا نقاسي ألمـا ... من دخيل سيء الخلق جحود
زاد طغيانا ولم يـترك لنـا ... غير أنات ورسف فـي القيـود!
فاذا نحن أردنـا خلعهـا ... خارت القوى وخانتنا الجهـود
وتفرقنـا جموعـا جمـة، ... أن شعبا لم يوحد لا يسـود
غير أنا سنمضـي قدمـا ... نم قرير العين يا "عبد الحميد".

الكون صال بكل حكم جائـر (1)

ذكرى على مر الزمان تكـرر ... لمجاهدين جهادهم لا ينكـر
ضحوا بأنفسهم لشعب مسلـم ... والنفس أنجع للفداء وأجـدر
وسعوا لشعب طامح متطلـع ... رام الحياة طليقة تتنـور
المخلصون لدينهم ولشعبهـم ... والثابتون على العواصف تجـأر
كتبوا صحائفهم بحبر مـن دم ... نعم الدماء بها الشعوب تطهـر
سكنوا القلوب بصدقهم ونضالهم ... وطموحهم للمجد صبح مسفـر
ركب تقدم للسبـاق يحثـه ... ايمانه والـى الحقوق مشمـر
لا ينثني عن عزمه فـي سيره ... كي ما ينال مراده أو يعـذر
ما ضرهم سجن ولا نفـي، ولا ... موت، كذاك الحـر لا يتغـير
ألفوا المعارك والبطولة والفـدا ... خاضوا غمار الموت كـي يتحـرروا
نشء تجهز للكفاح تخالـه ... أشبال غاب فـي الكريهة تـزأر
أسد حمت آجامها بشجاعـة ... والاسد تحمي غيلها وتزمجـر

(1) نظمها بمناسبة ذكرى حوادث 8 ماي 1945، بسطيف وخراطة وقالمة، التي ذهب ضحيتها 45 ألف جزائري، وقد نشرت بالبصائر، 155، 1951/05/14.

يا فتية الوطن الكرام وجنــــده — هبوا الى العلياء لا تتأخــــروا
جدوا فان الشعب يخلع قيــــده — رغم الطغاة ،وبالحقوق سيظفــــر
هيا اعملوا كي تخلفوا أجدادكـــم — في الكون ان جدودكم ما قصــــروا
ملكوا زمام الكون بالعدل الــــذي — في شرعة الاسلام راح يقــــرر
الكون ضاق بكل حكم جائــــر — فاختار شرعة أحمد هي تنشــــر
والكون قد لبى نداكم مسرعــــا — فغدا يضمد جرحكم ويكــــبر
أنتم غدا أشبال ذي الاسد الـــتي — في رد كل ظلامة لا تفــــتر
يا شعبكم لاقى شبابك مـــن أذى — ما زادهم الا يقينـــا يبهــــر!
يا شعب لا يحزنك آلام بهـــا — ترقى الى أوج الكمـــال وتفخــــر
لله ماغشى البلاد مـــن الاذى! — فالله يشهد والليالـــي تذكــــر
ماذا جنى وطن بـــريء طاهــــر — مستمسك بالحـــق لا يتهـــور؟
قد هب يطلب حقـــه فهرعـــتم — للقتل ،للتشريد ،لم تتبصــــروا
هذي دروس في الحياة مفيــــدة — " للشعب " ان رام العلا ،يتحــذر
آن الاوان فجددوا بنضالكـــم — مجدا تليدا للبـــلاد يسطــــر

رحمك يا رائد الصحاب... (1)

قد اغتالك الموت الذي ليس يرحـــم — ومن ذا الذي من أسهم الموت يسلـــم ؟!
أصابتك يا " فرحات " أسهمه الــتي — تصيب فلا تخطيء ،وتصمي ،وتعـــدم
هويت ـ كطود مشمخرا ـ مجنـــدلا — فكل فؤاد بالفجيعـــة مفعـــم
وأورثتنا حزنا عميقـــا وأدمعـــا — غزارا على الحزن العميق تـــترجـــم
دموع وفاء أنت مبعث سكبهـــا .. — يجود بهـــا القلب الجريـــح المحطـــم
طواك الردى ـ زين الشباب ـ فمن لنا — بخل يسلينا ،ويأسو ،ويرحـــم ؟

---

(1) البصائر، 157، 28/05/1951، وهي في رثاء صديقه المصلح "فرحات بن الدراجي" .

فلله ما أحلى مجالسك التي   نحن اليها كالربيع وننعم
لقد طويت وانهد ركن بنائها   ولم يبق فيها سامر يتكلم
فيا لهفة الاصحاب كنت فيهم   كروض يفوح بالزهور ويلهم !
فصوح من بعد ابتسام يزينه   وقد طار عنه البلبل المترنم
قضى الله في الشمل الجميع بفرقة   وذلك خطب هوله متجسم
تولى الذي قد كان رمز بشاشة   اذا ما نبا دهر به يتبسم
ومجمع أبحاث وكن بداهة ،   وجودة تحصيل ، به يتكرم
خطيبا له في كل حفل روائع   ونثر نفيس ، كالجمان منظم
فكم لك في تلك الميادين من يد   على " الضاد " تحميها كأنك ضيغم !
لقد كنت سباقا الى كل غاية   لتدرك مجدا ، أنت بالمجد مغرم
فيا راحلا عنا ألم تك بيننا   رفيقا عزيزا ، أنت فينا المقدم ؟ !
برغم محبيك ارتحلت وانهم   سيدركهم ذاك القضاء المحتم
رحلت عن الدنيا وخلفت صبية   وأمهم ثكلى ، وفي البيت مأتم
تركتهم في دار ظلم ووحشة   فمن ذا يواسيهم ، ويحنو عليهم ؟ !
نراهم حيال النعش يبكون حسرة   مفتتة أكبادهم تتضرم !
ومن ذاق فقدان الابوة في الصبا   تجرع كأسا فيه صاب وعلقم
"أفرحات" ما هذا الغياب أبن لنا   وكنت اذا غبنا ـ أخي ـ تتألم !
عهدناك لا ترضى بفرقة ساعة   فكيف ، وبين الموت لا يتصرم ؟ !
مضى لم يودع صحبه في غيابه   وهيهات ان الموت باغ مصمم !
به قد نأى عن ذي الحياة وخطبها   فأوصابها الجلى علينا تخيم
فنم مستريحا من بلاء محدق   فطورا بنا يعفو ، وآخر يهزم
سألتك ربي رحمة مستفيضة   تسح على قبر ، به النبل يجثم

صن لسان الضاد (1)

سوف تسمو فوق هام الشهب — يا سليل المجد يا ابن المغرب!
سر سيحذوك العلا ان العلا — مطمح للحر، والشهم الابي
صن لسان الضاد من ظلم العدى — وحمى ضاق بحكم الاجنبي
حرر المغرب من أغلاله، — وافتده يا ابن الكرام النجب
لا تنم فالغرب يقظان غدا — يرصد الشرق كرصد الشهب
انما الغرب جحود منكر — لايادي الشرق عند النوب
انما الغرب ظلوم معتد — لبني الشرق كثير الشغب
لا تلوموه على طغيانه — انه جنح فوق الكوكب
حطم القيد، ولا تخضع لمن — رام ارهاقك واجهد وادأب
لا تكن عبدا ذليلا للذي — دان بالامس لحكم العرب
دينك الاسلام يأبى أن ترى — أبد مشتغلا باللعب
دينك الاسلام حرره تسد — وتنل ما ترتجي من أرب
دينك الاسلام دين خالد — شمسه ساطعة لم تغرب
دينك الاسلام كن متبعا — لمباديه تفز بالغلب
سامه الغاصب ألوان أذى (2) — ورماه بفنون الريب
فمتى تحميه من أعدائه؟ — فهو من أعدائه في كرب
هو للشرق شعار ماله — ان يضيع دينه من حسب
وهو للظمآن ورد سائغ — فانهلوا من ورده المستعذب
وهو للمسلم نور مشرق — ولهيب لجحود مذنب

---

(1) نشرت بالبصائر، 159، 1951/06/11.
(2) في الديوان "أذي" وهو تصحيف.

يا شباب[1] العرب يا رمز العلا | يا بقايا سلف من يعرب
ذد عن الغيل العدى ،واحم الحمى[2] | وتقدم للفدى لا ترهب
وخض الهيجاء مقدام الخطى | وعلى جمع الاعادي فثب
قد فقدنا مالنا من عزة | ورضينا الذل من كل غبي
انهضوا للعمل المجدي فما | غيره يرجع مجد العرب •

مرحبا بالبلبل الغريد (3)

((قدم شاعرنا الاستاذ عبد الكريم العقون هذه القصيدة الرائعة الى فنان الشرق الاستاذ فريد الاطرش بمناسبة زيارته للجزائر في الربيع الماضي ،كتحية جزائرية لحضرته وللشرق كله ،فتقبلها الاستاذ فريد قبولا حسنا ،وعدها خير وسام تقلده الجزائر اياه •

وليس نشرها مؤخرة قليلا عن مناسبتها بضائرها ،ما دام معناها قائما في النفوس حيا في القلوب •))

"البصائر"

نبأ أحيا النفوس الظامئات | وسرى في الجسم مثل الومضات
وهفت أفئدة خفاقة | لهزاران شدا يحيي الرفات
أقبل البشر علينا فغدت | في انتشاء كلها هذي الحياة
مرحبا بالبلبل الغريد في | أيكنا يشدو بأحلى النغمات
قد وهبناك قلوبا فاسقها | خمرة قدسية فيها الحياة
هاتفا في هيكل الوحي الذي | يتراءى للنفوس الشاعرات
علها تمحو تباريح الجوى | علها تنسي هموما كالحات

(1) في الديوان " يا شاب" وهو تصحيف •
(2) في الديوان " الحمي " وهو تصحيف •
(3) البصائر ،165، 1951/07/30 •

يا طبيبا آسيا في فنــه لحنه يأسو الجراح الدامِيــات
طالما رجعت أنغاما شفت من أساها أنفسا مكتئبــات
دب منها البرء وانساب الى أكبد قد عاودتها الذكريــات
أنت اما شئت أحييت المنى واذا شئت أسلت العــبرات
فترفق بحنايا أضلــع لذغتها من غناك اللفحــات
لمستها ريشة علويــة أيقضت فيها المنى والصبوات
ريشة حركت أوتارا بهــا فأتت بالسحر، احدى المعجزات
شاعر الالحان ذي أرواحنا في سماء الفن رفت هائمــات
حلقت[1] في عالم مخضوضر هزها همس الشفاه[2] الملهمات
تتلقى الوحي منها شيقــا وتعيه بقلوب واعيــات
يا فريدا في المغنين الاولى بعثوا الاطياف تتري حائمات
نسبة بالموصلي " اتصلــت بك في هذي الاغاني الساحرات
جئت تشدو في ربوع مسهــا ألم الظلم فأمست يائســات
جللتها ظلمة حالكــة ويحنا من ظلمات حالكــات
ان في ألحانكم تضميد ما جرحت تلك الايادي الآثمــات
فأعينونا على أعمالنــا يا بني النيل الميامين الابــاة
هش شعب طامح مستبشــر وتلقاكم وضيء القسمــات
مرحبا بالشرق في أشخاصكم مرحبا بالضاد عنوان الصلات
احملوا منا الى ذاك الحمى شوق شعب وتحايا عاطــرات
يا طيور النيل يا من رفعوا راية الفن لاسمى الدرجــات
آه ما أعظم أشواقي لكــم ولانغام عذاب موحيــات
دمتم للفن يسمو بكــم فاملأوا الكون لحونا منعشــات

(1) في الديوان " خلقت " وهو ما لا يتناسب مع السياق .
(2) في الديوان " الشقاء " وهو تصحيف .

تحيــة المغــــرب (1)

((أتاح الحظ أخيرا لشاعرنا الشيخ "عبد الكريم العقون" زيارة مدينة فاس، فأوحى اليه نهرها الجميل - نهر الجواهر - القطعة التالية :

"البصائــر"

" فاس " الجميل تحية فيحاء خالطها العبيــــــر!
أبدية تغشى ربوعك في الاصائــل والبكـــــور
اني حللت " بنهرك " الرقراق يشدو بالخريــــر
مسترسلا فـي السير لا يثني خطاه ولا يخـــور
شق " المدينة " تائها بخلوده أبـد الدهـــور
متمائلا نحو السهول الخضر والروض النضــير
يطغى لهيبا كاد أن يقضي على العشب الخضير
وحنا عليها كي يقبل ثغرها الحلـو الطهـــور
فتتيه باسمة مع الاكوان كالطفـل الغريــــر
يتلو أهازيج الاماني للكبيـر، وللصغيــر
للطير، للشفق الجميـل، وللحياة وللصخـــور
للعاشق الولهـان، يأسو قلبه الدامي الكسيــر
ويزيح عنه لاعجـا قد كاد يعصف بالصـدور (2)
ويهز أوتـار القلوب اليائسـات (3) من السـرور
فتصير تطفح بالامـاني المائجات مع الشعـور.

⊕ ⊕ ⊕

(1) نشرت بالبصائــر، 181، 1952/01/21 .
(2) في قوله " ويزيح عنه لاعجا " كسر وزنـي .
(3) في الديوان " البائسات " ، وهو تصحيف ، لان المعنى لا يستقــيم .

" نهر الجواهر " هذه أنات قلب مستطير

هدته أوجاع الحياة فخف نحوك يستجير

فاعطف عليه وغنه لحنا كأنغام الطيور

فلعل لحنك يمسح الاشجان والداء المضير

ان أنس لا أنسى " مآذنه " التي لاحت تشير

لعهود عصر زاهر بالعلم والملك الكبير

في ظل " أندلس " المجيدة وذلك الكنز الاثير

غربت شموس أشرقت بالمجد واحتجبت بنور!

لله ما أحلى زمانا قد تولى وهو يحور!

فيه الحياة طليقة من كل بهتان وزور

فيه الفنون الخالدات على الليالي والعصور

هلا نجدد ذلك المجد الاثير المستنير ؟!

ونرد مغتصبا أثيما بث في الكون الشرور ؟!

⊕ ⊕ ⊕

يا أيها الشعب النبيل الحر اداب في المسير

ذد عن حماك وكن له في الهول كالليث الهصور

سيقودكم ملك أبي النفس مقدام غيور

قد ثار في وجه البغاة وأي حر لا يثور ؟!

انه على آثار المثلى يسير بلا فتور !

بارزيلـــــــي (1)

هات ياخدن حياتــي نغمــا يشفي الالــــــم !
رجعه ترديد أشعــار بهــا يحلو النغـــــم
انه يحدو بأرواح ظمـــاء تضطـــــــرم
تائهات في مجـــال الخلـــد (2) تنشوى بالحلـــم
حلقت في عالم السحـــر الوضــي ء المبتســـم
حرة تهوى المعالـــي ذات وجـــد بالعظـــم
برمت من سجنهـــا الداجـــي فثارت كالحمـــم
قيـــدت في حمـــأة الطـــين بجسم ينعــــدم
فغدت تهفـــو الى سر الوجـــود المكتـــتم
رفرفـــي حيث تشائـــين رفيقـــا كالنســـيم
ساعفيــــني في نشيـــد مثل در منتظـــم
يا حليفـــي غنت الاكـــوان لحنـــا منسجـــم !
رددت أصـــداءه هذي الدنيـــا منذ القـــدم
دبت النشـــوة في أرجائهـــا حـــتى القمـــم
غرد الطـــير بلحـــن ساحـــر يحيي الهمـــم .

⊕ ⊕ ⊕

يا رفيقـــي منذ أن يممت هـــذا المزدحـــم
ما حكـــا عنـــد ســـروري باكيـــا حين السقـــم
أنت مـــني وأنا منـــك فذد عـــني الســــأم

---

(1) نشرت بالبصائـــر ،العدد 201، 1952/09/15 .
(2) في الديوان : مجـــالـــسي .

لا تكلني لهموم بفؤادي تصطدم
من حنايا أضلع حرى كنار تحتدم
وافني نصدح (1) كلانا نغما عذب الكلم

⊕ ⊕ ⊕

يا نجيي في وجود مثل بحر ملتطم!
زاخر بالظلم والحقد ملئ بالنقم
لم أجد غيرك خدنا ان قسا الدهر رحم
واذا خان صديق كان لي غر الشيم
قد تفي من بينهم لم تكن عندي متهم
أنت للنفس طبيب تبرئ الجرح الورم
واذا ما جاش بالنفس شعور وازدحم
صغته عقدا من النظم بديعا ملتحم
أنت من نفسي مشتق ، وفيها محتكم
فاذا جاء الربيع الطلق تشدو لا تنم
أنت مرآة لنفسي في الشقا أو في النعم
أنت لحن علوي الانغام رفاف الحلم
هامسا ينفث سحرا منه ينفي كل هم
اسقني من نهرك الفياض ما يطفي الضرم
فعليك القلب حوام به شوق ألم
كلما لاح صباح ومتى الليل ادلهم .

(1) في الديوان : تصدح ، وهو تصحيف .

صوت الديـــــن (1)

((طالما أثيرت قضية فصل الدين عن الحكومة فذ بجت فيها المقالات الضافيـة بأقلام أبطال " جمعية العلماء " ،ووقفوا تجاه القضية مواقف مشرفة ،وصال وجال حولهـا النواب المخلصون في المجالس النيابية ،ودنت الرؤوس من الرؤوس ،وهمس النظارة متحمسين معجبين ،فالى هؤلاء جميعا أهدي القصيد التالي :

" عبد الكريم العقون "

ان صوت الدين ناداكم فلبـوا مسرعيـــن
قد دعاكم لحياة بعـدهـا الفوز المكيـــن
فابعثـوه ـ من جديـد ـ رائعـا للناظريـــن
بعـدما دنس من قـوم بغـاة آثميـــن
حاربـوه نهبوا أوقافـه النـاهبيــــن (2)
وعثـوا في أرضنـا مثـل ذئـاب جائعيـــن
نشـروا الاوصـاب الـرجس وأخلاقـا تشيـــن

⊕ ⊕ ⊕

ان ذي " جمعيـة للعلمـاء " المسلميـــن
قد دعتكـم للعـلا والعـز والفتـح المبيـــن
بعث اللـه اليكـم أسـدا تحمـي العريـــن
يحملـون المشعـل الوضـاء يهـدي المدلجيـن
لكـم في " أحمد " المختـار خير المرسليـــن
أسـوة في رفـع حصـن للهـداة المخلصيـــن

---

(1) البصائـــر، 216، 1953/02/06 ٠

(2) الناهبين : منصوبة على الاختصاص ،ولا بد من قراءتها بالقطع " الناهبيـــــن " حتى لا ينكسر الوزن ٠

بدأ الداعـــي الى الرحمـــن ببيت المتقــــين
في قبـــا شيــد مشكـــاة حـــق ويقـــين
انما المسجـــد ـ يا مسلـــم ـ مأواك الحصـــين
ما لنــا يا جنـــد طـــه ديننــا اليوم رهـــين
دينك الاســـلام ـ يا مسلـــم ـ وضــاح الجبـــين
دينك الاســـلام ورد سائــغ للشـاربـــين
دينك الاســـلام مشكـــاة تضـي‌ء العالمـــين
دينك الاســـلام سيـف مصلـت للملحديـــين
دينك الاســـلام روح قـــد ســـرت في المؤمنـــين
دينك الاســـلام يلقـــي نـوره للتائهـــين
دينك الاســـلام دين العقـــل والقـول الرصـين
قد أزاح الشـــرك عن عقـل الطغـاة المشركـــين
وهـداهـم بعـــد غـي وجحـــود وظنـــون
جـاء بالرحمـة والعـزة والمجـــد الثمـــين

⊕ ⊕ ⊕

أين تلك المثـل العليـا التي فـي خـير ديـــن ؟
أين آداب وأخـــلاق وصـــبر ويقـــين ؟
أين تلك الوحـــدة العظمـــى كبنيـــان متـين ؟
أين تلك الـــروح ان ثـــارت تهـز الجامديـــن ؟

⊕ ⊕ ⊕

ارجعـــوا للديـــن ان الديـــن يحـيي الخاملين
ان بالديـــن حيـــاة العـــرب هبـوا أجمعـــين
أنتم حـــزب الالـــه الطاهـــر القلب الامـــين

استعدوا لـتردوا عهد جند ظافرين
لا تخوروا أنتم الاعلون رغم الكاشحين
ناضلوا يا قوم واحموا دينه من غاصبين
ان جند الله لا يخشى الردى أو يستكين
كافحوا الظلم وذودوا عن تراث المسلمين
انهضوا لا ترهبوا من هؤلاء المعتدين
أنتم من نسل أبطال غزاة فاتحين
فأعيدوا مجدكم يا قوم من دنيا ودين
خالقوا بعضكم بعضا برفق ، وبلين
واجمعوا الشمل ، وقوموا ضد قوم مجرمين
لا تناموا ، لم تتح هذي للنائمين

يا عمر ...! (1)

أضحيت عني قصيا — من غير جرم لديا
هجرتني يا حليفي — نبذتني ظهريا (2)
قد كنت تكشف همي — وتبعث الشدو حيا
تزور في كل وقت — تظل تهفو اليا
ترف حول خيالي — ترن في أذنيا
ضحى وصبحا وليلا — وبكرة وعشيا
تأسو فؤادا جريحا — بين الضلوع شجيا
مشاركا في شفائي (3) — وماسحا مقلتيا

(1) البصائر ، 230 ، 1953/05/22 .
(2) ظهريا بمعنى :
(3) في الديوان " شقائي " وهو تصحيف من الناسخ .

من زفرة وقروح	تدوي بقلبي دويا
عدني كما كنت قبلا	كالفجر لاح وضيا
تمحو خطوبا دهتني	قد أثقلت كتفيا
هل تستجيب ندائي ؟	أدرك رفيقا وفيا
ما لي أراك شريدا	عني وكنت حفيا ؟
وكنت توأم روحي	تسعى اليها نجيا
اليك أشكو زمانا	طغى وجار عليا
اسكب لحونك وانفث	سحرا حلالا نديا
ترجم بحقك عني	وكن صدى قدسيا
يا شعر! يا بن الليالي	يجلو دجاها العتيا
يا بن الطبيعة يبدي	منها الخبيء الخفيا
يا بن الجداول يحدو	خريرها السحريا
يا بن الجمال غدونا	له نخر جثيا
يا بن الربيع المغدى	شذاه فاح ذكيا
يا بن الغناء المندى	ينساب عذبا شهيا
يا بن المآتم يذكي	لهيبها المطويا
يا بن الخطوب العواتي	يا من تواسي الشقيا
يا بن الخيال يناغي	نشيده العبقريا
يا رمز كون عجيب	وحبنا العلويا
يا شعر أنت رجائي	أقبل وخذ بيديا
أصبو اليك وأشكو	اذ لم أجد لي وليا
يا بن الحياة علاما	أضحيت عني قصيا ؟ .

الـى روح أبـي القاسم الشابـــي (1)

((حزني ـ والله ـ ما نجه الاستاذ أبو القاسم محمد كرو،عن شاعر الحب والجمال أبي القاسم الشابي طيب الله ذكراه،ذلك الشاعر العبقري الذي عاجله الموت ،وهو في ريعان الصبا ،فلم يرحمه ولم يمهله،والذي أودع قصائده آلامه وأحزانه،وحبه وهـــواه وأفراحه وأتراحـــه .

فالى أبي القاسم كرو الذي جدد صلتنا بشاعرنا الخالد ،والى روح الشابي أهدي القصيـــد)) :

(عبد الكريم العقون)

شاعر هاج لي الذكــــر! بأغاريده الغــــــرر
ساحر الشدو ملهـــم ينصت الكون ان شعـــر
يتحدى بعزمـــه نوب الدهـر والغـــير
يا أبا القاسم الـذي قرض الشعر في الصغـــر!
قد فقدناك بلبـــلا غرد اللحـن مقتــدر
كم ((تغنيت للحيـــا ة)) (2) وللحب والسمـــر
صادحا للنهـى بما يطرد اليأس والضجـــر!

⊕ ⊕ ⊕

شاعر الحب والاســى مبدعا أروع الصـــور!
باعثا ميت المـــنى ملهما كل مبتكـــر!
ذا خيـال محلـــق في سمـاء من الفكـــر!
شارد اللب حائـــرا ان دجا الليل لا يقـــر!
عند محراب حبـــه قد جثا يبتغـي الوطـــر!

---

(1) البصائـــر،244،1953/10/23 .
(2) اشارة الى ديوان الشابي " أغاني الحياة" .

ففي كل قلب مهرجان مخلـــد ... وفي كل سمع رنة البنا الحـادي (1)

وأوفدت الخضراء (2) بدورا طوالعا ... ينابيع آداب، أدلة ارشـــاد

وذلك يوم الملتقى بجلالـــه ... تلاقت وفود الشعب يزهو بها النادي

أولئك آساد البلاد وجندها ... يذودون عنها كل بغي وإفساد

تلقتهم " سرتا " كأم مشوقـــة ... لابنائها والبشر في وجهها باد

فمادت بهم في نفحة قدسيـــة ... وأبدت من الاكرام فيضا لمرتاد

تجلت عليهم روح يعرب للقـرى ... فكلهم شهم وكلهم فـــاد

جزى الله عنا محسنين أمجادا ... الى الخير سباقين ليسوا بأنكاد

وروح ابن باديس ترف عليهـــم ... وتهمس فيهم كالنسيم لاوراد

ألا خلدوا أسماءكم وجهودكـــم ... وهبوا لتحموا الشعب من صولة العادي

⊕ ⊕ ⊕

لقد يمموا " دارا " كطود ممنـــع ... بناها رجال شيدوا مثل أجداد

على البر والتقوى بنوا جدرانها ... فلله قومي كيف شادوا لاحفـــاد

هم ضمنوا مستقبلا لشبابهـــم ... لينشأ جيلا شامخا مثل أطـواد

هو الفجر قد لاحت تباشير نوره ... لنشء غدا من جهله رهن أصفاد

⊕ ⊕ ⊕

" قسنطينة " كم ذكريات تجددت ... بلقياك، والذكرى لقلبي كالـزاد

أتيت اليها بعد حين يهزنـــي ... حنين كصداح على وكره شـــاد

ذكرت بها " عبد الحميد " وعهده ... وأيامه الغراء جادت باسعـــاد

تذكرت أياما بها ولياليـــــا ... عذابا قطعناها على هامة الوادي (3)

---

(1) في الشطر الثاني من البيت خلل عروضي، يستقيم بجر البنا " هكذا: البنا " وتنوين كلمة " رنة " لتصبح " رنـة " للبنا الحادي ".

(2) في الديوان الخضراء بالهمزة، وهو مالا يستقيم به الوزن، والخضراء هي تونس الشقيقة.

(3) يشير الشاعر هنا الى اقامته بقسنطينة فيما بين 1933 و 1936، حيث تتلمذ للشيخ عبد الحميد بن باديس.

فنبسم للآمال وهي مشعـــة   ترفه أحزانا تحــز بأكبـــاد
فكم قد وقفنا خشعا بجسورها   نطالع فنا خالدا منذ آمـــاد
ترى كيف شيدت في الهواء وأحكمت   وصارت ممرا مستقيما لــــرواد ؟
هو العلم يبني في الحياة عجائبا   تبث حياة في قلوب وأجســاد .

لهيب المستعر !(1)

فارق الصحب والرياء الهـــزار   وتولى عن أيكه الخزنـــدار
صوح الزهر وانقضى أمل الشـــ   ـدي به وتعرت الاشجـــار
فنأى حيث رحمة وهنـــــاء   في حمى لاتشوبه الاكـــدار
بعد ما أمتع القلوب يشــــدو   قدسي ، كأنه أوتـــــار
شاعر كان شاديا في ربــــوع   قد عثا في رياضها الاشرار
طالما رجع اللحون وغــــنى   فاستجابت للحنه الاطيـــار
ومضى والبلاد في سوء حــــال   قد دهتها من العدا أضرار
" تونس " روعت لفقد فتاهـــا   وبكاه الرفاق والسمــــار
رحل الخزندار عن هذه الدنـ   ـيا وأكدارها علينا تــدار
فجع الشعر والاخــــلاء والا   داب فيه وأهله والـــدار
انما هذه الحياة كســــوق   كل يوم بضائع تختــــار
ان هذا السباق لابد منـــه ،   وسيان الاشرار والاخيـــار
راح " والشعب " لم تتحقق أما   ـنيه الغوالي ولم يفك الاسار
كان يحدو به لفك قيـــود   مثقلات تفكها الاحـــرار
فبلاد الجزائر اليوم في حــز   ن ، له في الحشا جوى وأوار (2).

---

(1) البصائـــر ، 259 ، 1954/02/19 ، وهي في رثاء الشاعر التونسي محمد الشاذلي خزنـدار .
(2) أوار = لهيب .

نحن صنوان في البلاء فهــــلا تدفع الظلم أيها الابـــــرار؟!
أفنبقى والظلم يهمي علينـــــا كل يوم كأنه أمطـــــــار؟!
فلنضم الشتات - يا قوم - ولنحـ ـم حمانا فالذل - والله - عار
كافحوا البغي، لا تخابوا، فان الـ ـبغي لا بد صرحه ينهـــــار.

مسجد أعظم به من مسجد..! (1)

(ألقيت في الاحتفال بمسجد تازمالت)

شيد المسجد ياابن الاكرمـــين وتعهد دينك الزاكي المكـين
وابن للاسلام حصنا شامخـــا لتنال العز والفوز المبـــين
وتزود من شعاع باهـــــره واغترف من منهل عذب معـين
حي عهدا قد مضى مزدهـــرا واتبع نهج الهداة المصلحين
بدأ الداعي(2) لدى هجرتـــه "مسجد التقوى" ومأوى الطاهرين
في "قبا" شارك في تشييـــده خاتم الرسل، وخير العالمـين
وغدا يرفع للــــه علـــــى أسس التقوى منار المؤمنـــين
حيثما حل بـنى في أمـــــة معقلا ليشفي من الداء الدفين
ومشى في نهجه أتباعـــــه كم بنوا لله من حصن حصـين
مسجد أعظم به من مسجـــد هو مثوى للهدى عال متـين
شيدته أمة مخلصـــــــة فغدا يسبي عيون الناظريـن (3)
انه كالغيث يحيي مـــا ذوى من نبات ورياض وغصـــون
ساقه الله الى أرض عـــدت منبت الورد نما والياسمـين

(1) البصائـــر، 272، 1954/05/21.
(2) أي الرسول (ص).
(3) يســـبي = يسحــــر.

حاول الكاشح أن يطمسها فغدا سخرية للساخرين .
بذل الاموال في تضليلها زمنا طال فخانته الظنون .
جند الآباء للتبشير في ثكنة الاسد ومهد الصادقين
خاب سعي المفتري في أمة لم يزحزحها سراب المفترين
حل في ألبابها نور الهدى فمحا عنها ظلام المشركين
ثبتت في دينها لا تبتغي حولا عنه فسيء المرجفون (1)

⊕ ⊕ ⊕

يا بني العرب انهضوا لا تحجموا انكم أبناء جند فاتحين
أيقظوا العالم من رقدته ثم ساسوه برفق، وبلين
محقوا الظلم وذادوا أهله وجلوا نهج الهدى للمدلجين
"خالقوا الناس بخلق حسن" ومساواة فنعم المتقين
قرروا الشورى وكانت مبدأ لحياة فجرها شق الدجون
طرب العالم واهتز لها راقصا نشوان بالحق اليقين
حافلا بالعدل والنور الذي شع في الصحراء يحدوه الامين
خضعت فارس والروم له واستضاءت بضياء العالمون
لا تقل قد خمدت جذوته انها لا تنطفي طول السنين

⊕ ⊕ ⊕

يا وفود العلم ،أبطال الحمى ! يا أسود الله ،احموا ذا العرين !
اخلعوا الاغلال عنه قد غدا راسفا تحت قيود الظالمين
انه يصرخ منهوك القوى فاحمه بالدين والخلق المتين .
أبذلوا الاموال والنفس معا فتنالوا المجد ،مجد الاولين .

⊕ ⊕ ⊕

(1) المرجفون = المزيفون ،الكاذبون .

يا شباب العرب ما هذا الونى ؟ "فالشمال" اليوم مكروب حزين !
ان في الخضراء[1] هولا مفزعا وكذا في المغرب الاقصى شجون
وتوالت فتن صبت على شرقنا المشرق كالغيث الهتون
ونفوسا طاهرات أزهقت دون ماجرم بأيدي الاثمين
مسنا الضر ، وديست أرضنا واستكنا لطغاة معتدين
لا تخر فالنصر يأتيك غدا فتأهب للفدى في كل حين
ان فجر النور قد لاح على "شعبك" المكدود وضاء الجبين .

يوم الجلاء والتحرير (2)

انجلى الظلم عن "الوادي الخصيب" كانجلاء الليل عن فجر خبيب
فوق سبعين قضاها جاثما في ربوع مسها منه اللهيب
فعتا فيها زمانا جائرا ثم ولى جانحا نحو الغروب
أفلت أنجمه مذ سنة بغروب أبدي لا تؤوب
هكذا الظالم قبر عمره ! هكذا يودي به الحق المهيب !
قد هوى في هوة مهلكة ليت في أعماقها الا شعوب (3)
نشبت أظفارها في جسمه فغدا يصرخ أضناه النحيب
((قد طوى الدهر شراعي فلا عد ولا ودع مصر بالدمع الصبيب))

⊕ ⊕ ⊕

يا بني الاهرام هذا عيدكم انما خضدتم شوكة الخصم الغريب (4)
ووثبتم وثبة صادقة ناضلت عن عزة النيل الخصيب

(1) الخضراء = تونس .
(2) بمناسبة جلاء القوات الانجليزية عن مصر ، وقد نشرت بالبصائر ، 285 ، 1954/09/17 .
(3) شعوب (بفتح الشين) = الموت .
(4) خضدتم = كسرتم .

وحميتم " ترعة " قد خاضها   معتد ليس له فيها نصيب
قيض الله لمصر فتية   ان دعاها صارخ الحق تجيب
حقق الله بهم آمالها   كلهم للمجد سباق دؤوب
هكذا الابطال لا يثنيهم   عن أمانيهم عناء أو لغوب !
بيضوا وجه بني العرب ومن   ينتمي للعرب في اليوم العصيب .

⊕ ⊕ ⊕

مجلس الثورة يا حامي الحمى   والذي استولى على عرش القلوب
قدت للعلياء جندا صالحا   فتداعى لك شبان وشيب
ومشى وسط خضم صاخب   يقذف الامواج كالليل الرهيب
فنجا من محنة عاتية   أدرك الشاطيء من قبل المغيب
يارعى؟ الله حماة أخلصوا   هم جمال وصلاح ونجيب (1)
قد أتى الفتح على أيديكم   مشرقا لاح على الافق الخضيب
فخذوا حذركم ان العدا   منهم في كل ميدان رقيب
فخذوهم واحصروهم واعصفوا   بعداكم عصفة الريح الغضوب

⊕ ⊕ ⊕

يا بني النيل هنيئا لكم   ذا الجلاء اليوم للعرب يطيب !
كم فؤاد ها هنا في طرب   راقص للنبا العذب الطروب !
(فاذكرونا مثل ذكرنا لكم)   أيها الابطال انا في كروب !
من دخيل لج في طغيانه   سد في أوجهنا كل الدروب
نحن في الخطب سواء هل لنا   منكم عون على دفع الخطوب ؟

---

(1) جمال عبد الناصر ، وصلاح سالم ، و محمد نجيب من جماعة الضباط الاحرار .

بجـــايـــــة..! (1)

((نظمت بمناسبة زيارة لها مع بعض الرفاق))

((مهداة الى الاستاذ الاديب حمزة بوكوشة الذي افتتح فصوله الادبية بما قيـل في وصف بجايــــــة)) .

بجاية نبع العلا والعظـــم ! ومثوى جدودي هداة الامـــم
أتيتك تحدوني الذكريـــات لماض مجيد تحدى العـــدم
أغر جميل الرؤى خالـــدا (2) يلوح لنا كالسنا في الظلـــم
مآثر شاخصـــة للعيـــان مدى الدهر تبقى ولا تنعـــدم
تبدت لعيني على أفقهـــا ملامح من عزها المنصـــرم
يعانقها من رقيق الغمـــام وشاح موشى به تلتثـــم
ويحرسها من رواسي الجبـــا ل كل رفيع الذرى والقمـــم
توسدت السفح في عـــزة يطوقهـــا كل طود أشـــم
ومن بينها قد بدا ساخـــرا " قراية " من كل خطب ألـــم (3)
و" ملالة " (4) ملتقى الاسد من رجال العروبة أهل الذمـــم
بها دفن الثلج جيش العـــدا وذاق صنوف الردى والالـــم

⊕ ⊕ ⊕

" بجاية " كم شاعر مبـــدع تغنى بحسنك عذب الكلـــم

---

(1) البصائر، 295، 1954/12/03 .
(2) الصواب أن يقول خالد (بالكسر) لانه نعت لـ " ماض " الواردة في البيت الثاني .
(3) قراية : نهر ببجاية .
(4) ملالة : قرية تقع على نحو 7 كلم من بجاية على الطريق الـــــذي يـــؤدي الى الجزائر العاصمة ، كانت في عهد الحماديين مركز اشعاع فكري وأدبي ، وبها أقـــام المهدي بن تومرت ردحا من الزمن .

وهام بواديك مستلهمـــا ... خريرا كترتيل شعر نظـــم

بدا هائما بين تلك الربـــى ... يدغدغ أحراجهـا من أمـــم

تدفق لهفان في نشـــوة ... طوى السهل في سيره المزدحم

على شفتيه غصون الكـــروم ... تداعبه في حفيف النســم

غد يتدافع في ســـيره ... حدته الطيور بأحلى النغــم

وقد أنصت الغاب في لهفـة ... يهدهده نغم منسجـــم

وأسرع للبحر في ركضـــه ... يصافح منه العباب الخضـم

دنا نحوه خاشعا مطرقـــا ... ليطفيء شوقا به يضطـــرم

وعانقه البحر جم الحنـــان ... عناق أخ لاخ قد قـــدم

فأحبب به منظرا رائعـــا ... يداوي الكلوم ويشفي السقـم

⊕ ⊕ ⊕

هنا قد ذكرت العهود التي ... بها كان "حماد"(1) ليث الأجـم

هنا كان حماد ذا صولـــة ... بنى مجده بالقنا والقلـــم

هنا كان حماد في عـــزة ... يدافع عن غيله من ظلـــم

هنا كان حماد يهوى العـلا ... ويبني المعاهد مثل العلـــم

قد اكترع النشء من نبعهـــا ... علوما تسح كمزن الديـــم

"أحماد" عمرت دهرا مضـى ... وضيئا به كل بدر أتـــم

فكم من أساتذة قد هـــدوا ... قوافل في غيهب مدلهـــم

وكانوا مصابيح وهاجـــة ... بهم يهتدي في ليالي الظلـــم

وكم من فتاة كبدر الدجـــى ... تبث العلوم بها والحكـــم

بدت آية العصر في عصرهـا ... تعد شباب العلا والشـــيم

وتمحو الجهالة عن أمـــة ... فكانت لابنائها خـــير أم

(1) هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد ، مؤسس قلعة بني حماد المشهورة .

وقفت بأرجائها ساهمـــا أراجع عهدا مضى كالحلـــم
فقلت ـ وفي كبدي لوعـــة لا دفعها بصدري جثـــم ـ
فهذي مآثرهم شاهـــدات بآي الخلود ومعنى العظـــم

الى شباب الجزائـــر المناضـــل ...! (1)

شباب الجزائر مالـــي أراك تقاعست حتى استبيح حمـــاك
فذد عنه ظلما جنته عـــداك فمن ذا يدافع عنه ســـواك
فحز في الملمات كل الفخـــار
ولا تتقهقر فتجني البـــوار
شباب الجزائر نعم الشبـــاب اذا ما دعاه العلا لا يهـــاب
يلبي سريعا يخوض الصعـــاب ليقضي عن الغيل شر الذئـــاب
فيحيا عزيزا مصون الـــديار
ويرجع عهد العلا والفخـــار
شباب الجزائر لا تيـــأس وجد بالنفيس وبالانفـــس
بفاتح (2) هذا الشمال ائتـــس ومن حلل المكرمات اكتـــس
ستجني لشعبك خير الثمـــار
وتأتي شموس تضيء النهـــار
شباب الجزائر ماذا الونـــى ألفت الركود وعيش الهنـــا
فان رفات الجدود هنـــا تنادي الشباب ليجني المنى
قلب النداءات واحم الذمـــار
أزل عنهم كل حيف وعـــار

(1) البصائـــر، 326، 1955/07/08 .
(2) هو عقبة بن نافع الفهـــري .

شباب الجزائر يا ابن الغـــد فذد عن حماك العدى وافتـند
بآبائك الاولين اقتـــــد وجدد عهود هم جـــــدد
فعهد هم كان عهد ازدهـــار
وشمس هدايتهم في انتشـــار
شباب الجزائر فك القيـــود واثبت وجودك في ذا الوجـود
وسر في حمى الله سير الجدود فانا سئمنا حياة العبيـــد
وناد الشباب البدار البـــدار
فهلا تلبي وهلا تغـــــار؟!
شباب الجزائر يا ابن الكـرام قد استعذبوا ورد حوض الحمام (1)
وكانوا أسود الوغى في الصدام وكانوا قديما هداة الانـــام
بعدل ورفق وحســن جـــوار
خلال بها كسبـوا الانتصـــار
شباب الجزائر يا ابن الالـــى أشادوا صروح الهدى والعــلا
مآثرهم أصبحت مثـــلا بقار(2) وبدر(3) تلاها المـــلا(4)
تلوح معالمهم كالمنـــار
وقد سطروها بنور ونــــار
شباب الجزائر كن بلسمـــا لشعب جريح كسته الدمـــاء
فانك من نبت هذا الحمـــى فضمد جراحاتـــه كلمـــا
توالت عليه خطوب كبـــار
فما لك في ذلة وانكســـار

(1) الحمام (بكسر الحاء) = الموت .
(2) قار: هي معركة "ذي قار" بين العرب والفرس في الجاهلية ، انتصر فيها العرب انتصارا باهرا .
(3) بدر: هي معركة بدر الكبرى بين المسلمين وكفار قريش .
(4) في البصائر: (وساح العلا) في نهاية الشطر ، وتلاها الملا: بمعنى قرأها الناس .

شباب الجزائر كن كالجبـال عتيدا لدى الروع ليث نــزال

قد الشعب وارق به للكمـال وبالعقبات استهن لا تبـال

وواصل كفاحك ليل نهـــار (1)

فان صروح العدى في انهيـار .

أطلت الغيـــاب (2)

((مهداة الى رفيقي الشاعر الاستاذ أحمد سحنون الذي نزح الى أوربا منـذ شهرين للاستشفاء ،فطالت غيبته وانقطعت عنا أخباره ،فاشتقنا الى مجلسه وعهوده .))

رفيق الصبا وصديق العمـر عليك سلام ندي عطـــر

يحفك في غربة ما بهـــا صديق يواسيك عند الخطـــر

رحلت عن الصحب يا خيرهـم وخلفت في النفس أقوى الاثــر

وطرت عن الروض يا طائـــرا تغني مساء عند السحـــر

يشنف أسماع كل الـــورى فيشفي جراح الاسى والغـــير

وعقد الرفاق الذي صغتــه فقد كاد بعدك أن ينتشـــر

فكل مضى نحو آمالـــه وفارق صحبا بهم يفتخـــر

نآى عن مجالسهم ويحـــه فلولا معارفهم لاندثـــر

أطلت الغياب أيا أحمـــد فعد ليعود لذيذ السمـــر

فان (رجا) (4) قلبه خافـــق ((وزينب))مشتاقة تنتظـــر (3)

وحمزة يسأل في كل حـــين وتوفيق (5) أشواقه تستعـــر

---

(1) في الديوان :ليل ونهار ،ولا يستقيم به الوزن .

(2) البصائـــر ،345 ،1955/12/16 ،ولم تدرج في ديوان الشاعر .

(3) رجاء :هو ابن الشاعر أحمد سحنون ،وزينب ابنته .

(4) لعله الشاعر حمزة بوكوشة .

(5) لعله أحمد توفيق المدني .

وبعزيز (1) لما يزل لاهجـــا بذكركم كلما قد عـــــبر
فكل غد بعدكم ذاكـــرا أحاديث تلك الليالي الغرر
ومنبرنا عطلــت آيـــه (2) فكل قد اشتاق تلك الـــدور
وطوقت أعناقنا بالجميـــل وأحييت آثار مجد غـــبر
عهدناك تهفو الى رفقـــة فما لك أمسكت حتى الخـــبر
ترى هل نسيت عهودا خلـــت ملونة بأجـــمل الصـــور
نداعب أحلامنا الراقصـــات ونشدو بلحن المنى المبتكـــر
شفاك الالـــه فعد سالمـــا لتسطع في أفقنا كالقمـــر

- - - - - (3)

أهدي هذه القطعة الشعرية، الى الشاعر المتفنن العبقري الاستاذ "أحمد سحنون" مشاركة له في الفرح والسرور بالبدر الذي شع في سمائه، فغمر شعاب نفسه، وقرت بـــه مقلتاه، وأثلج به صدره، وتحقق رجاؤه وأملـــه :

أفجر بدا أم هلال أضـــاء لنا أم رجاءً تبـــدى رجـــاء
أهنيك صاح بشعر غـــدا يهني شعرا رصينا، رخـــاء
فبشراك هذا غلام بـــه تزيح الهموم وتجني الهنـــاء
وداعبه ان رمت فجر الحيـــاة يريك سنى في الدجى وصفـــاء .

---

(1) هو بعزيز بن عمر: أحد رجال جمعية العلماء، كان من كتاب المقالة الاجتماعيـــة المشتغلين بجريدة البصائر، واشتغل بعد الاستقلال أستاذا للادب العربـــي بثانوية الامير عبد القادر (الجزائر)، وتوفي في سنة 1985م .

(2) اشارة الى منبر "الوعظ والارشاد"، وهو ركن من أركان جريدة البصائر، كان يتولى تحريره الشاعر أحمد سحنون .

(3) لم يضع الشاعر عنوانا لهذه القطعة، ولم أقف عليها منشورة .

لي سماء المصر (1)

لقد غمر السرور والابتهاج أسرة الشاعر العظيم الاستاذ " أحمد سحنون " بابنـــة سماها " زينب " ،ونحن نزف تهانينا الحارة ،بالكوكب الذي شع في سمائه ،فغمر شعاب قلبه بلالائه ،مقدمين بين يديه هذه القطعة القصيرة ،كذكرى ميلادية لطفلته الصغيرة :

حل في بيتك عنوان وفـــاء — يا رفيق الشعر يا خدن الصفـــاء
أشرقت مثل ذكاء " زينـــب " — قرة العين من بعـــد " رجـــاء "
أقبلت تمسح آلاما علـــى — نفسك الملأى بألوان العنـــاء
فهي دنيا عذبة ممتعـــة — ومثال من هنـــــاء وولاء
فهنيئا لك شمس أشرقـــت — تغمر البيت بلالاء الضيـــاء

أشرقت فـــوز (2)

صديقي الشاعر الكبير " أحمد سحنون " ،يسرني أن أزف اليك تهنئتي القلبية الممزوجـة بالاخلاص والوفاء ضمن الابيات التالية ،مؤملا أن تنعم بمرح الطفولة ،ومناغاتها الساذجـة البريئة ،وابتساماتها العذبة الطاهرة ،التي تملأ البيت عطرا ،والنفوس سحرا ،والقلوب شعرا ،فاهنأ يا أخي بدنيا الطفولة ،ومتع نظرك برؤيتها ،وسمعك بأنغامها ،ونفســك بالانس بهـــا :

أشرقت " فوز " تناغي " زينبا " — كشروق الفجر يجلو الغيهبـــا
وتبدت في ربيع حافـــل — بمعاني الحسن قد وشى الربـا
فاحتفل بالمقدم الزاهي الذي — يبهر العين ،وقل : يا مرحبـــا
هذه أنشودة البيت الـــتي — تجلب الانس لـه والطربـــا
ان دنيا الطفل روض عاطـــر — يملأ البيت أريجـا وطيبـــا

---

(1) لم أقف عليها منشورة .
(2) لم أقف عليها منشورة .

ثغر الشعر يتألم (1)

قيلت هذه القصيدة لما أصيب الشاعر الجهبذ الاستاذ الطاهر بوشوشي بسقوط أسنانه حين عثر في ليلة شاتية :

تألم ثغر الشعر أصبح أدردا   وقد كان قبل اليوم درا منضدا
وصوح ثغر كان للشعر باسما   فأرجو لذاك الثغر أن يتجددا
وخانتك رجل طالما بك قد سعت   لتدرك مجدا أو تحصل سؤددا
وحيدا ولا خدن يواسيك عندما   أصبت فكان الخطب - والله - أنكدا
فلله ما كابدته من تألم   يفتت قلبا كالحجارة جامدا
ولو أنني في خطبه كنت حاضرا   لشاطرته حزنا وكنت أنا الفدى
وأديت خطا واجبا لهزارنا   وبلبلنا الغريد أحسن من شدا
تغير منه كل شيء عهدته   سوى الشعر ان الشعر يبقى مخلدا
رددت اليه الطرف أستكشف الذي   به وهو يبدي من أساه تنهدا
وسألته بالله هل أنت "طاهر" ؟   أجبني سريعا لاتكن مترددا
وقلت له ما بال ثغرك يا فتى   فقال : قضى الرحمن أصبحت أدردا
هنا منظر للشعر يبدو عبوسه   يطل بوجه للفجيعة أربدا
أ "طاهر" صبرا لا تكن متضعضعا   جزوعا فان الحر يحتمل الصدى
فآب الى المأوى وفاجأ والدا   بمشهد أعظم بذلك مشهدا
وبات أبوه جازعا لمصابه   ونار الاسى في القلب زادت توقدا
فقال له الابن المصاب مسليا   فيا أب لا تجزع ولو كنت أوحدا
ولكن لطف الله أنقذ طاهرا   فجاء الى غر القصائد منشدا

---

(1) لم أقف على هذه القصيدة منشورة .

فأسست دور العلم ترهى كأنها   رياغ ربها الاطيار فرحى تغرد
نشرت لسان الضاد في كل موضع   وعالجت أمراضا لها الجهل مورد
وأنشأت جيلا طامحا متطلعا   لحرية موءودة تتنهد
فقم لحظة وانظر مآثرك التي   تركت بها جندا يثور ويرعد
وقم كي ترى جند الجزائر رابضا   على ثكنات الشعب لا يتبدد
فهذا كليث في العرين مناضل   وذاك كبنيان متين يوطد
وهذا كنسر في الفضاء محلق   وذاك كطير للغناء يسرد
وهذا كسيل جارف في طريقه   غثاء به ينحط طورا ، وينجد
وذاك "البشير"(1) الشهم في الشرق صائل   وهذا "التبسي" (2) عزمه يتجدد
واخوانك الاحرار بعدك حضر   اذا غاب منهم فرقد لاح فرقد
أجل صدقوا مذ غبت عنهم وانهم   على نهجك الاسنى مشوا وتوحدوا
اذا غاب عنا الجسم فالروح لم تغب   تحوم علينا كلما حان موعد
وتحدو بنا نحو الاماني حثيثة   لنقشع سحبا فوقنا تتلبد
ذكرنا ، وللذكرى جلال وهيبة   ـ اماما ـ على خطب الدنا يتجلد
فيحزننا " ابريل " عند حلوله   ويذكي لهيبا في الحشا ليس يخمد
فنهرع للذكرى شيوخا وفتية   وها نحن في ذكراك نشدو وننشد
ونرعى مواثيق الوفاء لشيخنا   فلسنا عن الذكرى وحقك نقعد
وما أنت الا مشعل متوهج   ونحن على أضوائه نتورد
فقد ناك فقد البدر في غسق الدجى   وكنت مشعا من سناك نزود
تضرم نارا في السفوح وفي الذرى   ودمدم رعدا في "الشمال" يهدد (3)

---

(1) هو الشيخ محمد البشير الابراهيمي .

(2) هو الشيخ العربي التبسي .

(3) هذا البيت وما بعده الى قوله : ((سينها رصرح شيد ... البيت : 38)) كتب بخط الناسخ ، وحبر مغاير على ورقة مستقلة مع الاشارة الى موضعه من القصيدة .

بشعر يهز السامعين كأنما ... به بلبل في الروض أضحى مغردا

فيا شاعرا بالله زدنا ترنما ... سنرجو[1] لذاك الثغر أن يتجددا .

كفى أبي بالذكر الجميل مخلدا (2)

صداك على طول المدى يتردد ... وذكراك في كل القلوب مخلد

تحدى البلى يطوي الزمان مزمجرا ... كبحر مدى الايام يرغي ويزبد

حياتك ملأى بالجهاد وبالهدى ... وبالخلق المثلى كأنك " أحمد "

فمنه ورثت العزم والصبر والنهى ... وعلما غزيرا أنت فيه مسدد

وحلما واخلاصا وصدق عقيدة ... تبيت الليالي قائما تتهجد

وتبذل نفسا للشبيبة حرة ... تبل صداها بالعلوم ،وترشد

غرست بها روحا تجيش حماسة ... كبركان نار دائما يتوقد

فها هي في الشعب المفدى تحوطه ... وتحميه من خصم له يترصد

ووجهتها نحو المعالي فأسرعت ... لتحظى بادراك الاماني وتسعد

جمعت خصالا خلدتك على المدى ... وجاهدت طول العمر تسعى وتجهد

جهادك كم أصمى لك ودا مخاتلا ... يكيد لشعب هو للمجد يقصد

م يرتدد عن دينه طول عمره ... تعام عنك الصبر لا يتردد

بعثت أمام الظالمين مشمرا ... تكافح أهل البغي والبغي أربد

وقد كنت ذا روح ،على الجهل ثائر ... تحاربه في كل واد وتطرد

---

(1) في الديوان " سنرجوا " بألف التفريق وهو خطأ من الناسخ .

(2) لم أقف عليها منشورة ،وقد نظمها بمناسبة ذكرى وفاة الامام عبد الحميد بن باديس في 16 أفريل 1940 ،ويبدو أنه قد كتبها خلال الثورة التحريرية ،ففيها اشارة الى اقامة الشيخ البشير الابراهيمي بالمشرق العربي ،وهو ما يصادف قيام الثورة بالاضافة الى حديثه المباشر عن أحداث الثورة في الابيات (34 _ 38) .

فزلزل أقدام الطغاة مروعـــا　　قلوبا على جيش الجزائر تحقـــد
وأشبالك الامجاد تحيي مآثـرا　　وعهد الاولى من يعرب قد تمردوا
على الظلم والاغلال ثاروا وأطلقوا　　رجوما على رأس العدو تســـدد
سينها صرح شيد بالوهم سامقا　　وتنزع أظفار البغاة وتحصـــد
أعبد الحميد الفذ هل أنت سامعي فان الحمى [قد ثار للحق ينشـــد] (1)
ولكننا نحيي تراثك كلـــه　　وعهد جدود بالخلود تفـــردوا
فنم هادئا في جنة الخلد راضيا　　كما أنت بالذكر الجميل مخلـــد •

حميدة سوف تحمدها (2)

ألا أنعم يا أخي "عبد الحميد"　　طلوع "حميدة" لك خير عيـــد (3)
ألا أنعم بالطفولة فهي صبـح　　مشع بالضياء على الوجـــود (4)
"حميدة" سوف تحمدها اذا ما　　غدت راعية النشئ الجديـــد

(— — — — — — —) (5)

خرجنا من المحنة الداميـــة　　وفزنا بآمالنا الغاليـــة
كفحنا (6) كفاحا مريرا وقـــد　　قبرنا المعمر في الهاويـــة

---

(1) ما بين المعقوفين كتب فوق هذه العبارة ((كالاسرعان مصعد)) بنفس الخـط والحبر، ولم تشطب العبارة المستبدلـة •
(2) لم أهتد الى الاسم الكامل للشخص الذي هنأه بهذه القطعة، ولم أقف عليها منشورة •
(3) في الشطر الاول من البيت خلل عروضي •
(4) في الشطر الاول من البيت خلل عروضي •
(5) هذه الابيات مستخرجة من مسودة قصيدة أنشأها الشاعر سنة 1954 بين شهـري نوفمبر وديسمبر، لانها تدل دلالة واضحة على قيام الثورة التحريرية في أول نوفمبر عام 1954م، ولم تدرج في الديوان ولم تنشر •
(6) كذا وردت وهو خطأ لغوي واضح •

وحطمنا أغلال كل العــــدا ودسنا مظالمه القاسيــــة (1)
بعزم يدك رواسي الجبــال ويعصف بالقوة العاتيــــة
وخضنا المعارك جبــارة ركزنا البنود على الرابيــــة
تلوح الى العالم خفاقــــة مدرجة بالدما القانيــــة (2)
بذلنا له مهجا حــــرة تسابق للجنة العاليــــة
دماء الشباب وأرواحــــه مسطرة فوقها زاهيــــة

تنادي مقامات أجدادنـــا وهذي ديارهم الضاويــــة
وتحت البلى أعظم بليــت ولكن أرواحهم باقيــــة
وهذي دماؤهم تــــنزف وفي القلب تاريخهم هاديــه (3)
تطل علينا وتنفحنــــا أعيدوا ليالينا الخاليــــه
والا عققتم أبوتنــــا فتنتابكم غضبة قاسيــــه

أخي لن يذللنا المدفــع ولا الظلم من فئة بلغيــــه (4)
أخي لا تبالي بهذي الجموع ولا تخش هذي الدما القانيــه
ولا الطيران وويلــــه ونيرانه .... الحاميــه (5)
جزائرنا حرة .... (6)

---

(1) في الشطر الاول من البيت خلل عروضي .
(2) في الشطر الاول من البيت خلل عروضي .
(3) في الشطر الاول من البيت خلل عروضي .
(4) هذا البيت وما بعده دون في ظهر الورقة .
(5) في الشطر الثاني نقص مقداره كلمة واحدة .
(6) بيت لم يكتمــــل .

هنا تتلاقى دعوة الارض بالسماء (1)

مساجدكم تشفي النفوس الصواديا ! | وتهدي شبابا للجزائر فاديا
تعيد الى الاسلام أنواره التي | أطلت على الدنيا نجوما دراريا
محت ظلم الشرك المبيد وأخفتت | من الظلم والعدوان ما كان فاشيا
بها انتصر الاسلام واشتد ازره | فاضحى قويا ،ثابتا ،متساميا
أعدتم على الاسلام سالف مجده | وأيقظتم من كان بالامس غافيا
وسطرتم تاريخكم بفضائل | ستبقى مع التاريخ تتلى كما هيا
بنيتم هنا ركنا ركينا مدعما | رفعتم به رأس البليدة (2) عاليا
على الطهر والتقوى أقمتم أساسه | ليسمع صوت الحق لله داعيا
يجلجل في أوج السماء مدويا | فينهار صرح الشرك للارض هاويا
فمسجدكم كالغيث تنهل سحبه | به يزدهي النبت الذي كان ذاويا (3)
ويبدو كمثل الشمس لاح لمدلج | اذا تاه في قفر يجوب المواميا (4)

⊕ ⊕ ⊕

هنا مشعل الايمان نجني شعاعه | هنا منهل العرفان قد راق صافيا
هنا عالم الارواح في عالم الصفا | مجنحة نحو الاله صواديا
هنا نشتفي من كل ضر أصابنا | لنرجع مجدا للعروبة ماضيا
هنا تتلاقى دعوة الارض بالسما | وتسطع أنوار تشق الدياجيا
هنا يتساوى الناس لا فرق بينهم ، | فكلهم يبغي رضا الله ساعيا
هنا تلتقي أرواحنا وذواتنا | فننسى خلافا بيننا ظل فاشيا

---

(1) أنشدها في حفل افتتاح مسجد البليدة ،ولم أقف عليها منشورة .
(2) البليدة : مدينة قرب العاصمة (مقر ولاية) .
(3) الذاوي : الذابل .
(4) المواميا : جمع موماة = الارض المقفرة الموحشة .

تشطير بيتي للئيم (1)

(ان اللئيم اذا رأى) عنفا تزحزح عن مكانـــه
واذا رأى من محســـــن (لينا تزايد في حرانـــه)
(لاتخدعن فصلاح من) ألف الدناءة نبذ شأنـــه
ان الجزاء لجاهـــــل (جهل الكرامة في هوانه)

جلل أكرم بيتا من خليل (2)

(من تراث الذكـــــرى الخامســــــة) (3)

غرد الشعر لذكراك حزيـــــن يا معيد المجد ، ياحامي العريـــن
صاغ لحنا من أهازيج الاســـى وأهازيج الاسى تحيي الشجـــون
هات يا شعر حديثا شافيـــا يطفيء اللوعة للشعب الحزيـــن
فقد الشعب زعيما مخلصـــا هذه ذكراه تشدو باللحـــون
غادر الشعب الذي ضحى لـــه نفسه والمال والعلم الرصـــين
دوحة قد ظللتنا زمنـــــا وانتشينا بشذاها آمنـــين
صوح الروض الذي قد بسمـــت منه أزهار تروق الناظريـــن
رحل البلبل عنا لم يعـــد غير لحن قد جدا بالناشئـــين
قد ذكرناك وفي أنفسنـــا زفرات لاذعـــات وأنـــين
وأعدنا عبرات للاســــى فلنعم الدمع في الخطب يعـــين
هذه ذكراك تبقى بعدهـــا قد مضى عن رزئنا خمس سنـــين

---

(1) لم أقف عليها منشورة .

(2) نشرت بجريدة الوطن ، العدد 03 ، وقد أفادني بذلك الدكتور محمد ناصر ، ولكنني لم أستطع الحصول على التاريخ ، فالجريدة محفوظة بمكتبة " اكس آنبروفانس " (فرنسا) .

(3) هي الذكرى الخامسة لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، التي تصادف سنة 1946م .

هذه ذكراك في الشعب سرت ... وقعها يلذع في القلب كمين
هذه ذكراك هزت أنفسا ... أن ذكراك تهز الجامدين
أيها المخلص في أعماله ... أنت حر رغم أنف الخائنين
أيها الثابت في مبدئه ... لم تزعزعه رياح ودجون
أيها الناهض بالشعب الذي ... قد قضى في ظلمة الظلم قرون
أيها الشافي نفوسا ظمئت ... من نمير رائق للواردين
أيها النافض عن أجفاننا ... من غبار الجهل ما غشى الجفون
أيها القائد جندا باسلا ... عشت حيا في قلوب المسلمين
أيها المنشئ جيلا صالحا ... نافحوا بعدك عن شعب مهين
أنت للشعب امام مصلح ... ومثال من علا للمحتذين
يا هماما ماجدا مستبسلا ... كافح الظلم عن المستضعفين
يا أبا الشعب الذي علمه ... كيف يرقى ذروة العز المكين ؟
يا خطيبا هتف الشعب له ... صادق اللهجة ان قال يبين
ملأ الاسماع صوتا ساحرا ... وشفى الانفس من داء دفين
بطل كم قد حمى أمس الحمى ... واتقى عنه عداء المعتدين
أيقظ الامة من غفوتها ... وقضى دينا عليه أي دين ؟
خدم الشعب ورقى أمة ... أعلنت عن نفسها في العالمين
خلق النشء ليحمي شعبه ... من طغاة للورى مستعبدين
كون النشأ وأحيا أنفسا ... وغدا نور هدى للمهتدين
أوقد الشعلة فيه ومضى ... تاركا من بعده جندا أمين
لك حزم ومضاء في العلا ... لم يثبطك كلام الكاشحين
وسجايا جمة فزت بها ... من قوي النفس ومن عقل ودين
وسع الشعب بخلق طيب ... وخصال حببت للآخذين

كرم يهمي علينـــا وابـــلــه (1) من يد بيضاء ترضي المعوزيـــن
ولكم كنت علينا عاطفـــا ورحيما وشفوقا وحنـــو ن
رحمة سح علينـا سيلهـــا من فـؤاد راحـم بالمعدمـــين
خلـق أكـرم بهـا من خلـق قد تغذاها من السفر المبـــين
أيها النائم في صمت الثـــرى كيف ننساك على كر السنــــين ؟
نم هنيئا فلقد نلت المـــنى من خلود أنت بالخلد قمـــين (2)
أيها النائي عن الاهل الـــى حيث يستوفى جزاء العاملـــين
حيث عدل واخاء شامـــل وحياة لم تكدرهـــا المنـــون
خبر العدل علينـــا أننـــا قد سئمنا الجور بين الجائريـــن
خبر الرحمة عنا أننـــــا بين قوم قد غدوا لا يرحمـــون
حدث الاحرار في جو الصفـا عن كرام أصبحوا مضطهديـــن
أيها الراقد في جوف الثـــرى قم تأمل في مصير البائســـين !
قم تر الشعب الذي فارقتـــه راسفا تحت قيود المجرمـــين !
وتجد أسدا غضابـــا زأروا كيف عن آجامهم لا يـــزأرو ن !
وتجد شعبا أبيا مخلصـــا ثابتا عن وده للمخلصـــين
وتر الدنيا خلت من رحمـــة ما ترى الا طغاة فاتكـــين
يا بني العرب انهضوا لا تحجموا! انكم أبناء قوم فاتحـــين
دمت يا شعب ولودا منجبـــا للصناديد الاباة الباسلـــين
دمت مكلوء بآساد وغـــى يسردون الموت كي يحيا البنـــون
يا بني الضاد الى أوج العـلا أبذلوا الغالي لتحظوا بالثمـــين
كافحوا البغي (3) وذودوا أهلـــه انهضوا للمجد هبوا أجمعـــين .

---

(1) في الديوان " ويله " وهو تصحيف .

(2) قمين = جدير .

(3) في الديوان " البغى " باهمال نقطتي الياء ، وهو تصحيف .

الثلاثون (1)

كفاحك " أحمد " يطوي السنين فسل عنه يا ليث هذا العرين
لقد ذدت عنه العدى ثابتا أمام الاعاصير والظالمين
وكافحت يا بطلا خالدا ! عن العرب ،تحمي حماهم أمين
فأمعنت في المجد ،تبغي الخلود، كأجدادك العرب الخالدين
وجردته ،كالحسام ،يراعا سنى نوره كاد يغشي العيون
فأبرزت تاريخنا مشرقا ـ كوجهك ـ يسطع في العالمين
صحائف مشرقة كالضحى تلالا خلف مئات السنين
وبيضت وجه الجزائر اذ جلوت محاسن منها ،تزين
أعدت اليها مفاتنها فأغرت مفاتنها الناظرين
عوالم من ذكريات الجلال حواها فؤاد ذكي فطين

⊕ ⊕ ⊕

ويا حبذا قلم فيصل يبج آي البيان فنون !
هززت عروش الطغاة به وسفهت أحلامهم والظنون
تفيض البلاغة من جانبيه ويجري عليه البيان رصين
تخط به ما يواسي الكلوم ، ويشفي الصدى ،ويزيح الشجون
تناجيه نجوى محب ،به لواعج شوق ،وداء دفين
فيفصح عما به من جوى فيأتي بسحر حلال مبين

---

(1) لم أقف عليها منشورة ، وقد نظمتها بمناسبة حفل تكريمي للاستاذ أحمد توفيق المدني صادف الذكرى الثلاثين لعودته من المنفى ،وكان ذلك في شهر يونيو من سنة 1955 ،وهي مثبتة مع غيرها من القصائد التي ألقيت في الحفل في مذكرات أحمد توفيق المدني ،حياة كفاح ،الجزء الثالث (مع ركب الثورة) ش • و • ن • ت (الجزائر) ،1982 ،ص 90 ـ 104 •

فيشفي لواعجه المحرقــات — وتأخذه هزة ، وحنــين
نحن اليه خفوق الفــؤاد ، — وتشتاقه كأخ أو خديــن (1)
تطارحه خلجات الضمــير ، — ونبض الفؤاد ، وهمس الجفون
تغذيـه من قلبك المستفيـض — دما زاكيا ، فائرا كالاتــون

⊕ ⊕ ⊕

وكم من نـواد بـك ازدهـرت — فأنعشتها بالنمير (2) المعــين
وكنت بها طائـرا شاديــا — فأطربت روادها باللحــون
فمادت ، نشاوى ، مرنحــة — بخمر سقيت بهـا المغرمــين
وحلقت بالسامعــين الـى — عوالم حافلــة بالفتــون
وأشعلت في الخامدين حماســا — أعدت بـه الـروح للخامدين
اذا ما خطبت هززت الجمــوع — بصوت له في الجمـوع رنــين
خلقت خطيبـا تبـذ الرفــاق — وتصعد كالنجم فـوق الظنــون
صهرت الكلام ، وقد صغتــه — روائع تزري بـدر مصــون
وذللت تلك المعالـي الصعـاب — وذوبتهـا نغمـا للبنــين

⊕ ⊕ ⊕

ثلاثون عاما مضت في النضــال — أبيت - بما حملت - أن تلين
وقضيتها في الجهاد الطويــل — مع العلم ، والظلم ، والغاصبين
فأبعدت عن موطــن زاخــر — بروح الفداء الـذي لا يهـون
وكنت ترعرعت فـي غيلـــه — وكافحت عنه كفاحـا مكــين
وضعت العصا ها هنا وانتضيـت — حسا ما يصيب الكلا ، والوتين
مضاء وعزم ، يهد الجبــال ، — وصبر على النائبات ، ولــين

---

(1) خديـــن = صديـــق .
(2) النمـــر = الصافـــي .

ثبت أمام العدى صامدا كأنك طود أشم متين

وانك رمز الفدى والثبات اذا خان قوم فلست تخون

[اذا أظلمت بأسانا الحياة] (1) تنورها بضياء اليقين

وترمي الدياجي بفكر منير كبدر يشق سناه الدجون

فأحبب بأخلاقك الطاهرات كروض به الآس ، والياسمين !

يطير السرور بنا كلما لمحناك تبسم ، طلق الجبين

شمائلك الغر قد سيتها تغذيتها من هدى مستبين

⊕ ⊕ ⊕

ويا أيها الجمع ، يا من رعى بهذا الزمان حقوق القرين

أرى النور يعلو محياك اذ وفيت له فقضيت الديون

" أتوفيق " ! سر في طريق العلا فحولك أسد الحمى الطامحون

وعش للعروبة رائدها ودم " للجزائر " حصنا حصين •

مساجلة بيني وبين الشاعر " أحمد سحنون " (2)

يا رفيق الشعر يا من طبه يشفي القوافي

قد أناخ الدهر عني أيها الخل الصافي

ودهاني ما دهاني ان حالي غير خاف

فأجابني ...

يا أخا الود عزاء وابق خدنا للقوافي

بعد هذا العسر يسر (أيها الخل المصافي)

وكذاك الدهر مازا ل بما ساء يوافي •

(1) في مذكرات أحمد توفيق المدني " حياة كفاح " : ((اذا دجت الحياة انبريت)) •

(2) لم أقف عليها منشورة •

اطلعي عنا (1)

==============

يا شموسلر طالما قد طلعت   واعترانا الحزن لما أفلت

اطلعي عنا ليحيا أمل   في نفوس ـ بالجوى ـ قد ملئت .

---

(1) لم أقف عليها منشورة .

فهرس المصادر والمراجع

1 - المؤلفات والبحوث والمجموعات الشعرية :

- أ -

- آجرون (د . شارل روبير) ، تاريخ الجزائر المعاصرة ، ترجمة عيسى عصفور ، عويدات (بيروت) ، سلسلة " زدني علما " ، ط/1 ، 1982 .

- آل خليفة (محمد العيد) ، ديوان محمد العيد آل خليفة ، ش . و . ن . ت (الجزائر) 1967 .

- اسماعيل (د . عز الدين) ، الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية دار الثقافة ، ودار العودة (بيروت) ، ط/3 ، 1981 ، التفسير النفسي للادب ، دار الثقافة ودار العودة (بيروت) ، بدون تاريخ .

- أنيس (د . ابراهيم) ، موسيقى الشعر ، مكتبة الانجلو مصرية (القاهرة) ، ط/ 3 1965 .

- ب -

- بوعزيز (د . يحي) ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، دار البعث (قسنطينة) ، ط/1 ، 1980 .

- بو الصفصاف (عبد الكريم) ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931 - 1945) ، دار البعث (قسنطينة) ، 1981 .

- ت -

- التنوخي (أبو يعلى عبد الباقي بن المحسن) ، كتاب القوافي ، تحقيق الدكتور عوني عبد الرؤوف ، مكتبة الخانجي (القاهرة) ، 1975 .

- التليسي (محمد خليفة) ،الشابي وجبران ،الدار العربية للكتاب (ليبيا - تونس) ط/5 ،1984 .

- ج -

- الجابري (محمد الصالح) ،الشعر التونسي المعاصر خلال قرن (1870- 1970) الشركة التونسية للتوزيع، 1974 .

النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900 - 1954) ،الدار العربية للكتاب (ليبيا - تونس) ،1982 .

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دار الكتب (الجزائر) ،1982 .

- الجندي (د . درويش) ،القومية العربية في الادب الحديث ،مكتبة نهضة مصر ط/1 ،1962 .

- ح -

- الحصري (ساطع) ،أبحاث مختارة في القومية العربية ،دار المعارف (مصر) ،1964 .

- خ -

- خرفي (د . صالح) ،الشعر الجزائري الحديث ،سلسلة " الدراسات الكبرى " ،م.و.ك (الجزائر) ،1984 .

صفحات من الجزائر،ش.و.ن.ت (الجزائر) ،1973 .

المدخل الى الادب الجزائري الحديث ،سلسلة "في الادب الجزائري الحديث" ش.و.ن.ت (الجزائر) ،1983 .

في رحاب المغرب العربي ،دار الغرب الاسلامي (لبنان) ،ط/1 ،1985 .

- خير الدين (محمد) ،مذكرات الشيخ محمد خير الدين ،مطبعة دحلب (الجزائر) ج/1 ،1985 .

- د -

- درار (د ٠أنيسة بركات) ،أدب النضال في الجزائر (من 1945 حتى الاستقــــلال) سلسلة " الدراسات الكبرى) ،م ٠و ٠ك (الجزائر) ،1984٠

- الدهان (د ٠ سامي) ،الامير شكيب أرسلان " حياته وآثاره " ،سلسلة مكتبة الدراسات الادبية (21) ،دار المعارف (مصر) ،1960 ٠

- ر -

- ركيبي (د ٠ عبد الله) ،الاوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى ،ش٠و٠ن ٠ت (الجزائر) ،1982 ٠

دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ،الدار القومية للطباعة والنشر ، 1962 ٠

قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ،الدار العربية للكتاب (ليبيا - تونس) ،ط/3 ، 1977

- ز -

- زوزو (عبد الحميد) ،دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 - 1939) ،ش٠و٠ن ٠ت (الجزائر) ،سلسلة الدراسات الكبرى ،بدون تاريــــــخ ٠

- الزاهري (محمد السعيد) ،الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير ،مطبعة الاعتــدال (دمشق) ،ط/2 ،1933 ٠

- س -

- سحنون (أحمد) ،ديوان أحمد سحنون ،سلسلة شعراء الجزائر ،ش٠و٠ن ٠ت (الجزائر) ٠ 1977

- سعد الله (د . أبو القاسم) ،الحركة الوطنية الجزائرية (1930 - 1945) ،معهد البحوث والدراسات العربية (مصر) ،ط/2،ج /3، 1977 .

دراسات في الادب الجزائري ،دار الآداب (بيروت) ، 1966 .

منطلقات فكرية ،الدار العربية للكتاب (ليبيا - تونس) ،ط/2، 1982 .

- سيف الاسلام (الزبير) ،تاريخ الصحافة في الجزائر ،ش .و.ن .ت (الجزائر) بدون تاريخ .

- ش -

- شرفي (د . أحمد) ،الشعر الوطني الجزائري (1925 - 1954) رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة (جامعة الجزائر) ، 1978/1979 .

- الشابي (أبو القاسم) ،الاعمال الكاملة ،ج / 1 ،الدار التونسية للنشر ، 1984 .

- ص -

- الصديق (محمد الصالح) ،الجزائر بين الماضي والحاضر ،سلسلة كتب سياسية رقم 184 ،الدار القومية (القاهرة) ، 1960 .

- ط -

- الطمار (محمد) ،تاريخ الادب الجزائري ،ش .و.ن .ت (الجزائر) ،ط / 1 ، بدون تاريخ .

- ع -

- العشماوي (د . محمد زكي) ،قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث ،دار النهضة العربية (بيروت) ، 1979 .

- العقون (عبد الكريم) ،مجموعة قصائد مخطوطة لدى عائلته .

- عوني (د . عبد الرؤوف) ،القافية والاصوات اللغوية ،مكتبة الخانجي (مصر) ، 1977 .

- ف -

- فخر الدين (د . جودت) ،شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القـــرن الثامن الهجري ،دار الآداب (بيروت) ،ط/1، 1984 .

- ق -

- القرآن الكريم .

- القرطاجني (حازم) ،منهاج البلغاء وسراج الادباء ،تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة دار الكتب الشرقية (تونس) ، 1966 .

- قنانش (محمد) ،المواقف السياسية بين الاصلاح والوطنية في النهضة الحديثـــة ش .و.ن .ت (الجزائر) ،بدون تاريـــخ .

الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (1919 - 1939) ،ش .و.ن .ت (الجزائر) 1982 .

- القـــط (د . عبد القادر) ،الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر،دار النهضة العربية للطباعة والنشر (بيروت) ،ط/2، 1981 .

- م -

- المجدوب (د . عبد الله الطيب) ،المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتهـــــا البابي الحلبي (القاهرة) ،ج /1، 1956 .

- المدني (أحمد توفيق) ،كتاب الجزائر،دار المعارف (القاهرة) ،2/7، 1963 .

- مذكرات أحمد توفيق المدني " حياة كفاح " ،الجزء الاول ،ش .و.ن .ت (الجزائـــر) 1976 ،الجزء الثالث ،ش .و.ن .ت، 1982 .

- ن -

- نصور (د .أديب) ،وطنيون وأوطان ،دار العلم للملايين (بيروت) ،ط/1، 1952 .

- ناصر (د • محمد) ،الصحف العربية الجزائرية ،ش•و•ن•ت (الجزائر) ، 1980•
المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها ،تطورها ،أعلامها) من 1903 الى 1931
ش•و•ن•ت (الجزائر) ،المجلد الاول ، 1978 •
الشعر الجزائري الحديث :اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925 - 1975) ،رسالة
دكتوراه دولة ،جامعة الجزائر 1983/1982 •

- ناصف (د • مصطفى) ،الصورة الادبية ،دار الاندلس (بيروت) ،ط/3 ،1983 •

- نشاوي (د • نسيب) ،مدخل الى دراسة المدارس الادبية في الشعر العربي المعاصر
ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) ، 1984•

- هـ -

- هلال (د • محمد غنيمي) ،النقد الادبي الحديث ،دار العودة ،ودار الثقافة
(بيروت) ، 1973 •

- ي -

- يحي (د • جلال) ،السياسة الفرنسية في الجزائر من 1830 الى 1960 ،دار المعرفة
(مصر) ،ط/أ ،1959 •

2 - الدوريـــات :

- آمال (مجلة) ،وزارة الثقافة (الجزائر) ،العدد 3 ،خاص بالشعر الجزائري المعاصر
(شعر ما قبل الاستقلال) ،بدون تاريـخ •

- الاصلاح (جريدة) ،الطيب العقبي ،العدد 39 ،1941/05/15•

- افريقيا الشمالية (مجلة) ،اسماعيل العربي ،العددان 3و 4 ،1949 •

- البصائر (جريدة) ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،الاعداد : 2، 7، 13، 14، 19، 24، 30، 33، 43، 52، 55، 63، 71، 74، 84، 95، 154، 155، 157، 159، 165، 181، 201، 216، 230، 244، 251، 259، 261، 272، 285، 295، 326، 345 .

- الثقافة (مجلة) ،وزارة الاعلام والثقافة ،العدد 40، السنة 7 . العدد 44، السنة 8 العدد 86، السنة 15 .

- الشعب (جريدة يومية) ،مؤسسة الشعب - الصحافة (الجزائر) ،العدد 5601 1981/11/01 .

- الشهاب (مجلة) ،عبد الحميد بن باديس، المجلد 13، الجزء 9، نوفمبر 1937 .

- المجاهد (مجلة أسبوعية) ،حزب جبهة التحرير الوطني (الجزائر) ،العدد 2226 1984/02/03 .

- المستقبل العربي (مجلة شهرية) ،مركز دراسات الوحدة العربية ،العدد 81 نوفمبر 1985 .

3 - المقابـــلات :

- مقابلة مع زوجة الشاعر بالجزائر في 1985/08/21 .
- مقابلة مع السيد /عبد المجيد العقون بالجزائر في 1985/12/26 .
- مقابلة مع الشيخ موسى الاحمدي نويوات ببرج بوعريريج في 1986/03/28 .
- مقابلة مع الشاعر أحمد سحنون بالجزائر في 1986/12/03 .
- مقابلة مع الشاعر الطاهر بوشوشي بالجزائر في 1986/12/01 .
- مقابلة مع الاستاذ أحمد بن ذياب بالجزائر في أوت 1986 .

فهرس الاعلام

فهـــــرس الموضوعـــــات